الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد مهري – قسنطينة-

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

الرقم التسلسلي:......................

رقم التسجيل:.........................

الأقلية المسيحية بالمغرب الأوسط القرن 5هـ/11م إلى القرن9هـ/15م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

تخصص التاريخ الاجتماعي لبلاد المغرب في العصر الوسيط

إعداد الطالبة: بشير الشريف خديجة

إشراف الأستاذ الدكتور: عبد العزيز فيلالي

لجنة المناقشة

أعضاء اللجنة	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د ساعد خميسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة عبد الحميد مهري- قسنطينة-	رئيسـا
أ.د علاوة عمارة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة-	عضوا مناقشا
أ.د عبدالعزيز فيلالي	أستاذ التعليم العالي	جامعة عبد الحميد مهري- قسنطينة-	مشرفا ومقررا
أ.د الطاهر بونابي	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد بوضياف- المسيلة-	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:1435 -1436هـ/2014 -2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو الأسود الدؤلي:

العلم زين وتشريف لصاحبه فاطلب هديت فنون العلم والأدبا

يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه لا تعدلن به درا ولا ذهبا

الإهداء

إلى من أشرقت لمحياها شمس الوجود تنير لي دروب الحياة الحالكة

إلى لمسة الحنان الحانية وبلسم القلوب من جعلت الجنة تحت قدميها

إلى أمي الغالية ....

إلى السند الرفيع الذي أراق مهجة المآقي كي أخطو في الوجود خطو مجد وخلود

إلى أوسط أبواب الجنة

إلى أبي الحنون....

إلى كل باحث عن الحقيقة يشدوه الأمل المنشود لمراقي الصعود كي ينفض الغبار عن تاريخ أمة الأمجاد

إلى من بسطت له أجنحة الملائكة

إلى طلاب العلوم.....

شكر وتقدير

حمدا لله حمدا كثيرا بأن من علينا بجزيل عطاياه، وامتنانه وتوفيقه.

ومن لا يشكر الناس لا يشكره الله، فإحقاقا للحق، واعترافا بالجميل، أتقدم بجزيل الشكر والامتنان للأستاذ الفاضل الدكتور عبد العزيز فيلالي الذي لم يدخر أي جهد في سبيل مد يد العون والنصح لنا.

كما أتقدم بشكري الخالص وتقديراتي لجميع أساتذتي الكرام الذين نهلت على أيديهم مبادئ العلم، وحب البحث من الصف الابتدائي إلى غاية الطور الجامعي.

ووفاء مني لأهلي الأكارم أخصهم بالتحية والامتنان : أبي وأمي وإخوتي وأخواتي، وأخوالي ، وأعمامي...

ودون أن أنسى أصدقائي وزملائي الذي جمعني بهم تبادل المعارف والعلوم.

وإلى كافة من مد لي يد العون من قريب أو بعيد ، ولو بكلمة ، أقدم خالص امتناني.

مقدمة

مقدمة:

لقد شكل المجتمع المغاربي مزيجا متجانسا من مختلف الأعراق والطوائف، ويرجع ذلك إلى الجذور الأولى للمنطقة التي خضعت لحكم العديد من الأجناس، إلا أنه بدخول الإسلام لبلاد المغرب الإسلامي عامة جمع ووحد غالبية السكان تحت رايته ،وفي نفس الوقت خلق مجتمعا مغاربيا جديدا تحكمه عادات وتقاليد بعضها مستوحى من الماضي والبعض الآخر شرعتها التعاليم الإسلامية ، وبذلك فإن المجتمع الإسلامي في بلاد المغرب الأوسط أصبح يشكل بوتقة منصهرة في مختلف المجالات من سياسية إلى ثقافية واقتصادية واجتماعية والتي بدورها تداخلت أسبابها فيما بينها وشكلت بناءا اجتماعيا أهم ما ميزه التآلف والتكاتف بين عناصره السكانية المختلفة التي يتصدر هرمها أهالي المنطقة الأصليين (البربر) والأسر العربية (الفاتحون وبنو هلال) ليليها في ذلك مختلف الأقليات التي أثرت وتأثرت: كالأندلسية والأفارقة واليهودية والمسيحية، وهذا ما خلق ما يعرف بالمنظومات الاجتماعية التي تجمعها علاقات وارتباطات متبادلة[1]، وهو ما عبر عنه الجاحظ في كتابه الحيوان بـ:" ثم اعلم يرحمك الله أن حاجة بعض الناس إلى بعض صفة لازمة في طبائعهم، ومشتملة على أدناهم، وأقصاهم، وحاجتهم إلى ما غاب مما يعيشهم ويحييهم، ويمسك بأرماقهم ، ويصلح بالهم، ويجمع شملهم، وإلى التعاون في درك ذلك والتوازر عليه كحاجتهم إلى التعاون لمعرفة ما يضرهم والتوازر على ما يحتاجون من الارتفاق الأدنى إلى معرفة الأقصى واحتياج الأقصى إلى معرفة الأدنى معان متضمنة، وأسباب متصلة ، وجبال منعقدة"[2]، فالمنفعة والحاجة هي من خلقت مجتمعات متمايزة عرقيا ودينيا اختصت بانقسامها إلى أغلبيات ، وأقليات وقد شكل المسيحيون جزءا من الأقليات الدينية الغير إسلامية التي لم تخل منها منطقة المغرب الأوسط ولم يكن تواجدها

---

[1] – محمود عودة: أسس علم الإجتماع، د.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.س، ص119

[2] – أبو عثمان عمرو الجاحظ: كتاب الحيوان، تح : عبد السلام محمد هارون، د.ط، دار الجيل ، بيروت، 1416هـ/1996م ،ج1،ص42-43

مقتصرا على الإقامة المؤقتة بل وصل إلى الاستقرار والاختلاط بسكان البلاد ، إذ أن هاته الفئة في حد ذاتها كانت تنقسم إلى العديد من الفئات التي جلبهم مغناطيس الأمن والعدل والمنفعة المشتركة وبذلك فإن الأقلية المسيحية بالمغرب الأوسط ساهمت بالقدر الفاعل في مجريات الأحداث التاريخية بالمنطقة نظرا لما كان لها من حضور على الجانب السياسي، خصوصا وأنها مثلت الجالية الأوروبية النصرانية، أما حضورها الاقتصادي فكان منطلقا من العلاقات التجارية والتي ارتبطت في غالبها بالمجال السياسي عن طريق المعاهدات والاتفاقيات التجارية وهذا يستلزم بطبيعة الحال الدخول في تفاصيل الحياة الاجتماعية التي تبرز لنا مدى تأثير سكان المغرب الأوسط بالنصارى وفي مقابل ذلك التأثر النصراني بهم ، ومن خلال هذا نصل إلى الأهمية التي يكتسبها هذا الموضوع ألا وهو الأقلية المسيحية بالمغرب الأوسط (القرن 5هـ/11م -9هـ/15م) ولا سيما أنه لم يلق اهتماما خاصا من الباحثين ،إذ أنه لم يحض بدراسة مفصلة ، بل تعرضت له الدراسات بشكل مختصر ومقتضب مع انحصار الأبحاث في مجال ضيق أكثر إذ ما اتجهنا نحو بلاد المغرب الأوسط.

فمن هنا كان الدافع لاختيار الموضوع خاصة وأنه يمثل جانبا مهما في المجتمع يلقي بظلاله على مختلف الأصعدة.

والدراسات التي تتناول موضوع الأقلية المسيحية في العصور الوسطى محدودة جدا ، وفي الغالب ما يتطرق لها كبحث ضمني لأهل الذمة مثل " كتاب أهل الذمة في مصر"، والذي تطرق فيه صاحبه لأوضاع اليهود والنصارى على حد السواء، كما اعتمد حسن الممي نفس المنهج في كتابه" أهل الذمة في الحضارة الإسلامية"، إلا أنه ركز على جانب وضعية هاته الجاليات من ناحية الشريعة الإسلامية.

أما في المجال المغربي فقد حظيت الأقلية المسيحية بنوع من الاستقلالية في الدراسات وأهم هذه الكتابات على الإطلاق: مقال " الجاليات الأوروبية المتوسطية بالمغرب العربي

خلال عصر الموحدين" لإبراهيم القادري بوتشيش، واستطاعت هاته الدراسة أن تميط اللثام عن الكثير من الحقائق التاريخية للجالية النصرانية ، حيث تناول تأثيرهم في مختلف جوانب المجتمع المغربي، كالجند في المجال العسكري، والتجار في المجال الاقتصادي، كما تعرض لوضعيته الدينية، وكانت للأستاذ الباحث دراسة مماثلة في كتابه " مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين"، وأورد ذلك ضمن فصل يتحدث عن أهل الذمة وتأثيراتهم ببلاد المغرب الإسلامي.

وإذا ما حصرنا الأمر بالمغرب الأوسط نجد أن الدراسات تكاد تنعدم في هذا المجال- اللهم إذا ما استثنينا – دراسة:" الجاليات الإيطالية في الدولة الزيانية" للباحث سامي سلطان، نشرت ضمن مجلة سيرتا، وركزت على الجانب الاقتصادي لهاته الفئة، ودورها في التجارة الزيانية، وأهم دراسة في هذا المضمار هي للأستاذ الدكتور فيلالي عبد العزيز ضمن كتابه" دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي"، وتعتبر مرجعية أساسية لنا في استقاء المادة التاريخية لهاته الأقلية، حيث تناولت الدراسة مختلف الجوانب التي برز فيها النصارى بالمغرب الأوسط منذ العهد الرستمي إلى العهد الزياني، وإضافة لهذا، فقد أمدتنا الدراسات الأجنبية بمعلومات وافرة ولاسيما تلك المتعلقة بالجانب التجاري، كدراسة الباحث:Mas Latrie." Relations et Commerce De l'Afrique sepentrionale ou Magreb avec les nations chrétiennes au moyen age" ، وعلى العموم فعلى الرغم من قلة الدراسات التي تهتم بالموضوع ، إلا أنها استطاعت أن تثري البحث ولو بالقليل.

إشكالية الدراسة:

إن موضوع الأقليات يعالج جانبا هاما من تاريخ المجتمعات ولايزال لحد الساعة يطرح إشكالا سواء في الوقت الحاضر أو ما سبقه لذلك فهو يمثل نقطة إرتكاز هامة لتقويم مجريات التاريخ، وبالنظر للأقلية المسيحية في المغرب الأوسط بعصره الوسيط نجد

إلتباسات كثيرة لم تفصح عنها الدراسات التي تعتبر ليست بالكثيرة ومن خلال هذا يستلزم الأمر علينا طرح العديد من الإشكاليات التي قد توصلنا إلى بعض الجوانب المغيبة في التاريخ الاجتماعي لمنطقة المغرب الأوسط ،فكيف كانت سيرورة الحياة عند النصارى بالمغرب الأوسط؟ وما لدور الذي لعبته نصرانيتهم في منطقة ديانتها الرسمية الإسلام؟ وإلى أي مدى كانوا يتمتعون بحقوقهم؟ وبالنظر لها كشريحة من شرائح المجتمع أثرت وتأثرت كيف كان ذلك وإلى أي مدى وصل التأثير بجانبيه على مختلف المجالات من اقتصادي واجتماعي وثقافي وسياسي؟ فمن غير الممكن إغفال الحياة السياسية وهذا بالضرورة يقودنا إلى طرح سؤال عن السلطة الحاكمة ورأيها بهذه الفئة من منطلق أنها تنتمي للبلاد النصرانية والتي هي في الغالب تمثل الجهة المناوئة للدولة الإسلامية؟

منهج الدراسة والخطة:

وللإجابة عن هاته التساؤلات اعتمدت قصد الدراسة على منهجية علمية تاريخية قائمة على استقراء المصادر والمراجع وتحليل نصوصها التاريخية التي تخدم طبيعة الموضوع ، وكان العمل في ذلك وفق المنهج الوصفي ، واتبعت في ذلك خطة تستهل بمقدمة: وفيها أبرزت أهمية الموضوع ومكانته في دراسة التاريخ الاجتماعي، والدافع لاختياره، وأهم الدراسات التي تناولته، كما طرحت فيها الإشكالات الجوهرية للإجابة عليها، والمنهج والخطة المتبعة ، وفي الأخير عرض لأهم المصادر والمراجع.

ومن ثم الفصل التمهيدي وهو عبارة عن مدخل يتعرض لضبط أهم المصطلحات التي تخدم الموضوع كالأقلية، والنصارى وأهل الذمة...، وتحديد للإطار الجغرافي والزماني للمغرب الأوسط، والذي تحكمت فيه الأوضاع السياسية أكثر من غيرها. وقسمتها إلى ثلاث فصول يتناول الأول منها :النصارى بالمغرب الأوسط من أصل تواجدهم بالمنطقة والذي ترجع جذوره إلى القرن 2م، كما تتبعت فيه كيفية انتشار المسيحية بالمنطقة منذ البدء إلى غاية الفتح الإسلامي، والعناصر المسيحية بها التي تنوعت وانقسمت حسب

الظروف وما تطلبته أوضاعهم بالبلاد، وحاولت في آخر الفصل عرض أهم المناطق والمدن التي كانوا يستقرون ويتوزعون بها.

وكان الفصل الثاني عن الدور الذي لعبته الأقلية المسيحية بالمنطقة من تأثير سياسي واقتصادي وثقافي ، أما السياسي فكان فيه رصد لنشاطاتهم في المجال السياسي والعسكري كالجند المرتزقة والقادة العسكريين، إضافة لدور السفراء والقناصل في ترشيد العلاقات السياسية بين دول المغرب الأوسط ودول البحر المتوسط، ومن الناحية الاقتصادية ركزت على الجانب التجاري نظرا للدور الذي لعبه التجار كأقلية مسيحية بالمنطقة ساهمت في إثراء حركة المبادلات والمعاملات التجارية بين طرفين، وأهم ما مظاهر هذه الحركة الفاعلة في اقتصاد المغرب الأوسط، هذا وكان العمل على معرفة إسهاماتهم الحرفية والصناعية، وكان الوضع الثقافي عن تأثيرهم وتأثرهم بالحركة العلمية في المغرب الأوسط ، وتجاوز الأمر إلى انتقال الثقافات.

أما الفصل الثالث: فيتحدث عن الحياة الاجتماعية ومظاهرها من حياة يومية كالمسكن، والطعام، واللباس الذي خضع لتخريجات فقهية، و العادات والتقاليد التي تميزت باحتفالات الزواج، والأعياد والمواسم الدينية، كما تطرقت لممارساتهم الدينية من عبادات وإقامة للشعائر الدينية، ووضعيتهم بالمغرب الأوسط ودور السلط الحاكمة في تفير الحرية والآمان لهم في ظل الدولة الإسلامية .

وفي الأخير خاتمة والتي كانت عبارة عن حوصلة لما جاء في موضوع الدراسة من استنتاجات، وتبعها مجموعة من الملاحق التوضيحية لإثراء الموضوع.

عرض لأهم المصادر والمراجع:

رغم طبيعة الموضوع التي تتناول تاريخ الأقليات باعتبارها عرقيات مختلفة الأجناس والديانات عاشت في ظل مجتمع مغربي تحكمه عادات وتقاليد إسلامية إلا أن المصادر والمراجع الذي تناولت هذا البحث تعددت وتنوعت ، ومن أهمها:

أ- **كتب النوازل والفتاوى:**

تكتسي كتب النوازل والفتاوى أهمية بالغة في رصد التاريخ الاجتماعي خصوصا وانها تبرز حركية المجتمع ، وسبل العيش فيه وكوامنه لأي فترة زمنية ما، ومنها:

- **فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام** للإمام أبي القاسم بن أحمد البلوي المعروف بالبرزلي (تـ 841هـ/1438م) وكغيره من كتب النوازل فقد أمدني بمعلومات وافرة في الحياة الإجتماعية للنصارى ، وإن كانت في الغالب فتاواه تتشابه مع فتاوى المعيار ، إلا أنني وجدت فيه ضالتي في بعض ملابس النصارى وما كان منهم لمشابهتهم للمسلمين في ذلك.

-**الدرر المكنونة في نوازل مازونة** لأبي زكريا يحي بن عيسى المغيلي المازوني (تـ 883هـ/1478م)، يحتوي على نوازل عديدة أفتى فيها فقهاء المغرب الأوسط من بجاية وتلمسان وغيرها من المدن، وبالنظر إلى مضمون هذه النوازل نجد أنها لم تهتم بشكل فاعل بالأقلية المسيحية وحالها بالبلاد ، إلا أنه من خلال الإستقراء والتمحيص أمكننا إستقاء مادة معرفية من بعض نوازل الجهاد ، وبعض الأحكام التي طبقت على أهل الذمة ومنهم النصارى.

- **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**[1] لأحمد بن يحي الونشريسي(تـ 914هـ/1508م) يعتبر من أهم كتب النوازل التي عنيت بتاريخ المجتمع المغربي بشكل عام وذلك لما حوته فتاوى الفقهاء من حلول ومشاكل واجهت أرض المغرب الأوسط ، فقد استفدت منه بشكل كبير على مختلف الأصعدة التي تطرقت لها الدراسة وكان الإعتماد بالدرجة الأولى على الجانب الإجتماعي للأقلية من أعياد ومواسم وتقاليد، وطريقة اللباس...، وأحكام أهل الذمة .

ب- كتب التاريخ العام:

- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**[2] لإبن عذارى المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1311م) من أهم المصنفات التي أرخت للتاريخي المرابطي والموحدي ، فكان الإعتماد عليه في التطور التاريخي لهاتين الدولتين، وفي دور النصارى و وضعم السياسي.

- **بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد**[3] ليحي ابن خلدون(تـ 780هـ/1378م)، كان له الفضل في التعريف بالكثير من المناطق الجغرافية والتطور التاريخي للبلاد ولا سيما في العهد الزياني، إضافة إلى أنه أمدني بحركية النصارى ودورهم في مجال الصنائع والحرف، كما يبرز لنا أهمية الجند المرتزقة ودورهم في جهاز الدولة.

---

[1] - أبوالعباس أحمد بن يحي الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، ،خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، الرباط ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،1981م/1401.

[2] - ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،قسم الموحدين، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون،ط1،الدار البيضاء، بيروت ،دار الغرب الإسلامي،1985م/1406هـ

[3] - يحي ابن خلدون :بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ،تح: عبد الحميد حاجيات ،طبعة خاصة ،عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011،

- **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب العجم البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**[1] لعبد الرحمن ابن خلدون (ت808 هـ/1406م)، يمثل هذا المصنف مرجعية هامة لتاريخ الشعوب نظرا لما احتواه من تاريخ مفصل للبشرية ككل، فمضامينه خدمت جذور النصارى وبدايات ديانتهم ، ونظرا لغلبة الطابع السياسي عليه فقد كان عليه الإعتماد أكثر في الوضع السياسي لهاته الجالية من جند وأسرى...

ج – كتب الحسبة والأحكام:

يكتسي هذا النوع من المصنفات أهمية بالغة في الدراسة، إذ أنها تحتوي على تخريجات فقهية تخدم مختلف عناصر الموضوع .

-**ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**[2] : جمعها ليفي بروفنسال ، يندرج في مضامينها أدوار المحتسب في مراقبة السوق والتشريعات المتخذة في ذلك وهي:

رسالة ابن عبدون التجيبي، التي استقيت منها المادة المعرفية عن بعض الحرف والصنائع التي اختص بها النصارى.

-**رسالة ابن عبد الرؤوف** ، تطرقت تقريبا لنفس الموضوع مع الزيادة في بعض أنواع الأطعمة النصرانية ، والأحكام المتعلقة بذلك.

-**أحكام أهل الذمة** لابن القيم الجوزية (ت 751هـ/1349م) يمتاز هذا المصدر بتعرضه لمختلف الأحكام الإسلامية التي فرضت على أهل الذمة عامة ومنهم النصارى ، فكان الأخذ به في أزيائهم ، ونظرة الإسلام لهم والسياسة المنتهجة إزاءهم...

---

[1] - عبد الرحمن ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان،

[2] - ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال،د .ط، مطبعة المعد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة،

-**تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر** ، لمحمد العقباني التلمساني (تـ 860هـ/1455م) ، ويرصد صاحب هذا الكتاب أوضاع خطة الحسبة ، وأحكام القضاة ، وفيه أحكام اتخذتها الدولة الإسلامية بالمغرب الأوسط تجاه أهل الذمة من فرض للجزية، وما يكون من حال لباسهم وبنيانهم، ومتعبداتهم الدينية.

هـ – كتب الجغرافيا والرحلات:

شكلت كتب الجغرافيا والرحلات مادة مصدرية من الأهمية بمكان، فلم تعنى فقط بمواقع المدن وجغرافيتها بل أمدتنا بوصف بالغ مسى مختلف جوانب الحياة في مناطق المغرب الأوسط ، ومنها كان التعرض للأقليات التي استوطنت البلاد.

– **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب** لأبي عبيد الله البكري(تـ 487هـ/1094م) اهتم المؤلف في كتابه بجغرافية المنطقة ، واستطعت التزود به من الجانب الجغرافي للبلاد الذي خدم الوضع الإقتصادي لهاته الجالية ألا وهو المراسي والموانئ التي كان يتم فيها التعامل التجاري.

– **الإستبصار في عجائب الأمصار**[1] لمجهول من القرن السادس للهجرة، أمدني هذا المصدر بحوصلة هامة للإطار الجغرافي لمنطقة المغرب الأوسط ، كما أنه تعرض لأحوال النصارى من خلال تفنيده للنظريات القائلة بتواجد هاته الجالية بالمنطقة .

– **وصف إفريقيا**[2] لحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي(توفي بعد سنة 957هـ/1559م)، كانت الإستفادة منه في أوضاع التجار النصارى وحالهم بالمغرب

---

[1] - مؤلف مجهول :الإستبصار في عجائب الأقطار ،تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد

[2] - الحسن بن محمد الفاسي الوزان :وصف إفريقيا ، تر: محمد حجي ، محمد الأخضر ،ط2،دار الغرب الإسلامي، بيروت.

الأوسط ، وذكر بعض معاملاتهم التجارية بالبلاد، كما زودني بعديد الأخبار عن العادات الإجتماعية المسيحية ، والتي شاركهم فيها الأهالي.

د- كتب التراجم والطبقات:

من المعروف أن هذا النوع من الكتب يتطرق لسير العلماء والفقهاء ، إلا أنها أمدتنا بمعلومات وإن كانت قليلة استطاعت أن تخدم هذه الدراسة، منها:

-**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، للغبريني البجائي (ت 704هـ/1304م)، ترجم هذا المصنف لعلماء بجاية والوافدين عليها، وفي سياق الحديث عن ذلك ورد ما كان من بيع وشراء للرقيق الأجنبي ودور النصارى في ذلك.

-**البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان** لابن مريم المليتي التلمساني (ق11هـ/17م) من خلال ترجمة هذا الكتاب للعديد من علماء تلمسان ، فقد استطعنا أن نستقي المادة عن بعض الفنادق المنتشرة بتلمسان الزيانية.

وإضافة لهذه المصادر كان الاعتماد على العديد منها دعمت أواصر البحث وأمدته بعمقية ودلاله أكثر ولا سيما تلك التي اهتمت بإعطاء المفاتيح الدلالية والتعريفية للموضوع كمقدمة ابن خلدون، وكتاب مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة...، ويضاف لها كم لابأس به من المراجع.

صعوبات الدراسة:

وكأي بحث علمي تاريخي فالدراسة لم تخل من مشاكل وصعوبات عرقلت مسيرة البحث ونذكر منها:

-قلة المادة المصدرية التي تخدم الموضوع ، حيث نجد أنها في الغالب تكون هناك إشارات طفيفة فقط لهاته الأقلية، وهذا ما صعب علي البحث في العديد من الجوانب، وبرز في البعض منها نقص من حيث الكم المعرفي.

-قلة الدراسات الحديثة التي تتعرض لهاته الأقلية ، وخصوصا إذا ما انحصرنا في مجال المغرب الأوسط.

-صعوبة التحكم في الفضاء الجغرافي والزمني للمغرب الأوسط ، فقد كان يمثل مجالا للصراع بين السلط الحاكمة سواء على الجبهة الشرقية أو الغربية.

-صعوبة التعامل مع المصادر الأجنبية ، وهذا راجع لنقصها أولا ، والتعامل مع اللغة ثانيا.

الفصل التمهيدي:

الأقلية المسيحية بالمغرب الأوسط (القرن 5هـ/11م-9هـ/15م)

مفاهيم ومصطلحات

أولا: تحديد مفهوم المصطلحات

ثانيا: الإطار الجغرافي والزماني للمغرب الأوسط

الفصل التمهيدي: الأقلية المسيحية بالمغرب الأوسط (القرن 5هـ/11م-9هـ/15م) مفاهيم وتعريفات

أولا: تحديد مفهوم المصطلحات

تميزت الأقلية المسيحية بتعدد التسميات والمصطلحات التي أوردت بها ، وإن كانت كلها ترمي إلى نفس المفهوم والمنطلق على الرغم من اختلاف البعض في معانيها ومرادفاتها، فالإشارة لهاته الطائفة استعمل بعض المؤرخين مصطلح "الروم" للتعبير على كل نصارى الغرب المسيحي، بينما ذهب البعض الآخر إلى إطلاق لفظ " النصارى" أو "النصارى المعاهدين" ، أو المعاهدين فحسب[1]، كما أطلق عليهم لفظ " العجم" أو "عجم الذمة" وارتبط هذا المصطلح على إقليم الأندلس بعد فتحه[2]، ونجد أن ابن الأثير أطلق عليهم في الغالب لفظ "الروم" ، و"المماليك الإفرنج"[3]، ويذهب ابن عذارى نفس مذهبه، حيث أطلق عليهم في أكثر من مناسبة مصطلح " الروم"[4]، إضافة لهذا فقد أطلق عليهم "أهل الذمة "، كما عرف من خضع منهم لأحكام الذمة باسم " الروم البلديين"، في حين نجد أن بعض المصادر أسمتهم بـ"العلوج"[5]، فانطلاقا من هذا ،ماهي المفاهيم اللغوية والاصطلاحية لهذه التسميات؟

---

[1] - إبراهيم القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، د.ط، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، د.س، ص67

[2] - خديجة قروعي :ظواهر إجتماعية مسيحية وإسلامية في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر الإمارة،ط1،دار النايا ، دار محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع،،دمشق ،سوريا ،1433هـ/2012م،ص94

[3] - عز الدين أبي الحسن ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ،تح :عدنان العلي وهيثم طعيمي ،المكتبة العصرية ،بيروت ،2013م /1434هـ ،ج8،ص296

[4] - ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ص ص 18-19، 102

[5] - إبراهيم القادري بوتشيش : المرجع السابق،ص67

وبما أن الموضوع يندرج تحت عنوان الأقلية المسيحية وجب علينا بداية الإلمام بمعاني هذا المصطلح ومراميه.

الأقلية: لغة هي من الفعل قل يقل قلة وقلا فهو قليل وقلال وقلال ،وأقل أتى بقليل[1] والقلة خلاف الكثرة[2] وهي أيضا عند الزبيدي ضد الكثرة والكثر[3] ومنه قلله بمعنى جعله قليلا ،ويقال قوم قليلون وأقلاء وقلل وقللون ،ويكون ذلك في قلة العدد ودقة الجثة[4] والأقلية خلاف الأكثرية وجمعها أقليات[5] أما اصطلاحا فهي مجموعات بشرية ذات سمات وخصائص تختلف عن مثيلاتها في مجتمع الأكثرية وغالبا ما تأخذ تسميات مختلفة مثل :الجالية أو الفئة أو الطائفة ،الملة أو فرقة أو مجموعة وغيرها من تسميات تدل على جذورها وأصولها وهويتها الاجتماعية والبشرية[6]، وفي كثير من الأحيان ما يكون بين رعايا الدول فئات تنتمي بجنسها أو بلغتها أو بدينها إلى غير ما ينتمي إليه غالبية الرعايا[7]وتنضوي تحت مفهوم الأقليات أنماط وأنواع مختلفة منها :الأقلية العرقية والأقلية اللغوية والأقلية الإقليمية والثقافية والسياسية والاقتصادية –الاجتماعية ،والأقلية الدينية –المذهبية وتعتبر هاته الأخيرة الأكثر ظهورا ،ويعد العالم الإسلامي موطنا لأقليات كثيرة عرقية ولغوية ودينية ، بحكم اتساعه وتاريخه المشترك الطويل ونتيجة للتسامح الديني وعدم التمييز بين البشرية[8]"..وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا

1– محمد بن مكرم ابن منظور :لسان العرب ،تح: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي ،دار المعارف، القاهرة،ج 11 ،ص 563

2 – أبو الحسن علي المرسي :المحكم والمحيط الأعظم ،تح :عبد الحميد هنداوي، د.ط، دار الكتب العلمية ،بيروت ،2000م،ج 6، ص 129

3– المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس ، تح: مجموعة من المحققين ، د.ط، دار الهداية، د.س ،ج30،ص273

4– أبو الحسن علي المرسي: المصدر السابق،ص130

5 – إبراهيم مصطفى وآخرون :المعجم الوسيط ، ، تح: مجمع اللغة العربية ،دار الدعوة ،الإسكندرية ،مصر، ج2، ص756

6– الموسوعة العربية العالمية، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، 1419هـ/1999م، مج2 الإسفنج – الأمريسيوم، ص412

7 – الموسوعة العربية الميسرة ، ط1،المكتبة العصرية ،بيروت ،1431/2010هـ، مج1 ،ص 350

8– الموسوعة العربية العالمية، ص412

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ "[1]، أما إذا أسقطنا المصطلح على الحدث التاريخي فنجد أنه لا ينطبق على كل مكان وعلى مر العصور ،فهو يستلهم دائما الظرف التاريخي السياسي الذي يعطيه الأبعاد الاجتماعية[2] وبالتالي فإن الأقليات مصطلح سياسي حديث جرى في العرف الدولي ،وقد اختلفت مدلولاته في عصرنا الحديث ، ولاسيما بما يحمله من مفاهيم غربية ،إذ أصبحت الكثير من المفاهيم التي كانت مقتصرة على الغرب مع مرور الزمن وبفعل عوامل حضارية مفاهيم إنسانية عالمية نظرا لما تفرضه الحضارة السائدة من قوانين ومعاملات تماما كما كان الحال مع العرب المسلمين فترة العصر الوسيط [3] ،وهذا ما فنده د. محمد عمارة برؤيته بأن الأقليات في استخداماتنا الثقافية والاجتماعية الحديثة والمعاصرة مصطلح وافد من المفاهيم الغربية التي وفدت على واقعنا الثقافي والحضاري منذ الاحتكاك بين حضارتنا الإسلامية والحضارة الغربية في العصر الحديث[4]،وإذا ما رجعنا إلى فترة الدراسة فنجد أن الإسلام لم يعرف مفهوم "الأقليات" بل عرف ما يسمى "الملل والنحل والأعراق" ولم يتعامل معها بوصفها مشكلة أو شيئا منفصلا عن النسيج العام للمجتمع، وجعل من التعامل معها وحل مشكلاتها موضوعا ضمن الإطار العام والسياق الحضاري للأمة[5]، ومن هنا فإن تراثنا الإسلامي الديني منه والحضاري والتاريخي وكذلك اللغوي لم يعرف مصطلح "الأقلية" بمفهومه الحديث الوافد من الغرب ،وإنما عرفه فقط بمعناه اللغوي أي "الأقلية العددية" في مقابل الأكثرية العددية دونما أي مفاضلة أو تمييز[6] وما نخلص إليه أن الأقلية كمفهوم :هي قسم من السكان يتميزون عن غيرهم اجتماعيا أو حضاريا أو سياسيا أو دينيا يسعون دائما إلى

---

[1]– سورة الحجرات الآية13

[2] – برهان غليون : المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات ،ط1،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ،أوت 1979،ص 14

[3]– اسكندر شاهر سعد :مسألة الأقليات وسبل تخفيف التوترات الدينية والإثنية في الشرق الأوسط ،سلسلة قضايا إستراتجية ،العدد 27، مارس 2009، المركز العربي للدراسات السورية ،دمشق ،ص ص 33،8

[4] – محمد عمارة :الإسلام والأقليات ،ط2 ،مكتبة الشروق الدولية ،القاهرة،2007م، ص ص 8،7

[5] – اسكندر شاهر سعد: المرجع السابق،ص23

[6] – محمد عمارة :المرجع السابق ،ص ص 16،8

المساواة والعدل مكونين بذلك جماعات سواء اجتماعية أو مهنية أو جغرافية أو دينية ليست دائما على المستوى نفسه من القوة أو النفوذ أو حتى التطور الاجتماعي[1].

المسيحية: (CHRISTIANITY) من الفعل مسح ،وكل حروفه أصل صحيح وهو بمعنى إمرار الشيء على الشيء بسطا ،ومسحته بيدي مسحا[2] ،ويقال مسح في الأرض يمسح مسوحا بمعنى ذهب ،ومسحت الإبل أرضا يومها دأبا أي سارت فيها سيرا شديدا [3]، والمسيح هو الذي أحد شقي وجهه ممسوح لاعين له ولا حاجب وبذلك سمي الدجال مسيحا[4]،وهو أيضا الدرهم الأطلس كأن نقشه قد مسح [5] والمسيح :الكذاب[6] والمسيح الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام ابن مريم، وقيل أطلق عليه لصدقه ،وفي هذا اختلافات إذ قيل أنه سمي به لأنه كان سائرا في الأرض لا يستقر[7] ، وسمي بذلك أيضا لأنه كان يمسح يده على العليل والأكمه والأبرص فيبرئه بإذن الله وورد في هذا أيضا لأنه مسحت عنه القوة الذميمة من الجهل والشدة والحرص وسائر الأخلاق الذميمة[8]،وقد سمى القرآن الكريم عيسى عليه السلام بهذا الاسم إذ جاء في قوله تعالى :" إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ "[9] وكلمة مسيح باليونانية CHRISTOS وهي ترجمة للفظة العبرية "مشيح" وتعني عندهم الذي مسح على رأسه على

1– برهان غليون :المرجع السابق،ص14

2– ابي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء: معجم المقاييس في اللغة، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان،ص984،985

3– محمد بن مكرم ابن منظور: المصدر السابق،ص51

4– ابي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء : مجمل اللغة ، ، تح :زهيرعبد المحسن سلطان ،ط2،مؤسسة الرسالة ،سوريا،1986م/1406هـ ، ج1، ص371

5– ابي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء :المقاييس في اللغة ،ص985

6– محمد بن عبد الله الطائي الجياني: إكمال الأعلام بتثليث الكلام، ، تح: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى ،مكة المكرمة،1984م/1404هـ ،ج2،ص 626

7 – أبو الحسن علي المرسي: المصدر السابق،218/3

8 – المرتضى الزبيدي :المصدر السابق ،7/ 123

9 – سورة آل عمران الآية 45

يد الله ليكون مختارا من بين البشر[1] فنسبة إلى عيسى عليه السلام سميت المسيحية بهذا الاسم وهي ما جاء به المسيح من نصوص كلامه[2]، ويمتاز الدين المسيحي بالنزعة إلى تنظيم صفوف معتنقيه تنظيما محكما[3] وأول ظهور لها بهذا الاسم كان في كتابات إغناطيوس أسقف أنطاكية(ت حوالي110م)،وتعرف عند اليونانين بمصطلح CHRISTIAINISMOS الذي يدل على أن المسيحية تختلف عن الديانة اليهودية[4]، وكالإسلام فإن المسيحية أيضا عرفت انقسامات مذهبية نظرا لاختلافات الرؤى الدينية والإضافات والتغيرات التي استبدت بها الكنيسة الغربية (أي اللاتينية الرومانية)[5]،فكما ذكر ابن خلدون :"...ومن جمع خلقدونية افترقت الكنائس والأساقفة[*] إلى يعقوبية[**]، وملكية ونسطورية..."[6] إلا أن المذاهب السائدة هي الكاثوليكية والأرثودكسية[***]، حيث بعد

---

1 – الحسن بن طلال : المسيحية في العالم العربي ،المعهد الملكي للدراسات الدينية، مكتبة عمان ،1995،ص15

2– محمد إبراهيم كركور: تطور المسيحية بين عيسى عليه السلام وبولس ،مركز التنوير الإسلامي ،القاهرة،2006،ص6

3– الموسوعة العربية الميسرة :المرجع السابق،3229/6

4– الحسن بن طلال : المرجع السابق ،ص98

5 – سعد رستم :الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم،ط2، الأوائل للنشر والتوزيع ،دمشق،2005،ص36

* – الأساقفة :مفردها أسقف وهو رئيس النصارى في الدين ،إسم سرياني مشتق من المسقف كالأسقف ،وهو بين السقف لأنه يتخاشع ،ابن منظور :المصدر السابق 155/9

** – هي فرقة مسيحية تنسب إلى يعقوب ، وهي إحدى فرق ثلاث اختلفت حول طبيعة يسوع المسيح، والفرقتان الأخريان هما الملكانية والنسطورية، يدور مذهبهم على القول بأن المسيح هو الله والإنسان اتحدا في طبيعة واحدة هي المسيح، ومنهم من قال أن المسيح هو الله ، وذهب أكثرهم إلى أن المسيح جوهر واحد وأقنوم واحد ، ولكنه جوهر من جوهرين ، أو هو طبيعة واحدة من طبيعتين إحداهما إلهية والأخرى إنسانية ، ولكنهما كما تركبت النفس والبدن ، الموسوعة الميسرة،ص3648

6 – عبد الرحمن ابن خلدون : ،المصدر السابق ، 149/2

*** – الكاثوليك: هم أتباع البابا في روما ، وهم حاليا أكثرهم الأوروبيين الغربين وشعوب أمريكا الجنوبية، وتسمى كنيستهم الكنيسة الغربية، وأهم ما يتميزون به هو قولهم بأن الروح القدس انبثق من الأب والابن معا

الأرثودكس: هم النصارى الشرقيون الذين تبعوا الكنيسة الشرقية في القسطنطنية ، أهم ما يتميزون به أن الروح القدس انبثق عندهم من الاب فقط، ولا يجتمعون تحت لواء رئيس واحد، بل كل كنيسة مستقلة بنفسها، سعود خلف : دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية،ط1،مكتبة أضواء السلف، الرياض ،1997م/1418هـ ، ص276-277

المجمع[***] الغربي اللاتيني عام 869م والشرقي اليوناني عام 879م انفصلت الكنيسة اليونانية عن كنيسة روما وأصبحت إحداهما تعرف : بالكنيسة الغربية البطرسية وهي الكاثوليكية[1] وهي كلمة يونانية تعني عام أو شامل وتمثل أحد المعالم الكلاسيكية للمسيحية[2] وهي قائمة على الاعتقاد بالعقيدة الواحدة والقائد الروحي الواحد ،ويعترفون بالبابا[*] الأب الروحي وخليفة الرسول بطرس[3] أما الكنيسة الثانية فهي الشرقية اليونانية الأرثودكسية :لا تعترف إلا بالمجامع السبعة التي سبقت مجمع القسطنطنية كما لا تعترف لبابا روما بالسيادة أو الرياسة ، وكان الانفصال التام بين الكنيستين في نصف القرن 11م/5هـ[4].

<u>النصارى</u>: لغة هي جمع نصري ونصران [5] وعند ابن بري هي جمع نصران ونصرانة ويراد بذلك الأصل دون الاستعمال والمستعمل في الكلام نصراني ونصرانية بياءي النسب ،وهي من الفعل نصر أي بمعنى جعله نصرانيا [6] ومنها النصرانية التي تطلق على الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام الناصري إلى بني إسرائيل منذ أكثر من ألفين سنة[7] ،والتنصر بمعنى الدخول في النصرانية وفي المحكم الدخول في دين النصري[8] وفي الحديث

** – المجامع: هي التي كانت في القرون الأولى للمسيحية وهي التي حددت للأخلاق حدود العقيدة المسيحية في نظر مقريها وهب التي رسمت التقاليد الكنسية القائمة في الكنائس وتتمثل في جماعات شورية مسيحية ،عقد أول مجمع لهم بأورشليم بعد ترك المسيح لهم بـ 22يوم ،محمد أبوزهرة: محاضرات في النصرانية،ط4،الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإسلامية ،الرياض،1404هـ ، ص ص148،147

[1] – سعد رستم :المرجع السابق ،ص43

[2] – جون ر. هينليس : معجم الأديان الدليل الكامل للأديان العالمية ،تر: هاشم أحمد محمد، مراجعة وتقديم: عبد الرحمن الشيخ،ط1،المركز القومي للترجمة ،القاهرة ،2010،ص139

* – البابا :الرئيس الأعلى للكنيسة الكاثوليكية ،والبابوية منصب البابا ومقامه ،إبراهيم مصطفى وآخرون :المرجع السابق،ص35

[3] – Dictionnaire Encyclopédique Larousse.Librairie Lrousse.Paris.1979 .p275

[4] – سعد رستم :المرجع السابق، ص ص 44،43

[5] – أبو الحسن علي المرسي :المصدر السابق،300/8

[6]– محمد بن مكرم ابن منظور :المصدر السابق ،5/ 210

[7]– محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين ، ط3،دار المعرفة ،بيروت،1971،ج10، ص197

[8]– محمد بن مكرم ابن منظور :المصدر السابق،210/5

" ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء... "[1]، إذن فالنصارى هم قوم سيدنا عيسى عليه السلام ويراد بهم خاصة نصارى الشرق[2]، وهم الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام وكتابهم الإنجيل[3] فالنصرانية هي الملة التي يدعي أصحابها أنها الديانة التي جاء بها عيسى عليه السلام ،إذ أنها حادت عن تعاليم المسيحية الحقة بعد التحريف والتغير الذي طالها ،وقد أطلق القرآن الكريم على الذين حرفوها النصارى وأهل الإنجيل[4]"وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ، وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ. وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ "[5]، أما عن التسمية فقيل أنهم نسبوا إلى قرية بالشام اسمها نصرونة وعند الجوهري نصران ،ويقال أيضا أنها ناصرة [6] من أرض الجليل بفلسطين موطن عيسى عليه السلام والمكان الذي ولد فيه وابتدأ دعوته فيه ،ويستدل على هذه النسبة بنصوص الإنجيل[7] "وإذ أوحي إليه في حلم انصرف إلى نواحي الجليل ،وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة ،لكي يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصريا"[8] .

أهل الذمة : الذمة هي كل حركة يلزمك من تضييعها الذم ،يقال لها ذمة وتجمع على ذم وذمام وذمم[9] ولغة هي العهد لأن نقضه يوجب الذم ،ويفسر بالضمان والأمان وكل ذلك

---

1 – أبي زكرياء يحي النووي: صحيح مسلم ،تح: محمد صدقي العطار،ط1،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ،2009م/1430هـ،ص 158

2 –الموسوعة العربية الميسرة: المرجع السابق،ص3384

3 – سعود بن عبد العزيز الخلف :المرجع السابق ،ص 121

4 – محمد إبراهيم كركور:المرجع السابق ، ص ص 7،8

5 – سورة المائدة الآية46–48

6– محمد بن مكرم ابن منظور :المصدر السابق،210/5

7 – محمد إبراهيم كركور :المرجع السابق،ص7

8 – إنجيل متى (إصحاح 23/2)

9–أبو البقاء الكفومي : كتاب الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،تح: عدنان درويش ، محمد المصري، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1998م/1419هـ ،ص 712

متقارب [1] ويقال رجل ذمي بمعنى رجل له عهد وهو منسوب إلى الذمة[2] ،وقد سمي الذمي لأنه يدخل في أمان المسلمين ،فأهل الذمة هم أهل العقد والعهد وهم الذين يؤدون الجزية من المشركين كلهم[3] ومنها عاهد الذمي معاهدة ، ومعاهدته بمعنى مبايعته لك على إعطائك الجزية وكفك عنه وعهيدك :المعاهد لك[4] وقولهم فلان من أهل الذمة معناه من أهل العهد ،قال الله تعالى :" لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً" ،فالإل القرابة ،والذمة العهد ،وقيل أن الإل :العهد ، والذمة: التذمم ممن لا عهد له[5]، وجاء في الحديث "المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم"[6] ومن هنا فأهل الذمة هم من تصالحوا مع المسلمين من اليهود والنصارى من أهل الكتاب على دفع الجزية والإقامة في دارهم دون الإخلال بما تصالحوا عليه[7]، فالذمة هي حق المواطنة والحرمة والأمان وحرية المعتقد ،وترجع عقود الذمة إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ،وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم أهمية كبرى بحيث أدرجها وأكد عليها في وثيقة المدينة التي تنظم حياة مجتمع المدينة بمختلف توجهاته ومعتقداته[8]، فكان لهم عهد مؤيد بالإقامة في دار الإسلام مع دفع الجزية[9] وبهاته الأخيرة كان لهم حقان : حق الكف عنهم وحق الذود والحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية

1– أبو الفتح ناصر الدين بن المطرز : المغرب في ترتيب المعرب ،تح :محمد فاخوري وعبد الحميد مختار ،ط1،مكتبة أسامة بن زيد ،حلب ،1979م،ج1، ص307

2 – محمد بن مكرم ابن منظور :المصدر السابق ،220/12

3 – المرتضى الزبيدي :المصدر السابق، 306/32

4–أبو الحسن ابن سيده : المخصص ، ،تح: خليل إبراهيم جفال ،ط1،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،1996م/1417هـ، ج4،ص71

5– أبو بكر محمد الأنباري : الزاهر في معاني كلمات الناس، تح: حاتم صالح الضامن ،ط1،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1992م/1412هـ، ص415

6 – إبراهيم مصطفى وآخرون :المرجع السابق ،ص 315

7 – أبي الحسن علي الشافعي :منهج الصواب في قبح إستكتاب أهل الكتاب، تح :سيد كسروي،ط1، منشورات علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،2002م/1422هـ ،ص7

8 – عبد العزيز فيلالي: دراسات في تاريخ الجزائر و الغرب الإسلامي،ط1،دار الهدى ،عين مليلة،الجزائر،2012، ص53

9 –أبي أمامة النقاش :المذمة في استعمال أهل الذمة، سيد كسروي،ط1، منشورات علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،2002م/1422هـ ،ص7

محروسين[1] وروي أن آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كان "احفظوني في ذمتي" وعمل المسلمون على هذا النهج مع أهل الكتاب من الأقليات الدينية في عهد الفتوحات، وما أعقبها من دول المشرق والمغرب[2].

أهل الكتاب: لغة هم قراء التوراة والإنجيل ،والأهل هم أصحاب الأملاك والأموال[3] وهم اليهود والنصارى سماهم القرآن الكريم كذلك لأن لهم كتبا منزلة هي التوراة والإنجيل والزبور ،يتميزون عن عبدة الأوثان[4]" يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُوْلُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُوْلُوْا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيْرٍ وَلاَ نَذِيْرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيْرٌ وَنَذِيْرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ "(الآية 19 من سورة المائدة).وقد صنف البعض على أن الصابئة ممن تشتملهم التسمية إذ ورد في الصحاح أنهم جنس من أهل الكتاب[5]، وذهب رأي الكثيرين على أنهم ليسوا منهم، وقد أخذت الجزية منهم لأنهم من العجم لا لأنهم من أهل الكتاب ويدل على أنهم ليسوا منهم قوله تعالى : "إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا"[6]، ومتى استسلم أهل الكتاب ودفعوا الجزية أصبحوا أهل ذمة يتولى المسلمون حمايتهم ، ولهم حق أن يأكلوا طعامهم ويتزوجوا نساءهم : " وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ..."(الآية05 من سورة المائدة)[7].

---

[1] – أبو الحسن علي الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات السلطانية، تح: أحمد مبارك البغدادي ،ط1،مكتبة دار ابن قتيبة ،الكويت،1989م/1409هـ ،ص182

[2] – عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ،ص 54

[3] – المرتضى الزبيدي: المصدر السابق ،28/ 45

[4] – الموسوعة العربية الميسرة: المرجع السابق،494/1

[5] – محمد بن أبي بكر الرازي : مختار الصحاح، تح : محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون ،بيروت ،1995م/1415،ص149

[6] –أبو الفتح ناصر الدين بن المطرزي: المصدر السابق،259/2

[7] الموسوعة العربية الميسرة: المرجع السابق ،494/1

_ المعاهد: من العهد والجمع عهود ،وهو الميثاق واليمين التي تستوثق بها ممن يعاهدك[1] ،والعهدة: كتاب الحلف والشراء وهو الحفاظ ورعاية الحرمة وفي الحديث "حسن العهد من الإيمان "، والعهد الأمان ،وجاء في تنزيله الحكيم " لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ"(الآية 124 من سورة البقرة)[2] والمعاهدون هم الذين بينهم وبين المسلمين عهد[3] وسموا أهل العهد للذمة التي أعطوها والعهدة المشترطة عليهم ولهم العهد [4] فإذا أسلموا سقط عنهم اسم العهد ،وأهل الذمة وأهل العهد سيان إلا أن أحدهم عهده إلى مدة وعهد الآخر بلا مدة ما أدى الجزية[5]،وقد روي عن عطاء عن ابن عباس "كان المشركون على منزلتين من النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا مشتركي أهل حرب يقاتلهم ويقاتلونه ومشتركي أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونه"[6]، وفي قوله صلى الله عليه وسلم أيضا :"لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهدة أي لا يقبل ذو ذمة من المعاهدين في ذمته..."[7]

المستأمن: لغة من الفعل استأمن بمعنى دخل في الأمان، ويقال ما كان أمينا ولقد أمن أمانة [8] وهو أيضا بمعنى استجار وطلب الحماية ،وقيل استأمن الحربي بمعنى استجار ودخل دار الإسلام[9] فالمستأمن هو الذي أعطي أمانا للإقامة المؤقتة في دار الإسلام[10]،

---

1 – محمد بن مكرم ابن منظور :المصدر السابق،311/3

2 – أبو الحسن علي المرسي : المصدر السابق ،120/1

3 – أبي أمامة النقاش :المصدر السابق ،ص7

4 – محمد بن مكرم ابن منظور: المصدر السابق،311/3

5 – محمد الأزهري الهروي :الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، تح: محمد جبر الألفي،ط1،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،الكويت،1399هـ ،ص 357

6 –أبو عبد الله محمد البخاري :الجامع الصحيح ،ج3، تح: محب الدين الخطيب ،ط1،المطبعة السلفية ومكتبتها ،القاهرة 1400هـ ،ص409

7 – محمد الأزهري الهروي: المصدر السابق، ص 357

8 – أبي القاسم علي السعدي ابن القطاع :كتاب الأفعال ،ط1،عالم الكتب ،بيروت،1983،ج1،ص 32

9 – مصطفى إبراهيم وآخرون :المرجع السابق ،ص28

10 – أبي أمامة ابن النقاش :المصدر السابق ،ص8

كالتجارة والعلاج، والتعليم أو السياحة أو المرور بها فهو آمن فترة قضاء أمر مالم يخل بما اتفق عليه معه [1].

الجالية: من الفعل جل ،وجل القوم عن منازلهم يجلون جلولا جلوا[2]،وجلا الخبر بمعنى وضح وانكشف وعن البلد خرج [3]ومنه الجلاء وهو الخروج من البلد والإخراج أيضا، وقد جلوا عن أوطانهم وجلاهم غيرهم ،ويقال أيضا أجلوا عن البلد وأجلاهم غيرهم[4] والجالية هي الجماعة من الناس التي تعيش في وطن جديد غير وطنهم الأصلي[5]،وقد أتت على تأويل الجماعة والجمع الجوالي ،ويقال استعمل فلان على الجالية إذا ولي أخذ الجزية منهم[6]، وقد أطلق هذا الاسم على أهل الذمة لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجلاهم عن جزيرة العرب لما تقدم من أمر النبي صلى الله عليه وسلم فيهم[7] "أسلموا تسلموا واعلموا أن الأرض لله ورسوله ،وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض ..."[8] ولزمهم هذا الإسم أين حلوا ،ثم لزم كل من لزمته الجزية من أهل الكتاب بكل بلد ،وإن لم يجلوا عن أوطانهم[9].

الفرنجة أو الإفرنجة: جيل من الناس يسكنون أوروبا[10] وقيل أنهم من ولد طوبال بن يافث ،وقيل من ولد غطرما بن كومر بن يافث[11] وهم قبائل جرمانية يسكنون جهة بحر الشمال

---

1 – أبي الحسن علي الشافعي :المصدر السابق ،ص7

2 – أبو الحسن علي المرسي :المصدر السابق 206/7

3 – محمد عبد الرؤوف المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف ،تح: محمد رضوان الداية،ط1، دار الفكر المعاصر ،دار الفكر ،بيروت، دمشق، 1410،ص 250

4 – محمد بن أبي بكر الرازي :المصدر السابق ،ص46

5 – مصطفى إبراهيم وآخرون :المرجع السابق ،ص 132

6 –ابو الفتح ناصر الدين بن المطرزي: المصدر السابق ،ص155

7 – أبو منصور محمد الأزهري :تهذيب اللغة ، تح: محمد عوض مرعب ،ط1،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،2001،ج11،ص126

8 – أبي عبد الله محمد البخاري :المصدر السابق ،410/2

9– محمد بن مكرم ابن منظور :المصدر السابق ،149/14

10 – مصطفى إبراهيم وآخرون :المرجع السابق ،ص 21

11 – أبي العباس أحمد القلقشندي :صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، د.ط ،مطبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة ،1922م/1340 هـ ،ج1، ص 369

من أوروبا أغاروا في القرن 5م على بلاد الغال وهي ما تعرف حاليا بفرنسا وسويسرا وبلجيكا وقطعة من ألمانيا[1] ولهذا ورد عند ابن خلدون أن العامة تطلق عليهم إفرانسيس نسبة إلى إفرانسة ،وهم بالعدوة الشمالية من البحر الرومي الغربي (البحر الأبيض المتوسط) مابين جزيرة الأندلس وخليج القسطنطنية مجاورون الروم من جانب الشرق والجلالقة من جانب الغرب وكانوا قد أخذوا بدين النصرانية مع الروم، ومنهم لقنوا دينها[2] وسرى استعمال مصطلح الفرنجة عند المسلمين مع إطلاق العرب له على نصارى إسبانيا[3].

الروم: بالضم وهو الجيل المعروف ومفرده رومي[4] وهم الأمة المعروفة الذين منهم ملوك القسطنطنية ،أما عن نسبهم فيرجع إلى بني كيتم بن يونان وهو يابان بن يافث بن نوح ،والبعض يرجعهم إلى ولد رومي بن يونان بن علجان بن يافث بن نوح ،وقيل من ولد رعوا ابن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام[5]،وعند الجوهري من ولد روم بن عيصو بن إسحاق[6]،وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم :" الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ..."[7] ،وقد أطلق لقب الروم على بني الأصفر من سكان آسيا الصغرى والقسطنطنية وما إليها[8]، وعن سبب تسميتهم ببني الأصفر قيل أنه غلب حبشي على ناحيتهم في بعض الدهور وأنجب من نسائهن أولادا فيهم من بياض الروم وسواد الحبشة فكانوا صفرا ،فنسب الروم إلى الصفر والأصفر[9].

---

1 – محمد فريد وجدي : المرجع السابق،401/1

2 – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق ،315/6

3– محمد فريد وجدي: المرجع السابق401/1

4 – محمد عبد الرؤوف المناوي :المصدر السابق، ص 379

5 – أبي العباس أحمد القلقشندي :المصدر السابق 367/1

6 – محمد بن أبي بكر الرازي :المصدر السابق، ص 111

7 – سورة الروم الآية 1–3

8 – إبراهيم مصطفى وآخرون :المرجع السابق،ص516

9 – أبو بكر محمد الأنباري :المصدر السابق،132/2

العلج: الرجل يعلج علجا اشتد[1] وهو العير (الجمال) وحمر الوحش الزعفان ،وبمعنى الضخم من الرجال وهو الكافر[2] والجمع علوج وأعلاج وهو ذو لحية[3].

1 – محمد فريد وجدي: المرجع السابق، 539/6

2 – محمد بن عبد الله الطائي الجياني :المصدر السابق،446/2

3 – أبو الحسن علي المرسي :المصدر السابق،325/1

ثانيا: الإطار الجغرافي والزماني للمغرب الأوسط.

تمثل أرض المغرب الإسلامي مجالا واسعا بحدودها الجغرافية وتطوراتها السياسية والحضارية ،التي امتازت بالتفاوت والتأرجح بين الانحصارات والتوسعات لأقطار البلاد نتيجة للصراعات السياسية والنعرات القبلية التي سادت المنطقة ولاسيما بلاد المغرب الأوسط نظرا لتموقعها بين مجالين متكافئين ،فماهي الأطر التي رسمت للمغرب الأوسط جغرافيا وزمانيا؟

يطلق اسم المغرب على ناحية معروفة بعينها[1] إذ يدل على مكان من الأمكنة بإضافته لجهة المشرق ،فكل مكان من الأرض يعرف بالمغرب بالإضافة إلى جهة المشرق والمشرق بالإضافة إلى جهة المغرب ولهذا خصصت الأسماء بجهات معينة وأقطار مخصوصة[2] وبلاد المغرب ثلاثة أقسام :الغربية منها تعرف بالمغرب الأقصى وهو من ساحل البحر المحيط إلى تلمسان شرقا وغربا ومن سبتة إلى مراكش ثم سجلماسة وما في سمتها شمالا وجنوبا ،والقسم الشرقي إفريقية (المغرب الأدنى) ويمتد إلى برقة إلى حدود ديار مصر أما القسم الثالث فهو المغرب الأوسط[3] ،وقد امتازت هذه الأقاليم بميوعة الفواصل بينهما إذ نجد أن الحدود غير ثابتة بينهم ولاسيما إذا ما انحصر الأمر بين المغرب الأقصى والأوسط[4]، فقد كان يعرف هذا الأخير نهاية القرن 4هـ/10م بوطن زناتة[*] "...وأما المغرب الأوسط فهو في الأغلب ديار زناتة "،إذ استوطنته قبائل مغراوة وبني يفرن ومغيلة وكومية ومطغرة...

---

[1] – أبو العباس أحمد الناصري: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ،تح :جعفر الناصري ،محمد الناصري ،دارالكتاب،ج1 ،ص33

[2] – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، 99/6

[3] – عماد الدين أبي الفدا :تقويم البلدان ، د. ط، دردسن،1846م،ص96

[4] أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس، د.ط ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت،ص11

[*] – وزناتة من القبائل البترية ،يرجع نسبها إلى جانا بن يحي بن صولات بن ورماك بن ضري بن زحيك بن مادغيس بن بربر، وعن جدهم هذا أخذوا التسمية ونتيجة لنطقهم الذي حول الجيم (ج) إلى زاي(ز) فصار لفظ زانات ومن ثم حذفت الألف التي بعد الزاي تخفيفا لكثرة دوارنه على الألسنة، وعن هذا الحلف يندرج الكثير من شعوبهم وبطونهم إذ اتفق النسابة على أنهم يرجعون إلى ثلاثة من ولد جانا وهم :ودليك وفرني والديرت ،ومنهم مغراوة وبنويفرن،بنو يرنيان، وبنو واسين ،بنو ورنيد ،و وجديجن وبني يلومي ،بني وامانوا، بني توجين ويجفش وبني مرين ،وبنو عبد الواد، وبني راشد وبني برزال...،(العبر 5،6/7)

وغيرها من بطون هاته القبيلة[1] وعرفت امتداداته من وادي ملوية غربا إلى وادي الشلف والزاب[**] شرقا ومن ساحل شرشال ووهران[***] شمالا إلى إقليم تيهرت جنوبا[2] ، غير أنها شهدت اتساعا أشمل لحدودها بقيام الدولة الحمادية (405هـ -547هـ/1015م -1152م) حيث امتدت من مدينة بونة[*] شرقا كحد فاصل بين المغربين الأوسط والأدنى ومن مدينة تلمسان وما والاها كفاصل بين الأوسط والأقصى [3]، إلا أن هذه الحدود لم تكن بالثابتة فقد تعرضت لعديد من التغييرات المتتابعة نظرا للتطورات السياسية [4] فدولة صنهاجة بقسميها نشأت بعد رحيل المعز الفاطمي لمصر واستخلافه لبلكين على إفريقية والمغرب[5] الذي بدوره عقد لأخيه حماد على آشير والمسيلة[**] (من أرض المغرب الأوسط)، وبذلك استقل بها سنة 387هـ/997م أيام باديس بن بلكين ،وقد أقطعه هذا الأخير ولاية آشير والمغرب الأوسط وكل

---

[1] – عبد الرحمن ابن خلدون :المصدر السابق،103/6

** – إقليم الزاب: يقع على أطراف الصحراء في سمت البلاد الجريدية ،وبه مدن كثيرة وعمائر متصلة منها: المسيلة ونقوس وطبنة وبسكرة وتهودة ...،وأقرب ما لقلعة حماد من بلاد الزاب المسيلة ، محمد بن عبد المنعم الحميري :الروض المعطار في خبر الأقطار،تح :إحسان عباس ،ط2،مكتبة لبنان،بيروت ،ص ص 281

*** – وهران: على ساحل البحر، بنيت سنة 290هـ بناها جماعة من الأندلسين البحريين ،ولها مرسى كبير للسفن المصدر نفسه، ص612

[2] – الطاهر بونابي: الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15الميلاديين،إشراف:عبد العزيز فيلالي ،أطروحة دكتوراة العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر،2008-2009م،ص100

* – بونة : مدينة قديمة ،وهي على ربوة مشرفة على فحوصها وقراها ،تصنف في غالب الأحيان من إقليم إفريقية ،لها مرسى يسمى بالأزقاق وهو من أشهر المراسي ،مؤلف مجهول : المصدر السابق،ص127

[3] – موسى هيصام :الجيش في العهد الحمادي 504-547هـ/1014-1152م ،رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الوسيط، ،إشراف :موسى لقبال، جامعة الجزائر ،2000-2001،ص1

[4] – عبد الحليم عويس :دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري،ط2،دار الصحوة للنشر والتوزيع ،القاهرة،1411/1991هـ ،79

[5] – أحمد توفيق المدني :كتاب الجزائر ،ط2 دار المعارف ،1963،ص25

** – آشير :بينها وبين المسيلة مرحلة من بلاد الزاب ،بناها زيري بن مناد تعرف بآشير زيري ،وهي بين جبال شامخة ، تقع بالقرب من مدينة المدية.

المسيلة :من بلاد الزاب بالقرب من قلعة بني حماد ،أسسها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله الشيعي سنة 313هـ/828م ،حواليها قبائل كثيرة من البربرمن عجيسة وهوارة وبني برزال. محمد بن عبد المنعم الحميري :المصدر السابق ،ص ص558،60

بلد يفتحه نظير حروبه مع قبائل زناتة (395هـ/1004م)[1] فاختط مدينة القلعة المنسوبة إليه وبنى فيها القصور العالية والمساجد الجامعة والبساتين الأنيقة وبذلك كان عهد حماد عهد بناء وتشييد الدولة [2] ،فقد مثلت مرحلة القلعة المرحلة المهمة في تاريخ الدولة الحمادية نظرا للحضارة والتطور الذي عرفتهما وكذلك المدى الزمني الذي عاشته كعاصمة أولى في ظل الدولة[3]،وبالتالي فإن بني حماد عرفت عاصمتهم في فترة نشأة الدولة بالقلعة وآشير ،ثم إنتقلت إلى بجاية عقب تأسيسها سنة 460هـ/1067م[4] والتي يصفها عبد الواحد المراكشي بمعقل صنهاجة الأعظم وحرزهم الأمنع فيها نشأ ملكهم ومنها انبعث أمرهم[5]،ووصفها صاحب الإستبصار: "وهي مدينة عظيمة على ضفة البحر، والبحر يضرب في صورها ،وهي محدثة من بناء ملوك صنهاجة أصحاب قلعة أبي طويل..."[6] ومن هنا توسع مفهوم المغرب الأوسط، إذ حدده الإدريسي بدقة في قوله "ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد... ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب "[7] ويذكر القيرواني في كتابه المؤنس أنه جرت بين الزيريين والحماديين عدة وقائع إلى أن احتوى بنو حماد على البلاد الغربية وصارت بلد بجاية دار ملك بني حماد[8] وقد وصلت المنازعات بينهما إلى حد أن ضم الناصر بن علناس (454هـ -481هـ/1062م0-1089) مدينتي تونس والقيروان بطلب

---

1 – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق 172/6

2 – لسان الدين ابن الخطيب :تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ،القسم الثالث من أعمال الأعلام ،تح :أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ،الدار البيضاء،1964م ،ص ص85،86

3 – Mas Latrie .Relation et Commerce de l'Afrique septentrional ou Maghreb avec les nations Crétiennes au moyen age .Librarie de firmin didot.Paris.1886. p32

4 – رابح بونار :المغرب العربي تاريخه وثقافته،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1981 ،ص207

5 – عبد الواحد المراكشي :المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،تح:محمد سعيد العريان،مطبعة الإستقامة ،القاهرة،1950،ص 127

6 – مؤلف مجهول :الإستبصار، ،ص218

7 – الشريف الإدريسي :نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ،مطبعة بريل ،ليدن 1864،ص ص 82،90

8 – أبي عبد الله محمد الرعيني القيرواني :المؤنس في أخبار إفريقية وتونس،ط1،مطبعة الدولة التونسية،1286هـ ،ص93

من سكانهما[1] ،وقد ذهب عبد الرحمن الجيلالي إلى أن حدود دولة حماد لا تتعدى حدود ولايتي الجزائر وقسنطينة حاليا ،وتمتد في الجنوب إلى وارجلان[2] ، وقسنطينة هي آخر مملكة بجاية وأول مملكة إفريقية[3] ، وجاء عن عبد الواحد المراكشي أنهم(بنو حماد) كانوا يملكون من قسنطينة إلى المغرب إلى موضع يعرف بسوسيرات(واد السيق حاليا) بينه وبين بجاية تسعة مراحل[4] ويرى ابن خلدون أن نفوذ الناصر بن علناس وصل من جهة الجنوب إلى وارجلان ،وأخضع بسكرة ونواحيها من جهة الزاب[5] أما الحدود الشرقية فقد امتدت إلى بونة حسب ابن سعيد المغربي "وأول سلطنة إفريقية على البحر مدينة بونة"[6] كما أورد ذلك عبد الواحد المراكشي بقوله: "ومدينة بونة هي أول حد بلاد إفريقية "[7] وإضافة لهذا فإن الدولة الحمادية احتلت الشمال الساحلي ممتدة من بونة وخليج سكيكدة (المرسى التجاري لولاية قسنطينة) إلى سوسيرات القريبة من وهران وتلمسان ،ومن أشهر المدن الساحلية آنذاك جيجل وبجاية وأزفون ودلس...[8]،ومع كل هذه الظروف نصل إلى أن دولة بني حماد عرفت ثلاث أطوار تاريخية من التأسيس إلى السقوط:

أولاها: 405هـ -443هـ/1014م-1051م تميزت بتشييد الدولة وبناء القلعة والصراع الدموي بين أبناء الأسرة الصنهاجية الواحدة.

ثانيا:443هـ -481هـ/1051م -1089م عرفت فيها أوج عظمتها اتساعا وحضارة بعد أن حولت العاصمة إلى بجاية.

---

[1] – موسى هيصام :المرجع السابق ،ص 1

[2] – عبد الرحمن الجيلالي :تاريخ الجزائر العام ،ط4 ، دارالثقافة، بيروت،1980م/1400هـ ،الجزائر،ج2، ص276

[3] – أحمد أبي العباس القلقشندي :المصدر السابق، 111/5

[4] – عبد الواحد المراكشي :المصدر السابق،352

[5] – عبد الرحمن ابن خلدون :المصدر السابق، 175/6

[6] –ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا ،تح: إسماعيل العربي ،ط1، منشورات الكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1970،ص 142

[7] – عبد الواحد المراكشي :المصدر السابق ،ص 260

[8] – عبد الحليم عويس :المرجع السابق، ص ص81،80

ثالثا:481هـ –547هـ/1089م –1152م وهي فترة تقلص النفوذ التدريجي[1] ،وقد استطاعت الدولة الحمادية أن تحافظ على صمودها واستمراريتها على الرغم من ظهور دولة قوية على مسرح الأحداث ألا وهي دولة صنهاجة الجنوب التي عرفت بالمرابطية ، إذ يذكر ابن الأثير عن هذا "وفي سنة 448هـ/1056م كان ابتداء أمر الملثمين ،وهم عدة قبائل وينسبون إلى حمير[2] واستبد الأمير يوسف بن تاشفين بملك المغرب كله لا ينازعه منازع ودانت له البلاد[3] حيث كثرت فتوحاته وترامت أطراف مملكته[4] فبعد أن اكتسح بلكين بن محمد بن حماد الصنهاجي معاقل زناتة في المغرب الأقصى عام 454هـ/1062م وأخذ رهائن من أهلها ،وبقيت فاس تحت حكم بني خرز المغراويين إلا أن استردها يوسف بن تاشفين وأجمع على أن يأتي بجميع مغراوة أينما كانوا[5]، فبعث بقائده مزدلي في عساكر لمتونة إلى مضاربهم بالمغرب الأوسط ،فدوخه وظفر بيعلى بن العباس فهزمه وقتله[6] ،إلا أنه تعذر عليه دخول تلمسان فكانت العدة للحملة الثانية بقيادة يوسف بن تاشفين سنة 473 هـ/1080م[7] ، فافتتح تلمسان واستلحم بني يعلى ومن كان بها من مغراوة ،ثم فتح وهران وتنس وملك جبل وانشريس وشلف إلى الجزائر[*]،وترك محمد بن تينعمر المسوفي في عسكر من المرابطين بتلمسان[8]

---

1 – موسى هيصام :المرجع السابق ،ص ص 1،2

2 – عز الدين أبي الحسن ابن الأثير: المصدر السابق ،8/ 90

3 – أبي عبد الله محمد الرعيني القيرواني : المصدر السابق،ص104

4 – محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ،العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين بالمغرب والأندلس،ط2، مكتبة الخانجي ،القاهرة،1990م/1411هـ،ص 39

5 – محمد الطمار :المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2010،ص 121

6 – عبد الرحمن ابن خلدون :المصدر السابق ،49/7

7 – خالد بلعربي :تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية (55هـ –633هـ/675م–1235م)،ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011،ص 137

* –تنس : بينها وبين البحر ميلان ،وهي مدينة مسورة حصينة.

الجزائر: وتعرف بجزائر بني مزغنة ،تقع على ضفة البحر وهي قديمة البناء ويتصل بها فحص كبير يسمى فحص متيجة, مؤلف مجهول :الإستبصار ،المصدر السابق ،ص ص 132،133

8 – عبد الرحمن ابن خلدون :المصدر السابق ،49/7

وأسسوا بمعسكرهم مدينة تاجرارت وأحاطوها بأسوار شاهقة[1]، أما الحماديون فقد عملوا على التصدي لهجمات المرابطين المتحالفين مع قبائل زناتة[2]، إذ استطاع المنصور سنة 486هـ/1103م أن يجلي جيوشهم مما استولوا عليه من الثغور الحمادية وعقد الصلح بينهما إلا أن الصراع تجدد بينهما حيث أغار المرابطون على آشير ليقابلهم الحماديون بحصار تلمسان[3] وانتهت حلقة النزاع الحمادي المرابطي بعقد الصلح سنة479هـ/1103م بعد أن عين يوسف بن تاشفين مزدلي واليا على تلمسان إرضاء للأمير الحمادي[4]، وبذلك فإن بني حماد أوقفوا المد المرابطي على المغرب الأوسط عند تلمسان ،واضطروا إلى التراجع عن تنس ووهران بعد أن وقفوا على مشارف مدينة الجزائر (بني مزغنة)[5] ومن هنا فإن أرض المغرب الأوسط في النصف الثاني من القرن 5هـ/11م والنصف الأول من القرن 6هـ/12م أصبحت مقسمة بين الحماديين والمرابطين حيث امتد ملك المرابطين من تخوم المغرب الأقصى متخطيا ضفاف نهر ملوية إلى أسوار مدينة الجزائر فكانت جهة الغرب من القطر(الجزائر حاليا) كله تحت نفوذ المرابطين[6] وظل الحال إلى ما هو عليه إلى أن ظهر المهدي بن تومرت مؤسس الحركة الموحدية[7] وخليفته عبد المؤمن بن علي الذي تولى أمور الموحدين سنة 524هـ/1129م والذي انتهت على يديه دولة المرابطين ودولة بني حماد[8] فمنذ عهد علي بن يوسف المرابطي والموحدون تنمو أحوالهم ،ويعظم شأنهم وعمت الاضطرابات والفتن

---

[1] – مختار حساني :موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ، مدن الغرب ،ط2، دار الحكمة ،الجزائر ،2012،ج4 ،ص7

[2] – موسى هيصام :المرجع السابق ،ص 2

[3] – محمد الطمار :المرجع السابق ،ص ص 122،123

[4] – خالد بلعربي :المرجع السابق ،ص 144

[5] – عبد الحليم عويس :المرجع السابق ،ص 106

[6] –عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، 310/2

[7] – موسى هيصام :المرجع السابق ،ص 3

[8] – أحمد توفيق المدني :المرجع السابق،ص 27

بأرض المغرب[1] ،فعمل عبد المؤمن على بناء وتوطيد دولته في سائر أقطار المغرب الإسلامي[2] فبدأ توسعاته على حساب الأراضي المجاورة له بالمغرب الأقصى ومن ثم عمل على ضم المغربين الأوسط والأدنى وحتى بلاد الأندلس فسيطر على درعة وتارودنت ودخل إيجلي سنة529 هـ/1134م[3] فكثرت المصادمات بين الموحدين والمرابطين حيث خرج عبد المؤمن بن علي إلى المغرب الأوسط وتوجه بجميع جيشه إلى غمارة فأطاعوه ودخلت في طاعته كل قبائلها ،وتكررت عمليات الكر والفر بين المرابطين والموحدين إلى أن توفي الأمير علي بن يوسف المرابطي سنة535هـ/1139م وهذا ما ساعد على إنتشار الموحدين بشكل أوسع "فقوي طمع عبد المؤمن في البلاد"[4] ويذكر ابن خلدون أن وفاة علي بن يوسف كانت سنة537هـ/1141م،وبعد هذا نزل عبد المؤمن ملوية فافتتح حصونها ،ثم توجه إلى بلاد زناتة فأطاعته قبائل مديونة وفي سنة 539هـ/1145م تم له فتح وهران وتلمسان بعد أن قتل تاشفين بن علي[5] ،والجدير بالذكر أن فتح تلمسان كان على مراحل فمنذ سنة 534هـ/1139م والمواجهات قائمة بين الطرفين وتلمسان واقعة في الحصارات والمنازلات[6] إلى أن كان عام 539هـ/1145م حيث ترك عبد المؤمن جيشا من الموحدين يحاصرون تلمسان وغادر هربا تجاه وهران فلما وصل ذلك إلى تاشفين خرج لحماية وهران التي كانت بها وفاته وبذلك فتح عبد المؤمن وهران وتلمسان ودخل وهران عنوة في شهر محرم من سنة 540هـ/1145م

---

[1] – مؤلف مجهول :الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ،تح :سهيل زكار ،عبد القادر زمامة ،دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء، المغرب 1979،ص 119

[2] – عبد الحميد حاجيات وآخرون :كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر، طبعة خاصة ،سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ،وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر،ص122

[3] – نوارة شرقي: الحياة الإجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524هـ–667هـ)،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف :عبد العزيز لعرج، جامعة الجزائر،2007–200_،ص19

[4] – عز الدين أبي الحسن ابن الأثير: المصدر السابق ، 453/8

[5] – عبد الرحمن ابن خلدون :المصدر السابق ،230،231/6

[6] – عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، 8،9/2

،ودخلوا تلمسان في شهر صفر[1] ،ويذكر ابن خلدون أن عبد المؤمن لما دخل تلمسان استباح أهل تاجرارات لما كان أكثرهم من الحشم وعفا عن أهل تلمسان[2] ويورد ابن عذارى في هذا "... فنزل بالمنية ونفذ حكم الله في أهل تاكرارات " ،"... ودخل عبد المؤمن تلمسان وقتل فيها خلقا في فندق كليلا" وكانت مدة إقامته بتلمسان سبعة أشهر ورحل إلى فاس تاركا سليمان بن محمد بن وانودين الهنتاتي بتلمسان[3] ،وبعد هذا وجه عبد المؤمن أنظاره نحو شرق المغرب الأوسط لما كانت عليه أحوال بني حماد جراء ظهور خطر النصارى القادمين من صقلية والتوسع الهلالي العربي بالمنطقة فاستولى سنة 547هـ/1152م على مليانة ثم على مدينة الجزائر[4] ثم سار إلى بجاية وظن الناس أنه يريد العبور إلى الأندلس ،فلم يشعر أهل بجاية إلا وهو في أعمالها وكان ملكها أنذاك يحي بن العزيز بن حماد آخر الملوك الحماديين فملكها وملك جميع ممالك بني حماد[5] ويذكر البيدق في هذا : "فجددنا السير إلى بجاية ،ولم يتأن ونزل عليها ووحد أهلها ووجد أيضا القائد ابن ميمون معهم وهرب منها يحي بن العزيز إلى قسنطينة ودخل الخليفة بجاية بعون الله ونزل فيها وكان الله المعين على ذلك"[6] أما ما كان من أمر الخليفة الحمادي فإنه لما فر إلى قسنطينة حاصره بها الموحدون فنزل منها على أمان وسار مع الخليفة عبد المؤمن إلى مراكش وولى إبنه أبا محمد عبد الله بجاية ووجه معه الشيخ أبا سعيد يخلف بن الحسين والكاتب أبا بكر بن جيش[7] وبذلك أقطع الموحدون ضواحي المغرب الأوسط كما كانت لبني يلومي وبني وامانو فملكوها[8] ودان

---

[1] – ابن أبي زرع الفاسي :الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط، 1972،ص ص 187،188

[2] – عبد الرحمن ابن خلدون :المصدر السابق ، 232/6

[3] – ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق ،قسم الموحدين، ص ص22،23

[4] – عبد الحميد حاجيات وآخرون :المرجع السابق ،ص 123

[5] – عز الدين أبي الحسن ابن الأثير: المصدر السابق ، 133/9

[6] – أبي بكر علي البيدق: أخبار المهدي بن تومرت، تح: عبد الحميد حاجيات ،طبعة خاصة ،عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011،ص ص 106،107

[7] – مؤلف مجهول : الحلل الموشية ،ص ص 149،151

[8] – عبد الرحمن ابن خلدون :المصدر السابق ، 73/7

للموحدين المغرب الأوسط وإفريقية والأندلس واجتمع في طاعتهم جميع أهل العدوتين[1] فعرف مجال المغرب الأوسط خلال هاته الفترة ولايتين شرقية وهي بجاية والغربية تلمسان والتي تمتد من وادي ملوية غربا إلى نهر مينة شرقا[2] ومن الإضطرابات التي عرفتها المنطقة خلال الفترة الموحدية هو ظهور بنو غانية من أعيان الملثمين الذين استولوا على بجاية عام 580هـ/ 1184م وما يليها من الجزائر ومازونة ومليانة ،غير أن جيش الموحدين أجلاهم عنها سنة 581هـ/1185م[3]،وتعرض لتلمسان وقتل واليها أبو عمران بن يوسف بن عبد المؤمن غير أن عساكر الموحدين سرحته منها وفر ابن غانية لإفريقية[4] ومن هنا نصل إلى أن الموحدين استطاعوا الحفاظ على هوية دولتهم ونجحوا في إدماج مجالات المغرب من طبرقة شرقا إلى طنجة غربا والسوس الأقصى جنوبا ،فكانت أول تجربة في توحيد المغرب الإسلامي على المستوى السياسي والجغرافي والإقتصادي غير أن هذا انتهى بسقوط الموحدين وقيام الدويلات الثلاث: الحفصية بتونس 625هـ -982هـ/1227-1547م ،المرينية بفاس 668هـ - 869هـ/1295م-1465م والزيانية بتلمسان 633هـ -962هـ/1235-1552م[5] وأصبحت الحدود الجغرافية بين مد وجزر بسبب الصراع الزياني المريني من جهة والصراع الزياني الحفصي من جهة أخرى وبذلك دخل المغرب الأوسط مرحلة جديدة وهي مرحلة دولة بني عبد الواد، حيث انقطعت دعوة بني عبد المؤمن من تلمسان وقطرها سنة 633هـ/1235م على يد أبي يحي يغمراسن بن زيان الذي علابه صيت الدولة[6] وبويع بالخلافة في 17جمادى الثانية سنة637هـ/1239م ،ويذكر التنسي في هذا "...أنه لما ضعف أمر بني عبد المؤمن ... تطاول بنو عبد الواد إلى الإستيلاء على قطر تلمسان إذ كانوا بمقربة منه فجاسوا خلاله

---

1 -ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق ،ص153

2 -عبدالرحمن الجيلالي: المرجع السابق 7/2

3 - عز الدين أبي الحسن ابن الأثير :المصدر السابق ،347/9

4 -عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق ،242/6

5 - الطاهر بونابي : المرجع السابق ،ص102

6 - يحي ابن خلدون :المصدر السابق ، 1/ 220

وأرجفوا عليه بالخيل والركاب..." [1] ومن الملاحظ أن تلمسان عرفت تطورات هامة في فترات متتالية إلى أن أصبحت عاصمة سياسية للمغرب الأوسط[2] فهي قاعدة المغرب الأوسط ودار مملكة زناتة على مر الأزمان ،ومتوسطة قبائل البربر[3] وقد أكثر في وصفها الجغرافيون والمؤرخون إذ ذكرها الزهري في كتابه الجغرافية "وهي مدينة عظيمة ودار مملكة "[4] وأوردها صاحب الاستبصار بأنها مدينة عظيمة قديمة تقع في سفح جبل ،ولها نهر يسمى سطفسيف[5]، وقد صنفها أبو الفدا في كتابه تقويم البلدان من أول الغرب الأقصى متاخمة للغرب الأوسط[6] أما عن حدودها فحدها من الشرق حدود مملكة إفريقية وما أضيف إليها من جهة الغرب وحدها من الشمال البحر الرومي ،وحدها من الغرب حدود مملكة فاس وحدها من جهة الجنوب المفاوز الفاصلتين بلاد المغرب وبلاد السودان[7] فحين ملكها يغمراسن بن زيان(633هـ -681هـ/2136م-1283م) عمل على إرساء أسس الدولة والمد في سلطانه ، وأصبح يتطلع لتوسيع نفوذه متوجسا الحيطة من الموحدين والحفصيين ومستعملا الحذر من أطماع بني مرين، فقد كان بينه وبينهم وقائع عديدة[8]، وقد أورد ابن خلدون في هذا الشأن "...ولما استقل يغمراسن بن زيان بأمر تلمسان والمغرب الأوسط وظفر بالسلطان وعلا كعبه على سائر أحياء زناتة ... فنابذوه العهد وشاقوه الطاعة، وركبوا له ظهر الخلاف والعداوة، فشمر لحربهم ونازلهم في ديارهم ..."[9] فكانت من أولى المواجهات مع أبو زكرياء الحفصي

---

[1] – محمد بن عبد الله التنسي :تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ،تح: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر ،الجزائر، ص ص 111،112

[2] – جيلالي صاري: تلمسان الزيانية إرهاصات ظهور الدولة الجزائرية في العصر الحديث ،تر: مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر ،الجزائر ،2011،ص ص 27،28

[3] – أبو عبيد الله البكري :المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى ،بغداد ،ص77

[4] – أبي عبد الله محمد الزهري: كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية ،مصر ،ص113

[5] – مؤلف مجهول : الإستبصار ،ص176

[6] – عماد الدين أبي الفدا :المصدر السابق ،ص 101

[7] – القلقشندي: المصدر السابق، 149/5

[8] – محمد الطمار :تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،ص80

[9] – عبد الرحمن ابن خلدون :المصدر السابق 81/7

الذي استولى على تلمسان سنة640هـ/1242م، إلا أنه انعقد الصلح بينهما وأعيدت تلمسان ليغمراسن شريطة أن تقام الخطبة لبني حفص ،وعمل يغمراسن على انتهاج سياسة التوسع في المناطق الشرقية فزحف لمدينة شلف وتمكن من مدينة مليانة سنة 668هـ/1269م التي اقتطعها منه ثابت بن العباس المغراوي سنة 676هـ/1277م إلا أن يغمراسن عاد لاستردادها هي وتنس سنة 681هـ/1282م[1]، أما من ناحية الغرب فقد اصطدم بنو عبد الواد مع بني مرين الذين احتلوا مملكة تلمسان نحو عشر مرات وكان مصير ملوك بني زيان حينئذ إما القتل أو الأسر أو الفرار[2] ووصل الحد بالمنازلات بين الطرفين إلى أن ضرب الحصار على تلمسان من طرف أبو يعقوب يوسف المريني سنة 698هـ/1298م وقد تمادى هذا الحصار مدة 9سنوات وثلاثة أشهر إلى أن مات السلطان يوسف سنة[3] 706هـ/1306م وتوالى على ملك تلمسان في هذه المدة السلطان عثمان بن يغمراسن(681هـ -703هـ/1283م-1303م) ومن بعده ابنه أبو زيان محمد الأول (703هـ -707هـ/1303م-1308م) (انتهى الحصار في عهده) ثم أخوه أبو حمو موسى الأول(707هـ -718هـ/1308م-1318م) الذي قتله ابنه أبا تاشفين عام 718هـ/ 1318م[4]، ويعتبر عهد أبو حمو موسى عهد إحياء الدولة الزيانية حيث أعاد لها مجدها وعزها واستقلالها وتمكن من الوصول إلى الأقاليم الشرقية الواقعة غرب البلاد الإفريقية وتخطى حدود الدولة الحفصية إلى أن حط بظاهر العناب (بونة) وجبل ثابت القريب من مدينة قسنطينة كما حافظ على الحدود الغربية لدولته وتصدى لقوات بني مرين ومنع عنهم إقليم وجدة ونهر ملوية[5] وواصل من بعده إبنه أبو تاشفين (718هـ -

---

[1] – عبد الحميد حاجيات: دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي ،طبعة خاصة ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011،ج1، ص 30-32

[2] – الحسن بن محمد الفاسي الوزان : المصدر السابق، 8/2

[3] – محمد بن عبد الله التنسي :المصدر السابق ،ص ص 133،134

[4] – إسماعيل ابن الأحمر: روضة النسرين في دولة بني مرين ،تح: عبد الوهاب ان منصور ،ط3،المطبعة الملكية ،الرباط، 2003م/1423هـ ،ص 63

[5] – عبد العزيز فيلالي : تلمسان في العهد الزياني(دراسة سياسية ،عمرانية ،إجتماعية ،ثقافية)، ،موفم للنشر ،الجزائر ،2007، ج1،ص40

737هـ/1338م –1357م) في سياسة التوسع نحو الشرق على حساب الدولة الحفصية فمن سنة 720هـ/ 1320م والقتال قائم[1] مع الحفصيين حيث حاصر بجاية وقسنطينة وبنى حصنا هناك سمي "بحصن بكر" سنة 721هـ/1321م وفي سنة 726هـ/1325م نزل قسنطينة ،وعاد إلى وادي بجاية وحاصرها واختط مدينة تامزجزت (تامزيزدكت)، وهنا اشتد الحصار على أهل بجاية فاستغاثوا بالسلطان أبي يحي الذي لبى وقام بإرسال جيشه سنة 727هـ/1326م إلا أنه مني بالهزيمة واستمر أبو تاشفين في توسعاته بالمنطقة إلى سنة 732هـ/1331م بعد أن تحرك السلطان المريني أبو الحسن مناهضا للسلطان أبو يحي فعاد الأمير الزياني لملكه بتلمسان[2]، وفي سنة 735هـ/1334م تحرك السلطان أبو الحسن المريني إلى تلمسان ونازل فيها الأمير أبو تاشفين وضيق عليه إلى أن قتله ودخل تلمسان عنوة في يوم قتله وبذلك انقرضت دولة بني عبد الواد وأصبحت تلمسان في طاعة بني مرين حتى سنة 749هـ/1348م إذ هلك السلطان أبو الحسن فانقضى الحصار بعد أن عاد السلطان أبو عنان إلى فاس قصد المبايعة واستبد بأمر بني مرين[3] ،وأجمع أمره على غزو بني عبد الواد من جديد سنة 753هـ/1352م[4] فخلال فترة الأربعة أعوام استرد بنو عبد الواد ملكهم ولو لفترة قصيرة حيث اقتسمت السلطة بين أبا سعيد وأخاه أبا ثابت(749هـ – 753هـ/1348م–1352م) ابني عبد الرحمن بن يغمراسن إلا أن سطوتهم انتهت بعودة ابي عنان واقتطاعه لأرض المغرب الأوسط من جديد بعد أن قتلهما[5] واستمر حكم بني مرين بالمنطقة إلى سنة 760هـ/1358م بعد أن دخل السلطان أبو حمو موسى الثاني(760هـ – 791هـ/1359م–1389م) تلمسان وانتزعها من بني مرين وسماه صاحب زهر البستان بعام

---

[1] – لخضر عبدلي: التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد ،ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011،ص90

[2] – يحي ابن خلدون :المصدر السابق ،241/1–243

[3] – إسماعيل ابن الأحمر :المصدر السابق، ص 63

[4] – عبد الرحمن ابن خلدون :المصدر السابق، 278/7

[5] – شاوش محمد بن رمضان :باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،2011،ص 46

الفتح المبين ،وبذلك تمهدت له البلاد ،وثبت سلطانه وعظم شأنه وبايعه أهل الوطن على الإمارة[1] واستمر ملكه ثلاثون سنة خاض فيها حروبا مع بني مرين دفعته في الكثير إلى الخروج من موقعه، ولم ينته الصراع بينهم إلا حين تحالف إبنه أبو تاشفين مع المرينين وقتل سنة791هـ/1388م[2] وقد عرفت فترة حكم أبوثابت ومن بعده أبو حمو موسى الثاني تقلصا في الحدود إذ انتهت من الناحية الشرقية عند مدينة الجزائر[3]،حيث عبر عن ذلك أبي عبد الله محمد ابن مرزوق بقوله :"...جزائر بني مزغنان آخر وسطي الغرب وأول بلد إفريقية"[4] لتعود للتوسع عهد أبو تاشفين الثاني (791هـ -795هـ/1388م-1391م) حيث ملك من ملوية من جهة الغرب إلى بلاد الزاب من جهة الشرق (جبل الزان)[5] في حين حددها الوزان عند الواد الكبير (الصومام) ومن الجنوب صحراء نوميديا[6] والملاحظ أن دولة بني زيان مذ عهد أبو تاشفين الثاني دخلت طورا جديدا إذا بدأ حال الدولة في التدهور والضعف والتبعية لبني مرين تارة ولبني حفص تارة أخرى ، إضافة للتناحر بين أبناء البيت الزياني على الحكم كالذي كان بين أبا تاشفين وأبا زيان ،وبين أبو زيان نفسه وأخاه أبو محمد عبد الله الذي نافسه في العرش سنة 801هـ/1898م ليخلفه فيما بعد الواثق بالله(804هـ -813هـ/1401م-1411) المعروف بابن خولة بمساعدة من المرينين وتواطؤ رجال الدولة العبد الوادية[7] ،أما التدخل المريني فقد أقيف نهائيا عام 814هـ/1411م بعد أن تولى أبي مالك عبد الواحد(814هـ -827هـ/1411م-1424م) العرش الزياني الذي وصلت توسعاته غربا إلى

---

[1] - مؤلف مجهول :زهر البستان في دولة بني زيان (السفر الثاني) ،تح :عبد الحميد حاجيات ،طبعة خاصة ،عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011،ص46

[2] - لخضر عبدلي :المرجع السابق،ص111،110

[3] - الطاهر بونابي :المرجع السابق،ص104

[4] - محمد ابن مرزوق التلمساني :المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الحسن، دراسة وتحقيق :ماريا خيسوس بيغيرا ،تق :محمود بوعياد ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،ص298

[5] - محمد بن عبد الله التنسي :المصدر السابق،ص184

[6] - الحسن الوزان :المصدر السابق،7/2

[7] - عبد الحميد حاجيات :المرجع السابق، ص 69-71

العاصمة المرينية فاس[1] ومن هذه الفترة إلى غاية 890هـ/1485م عرفت الدولة الزيانية تدخل الحفصيين في شؤونها الداخلية وأصبحوا يتحفزون للسيطرة عليها وضمها إلى مملكتهم[2] وكان آخر تدخل لها في عهد السلطان أبو ثابت المتوكل(866هـ – 873هـ/1462م–1468م)، إذا أصبح المغرب الأوسط بعد ذلك يواجه هجمات النصارى من إسبان وغيرهم على شواطيء بلادهم[3]، ومن هنا فإن الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط على الرغم من الهجمات والغزوات التي طالتها من الحفصيين والمرينين طيلة مدة حكمها إلا أنها استمرت في الغالب على حدود بلغت نواحي بجاية وبلاد الزاب من الشرق ومن نهر ملوية وتاوريرت ووجدة وتامزيزدكت وفجيج من الغرب والجنوب الغربي ومن مصب نهر ملوية وهنين ودلس وحصن بكر ،وتامزيزدكت عند مصب وادي بجاية (وادي الصومام) على ساحل البحر الأبيض شمالا إلى وارجلان وغرداية وإقليم توات جنوبا[4].

وما نخلص له أخيرا أن الإطار الزماني للموضوع يمتد من القرن 5هـ/11م إلى القرن 9هـ/15م أي فترة ما يقارب أربعة قرون عرف خلالها المغرب الأوسط تطورات سياسية وتغيرات جذرية حيث تداولت على حكمه السلالات والأسر التي تناحرت فيما بينها وسارعت لبسط نفوذها على المنطقة نظرا للموقع الذي تحتله (الوسط) فكان الرابط بين الأقاليم وقبلة التجار ، فعرف بداية القرن 5هـ/11م حكم الحماديين لينقسم في نصفه الثاني والنصف الأول من القرن6هـ/12م بينهم وبين المرابطين ،أما النصف الأخير من هذا القرن ومستهل القرن 7هـ/13م عرف الدولة المؤمنية الموحدية التي بسطت نفوذها على بلاد المغرب الإسلامي لتنتهي بإستقلال الدويلات الثلاث الدولة المرينية والدولة الحفصية ودولة بني عبد الواد واقتطعت كل واحدة جزءا من أرض المغرب ،ليكون المغرب الأوسط من نصيب بني زيان

---

[1] – عبد الرحمن الجيلالي:المرجع السابق،2/195

[2] – لخضر عبدلي:المرجع السابق،ص124

[3] – رشيد بوروبية وآخرون :الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984 ،ص 434

[4] – عبد العزيز فيلالي : تلمسان في العهد الزياني ،45/1

الذي تعتبر مدة حكمهم أطول مدة زمنية عايشتها البلاد فترة العصر الوسيط إذ بلغت زهاء 300سنة .

وبذلك فإن التحديد الزمني للموضوع بالضبط يبدأ من سنة 405هـ/ 1014م إلى غاية 900هـ/1494م .

أما جغرافيا فعرفت المنطقة حركة مد وجزر بين تقلص وتوسع نتيجة للتأرجحات والتطورات السياسية إلا أن الإطار الغالب هو حدود الدولة الجزائرية الحالية متوسطة بين المغرب الأقصى الذي تنتهي حدوده عند ملوية وتلمسان فهي أول الغرب الأقصى وبين إفريقية من جهة الشرق التي تنتهي عند بجاية وبونة وتمتد جنوبا إلى وارجلان وإقليم توات ،ويمتد من جهة الساحل إلى وهران ومليلة وغيرها وقد حدده صاحب الإستبصار من وادي مجمع وهو في نصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان بلاد تازا من بلاد المغرب في الطول وفي العرض من البحر الذي على ساحل البلاد مثل مدينة وهران ومليلة وغيرها من البلاد الساحلية إلى مدينة تنزل[1].

أما عن أهم مدنه فنذكرها كما جاء عن الإدريسي: تلمسان وقطن وقرى وصغروى ومغيلة وآجرسيف وكرانطة ووجدة ومليلة ووهران وتاهرت وآشير وتنس وبرشك وجزائر بني مزغنة وتدلس وبجاية وجيجل ومليانة والقلعة والمسيلة والغدير ومقرة ونقاوس وطبنة وقسنطينة وتيجس وباغايا وتيفاش ،ودور مدين ويلزمة ودار ملول وميلة[2].

ففي ظل هذه الظروف السياسية والتوسعات والتقلصات الجغرافية كيف تعايشت الأقلية المسيحية مع هذا؟ وهل كان لها دور و حضور في ذلك؟

---

[1] – مؤلف مجهول :الإستبصار ،ص176

[2] – الشريف الإدريسي :المصدر السابق،ص57

الفصل الأول:

النصارى بالمغرب الأوسط

أولا: الأصول التاريخية

ثانيا: العناصر المسيحية

ثالثا: توزيعهم الجغرافي

الفصل الأول: النصارى بالمغرب الأوسط

أولا: الأصول التاريخية

لعل من أهم سمات التاريخ أنه يبحث في العمق، ويغوص في مكنونات الموضوع فيجول فيه من البداية إلى النهاية فكيف هو الحال إذا ما تكلمنا عن التاريخ الاجتماعي الذي يتناول بناء وتطور التشكيلات الاجتماعية في مجتمع الدولة أو المنطقة الجغرافية، ويتعامل مع الحياة اليومية للبشر والتكتلات البشرية فهو كما يعرف التاريخ من الأسفل أو تاريخ الجذور، فدراسة فئة من فئات المجتمع تلزمنا العودة إلى الوراء زمنيا ولو كانت بالفترة المتباعدة كثيرا ،حيث أن معرفة أحوال النصارى بأرض المغرب الأوسط يحتم علينا تتبع أصولهم في المنطقة منذ القدم ،وكيفية نشأة هذه الفئة التي تصنف ضمن الأقليات الدينية.

فظهور المسيحية يرتبط بميلاد عيسى عليه السلام، إذ كانت ولادته أيام ملوك الطوائف فقد جاء عن ابن الأثير: أنه كان بعد خمس وستين من غلبة الإسكندر[*] على أرض بابل ،وبعد واحد وخمسين سنة مضت من ملك الأشكانيين وهذا حسب المجوس، أما عند النصارى فكان لمضي ثلاثمائة سنة وثلاث وستين سنة من وقت الإسكندر على أرض بابل[1] وقد كانت ولادته لإحدى وثلاثين من ملك هيرودس الأكبر واثنتين وأربعون من ملك أغسطس قيصر(دام ملكه ستا وخمسين سنة)[2]، وقد ذكر الإنجيل ذلك بـ :"ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية

---

* – الإسكندر هو الذي يعرف بذي القرنين ملك بعد أبيه فيلفوس ودان له أغلب مدن العالم حيث ملك العراق ومصر والروم والشام والجزيرة وبلاد المغرب وبلاد الشمال ،دام ملكه أربعة عشر سنة . أما الأشكانيون فهم من ملكوا بعده من غير الفرس ويدعون بملوك الطوائف ،دام ملكهم مائتي سنة ،عز الدين أبي الحسن ابن الأثير : المرجع السابق ،1/ 204–207، 214

1 – المصدر نفسه ،222/1 ،

2 – عبد الرحمن ابن خلدون :المصدر السابق،143/2

في أيام هيرودس الملك"[1] ، ونشأ سيدنا عيسى عليه السلام متنقلا بين مصر وفلسطين هربا من هيرودس وخوفا من غدر اليهود خصوصا وأنه كان يرى العجائب في صباه إلهاما من الله ولما بلغ الثلاثة عشر سنة رجع إلى إيليا (أرض فلسطين) وأقام بها حتى أنزل الله عليه الوحي وهو ابن ثلاثين سنة[2]، وهذا ماذكره الإنجيل أيضا "... ولما ابتدا يسوع كان له نحو ثلاثين سنة..."[3]، فخرج على بني إسرائيل ينادي فيهم بما أمره الله ومعه معجزته التي تثبت نبوته، وتؤكد رسالته فشريعته عليه السلام كانت قائمة على الحب الخالص وإحياء الروح ،لأنها جاءت مجابهة لقانون مادي دنيوي عنيف أرسى قوانينه ووضع نظامه بنو إسرائيل[4] وقد جاء في تنزيله الحكيم عن أمر سيدنا عيسى ونبوته "...وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالانْجِيلَ (48)وَرَسُولاً إِلَى بَنِى إسرائيل أَنّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَة مِن رَّبّكُمْ أَنّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِىءُ الاكْمَهَ وَالابْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين (49) وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَة مِّن رَّبّكُمْ فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَطِيعُونِ (50)إِنَّ اللهَ رَبّي وَرَبُّكُمْ فاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَطٌ مُّستَقِيمٌ (51)"[5] ومن هنا اجتهد عيسى عليه السلام في العبادة والصلاة والرهبانية ،وشاع ذكره في النواحي واتبعه الكثير من بني إسرائيل لا سيما بعد أن اختار تلامذته الإثنى عشر وهم سمعان بطرس وأخوه

---

[1] – إنجيل متى (إصحاح 1/2)

[2] – أبي الفدا عماد الدين ابن كثير: البداية والنهاية ، تح : محمد بن سامح عمر ،ط1،دار ابن جوزي ،القاهرة،1431هـ/2010م،ج2، ص 80–81

[3] – إنجيل لوقا (إصحاح 3/23–24)

[4] – عبد الفتاح حسين زيات :ماذا تعرف عن المسيحية، ط3 ،مركز الراية للنشر والإعلام ،2001،ص 27–28

[5] – سورة آل عمران الآية 48–51

أندرواس ويعقوب بن زبدي وأخوه يوحنا وفيلبس وبرتولوماس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفا وتداوس وسمعان القناني ويهوذا الإسخريوطي[1]، وعند ابن الكثير هم: بطرس ويعقوب بن زبدا ،ويحنس أخو يعقوب وأندراوس، وفيلبس وأبرثلما ومتى وتوماس ويعقوب بن حلقيا ،وتداوس وفتاتيا ،ويودس زكريا يوطا[2] ، وهذا ما يوافقه الإنجيل في قوله:" وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلي وقضى الليل كله في الصلاة لله ،ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثنى عشر الذين سماهم أيضا رسلا : سمعان الذي سماه أيضا بطرس وأندراوس أخا يعقوب، ويوحنا فيلبس وبرثولماس ،متى وتوما يعقوب بن حلفى وسمعان الذي يدعي الغيور ،يهوذا أخو يعقوب ويهوذا الأسخريوطي الذي صار مسلما أيضا"[3] وهم من سموا بالحواريين وذلك لبياض ثيابهم ،وقيل أن هذا اللفظ أخذ من بياض القلوب وصفائها حيث لا تحمل ضغنا ولا حقدا لأحد[4] وبه ورد ذكرهم في القرآن الكريم :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ(14)"[5] وبذلك اكتمل التبشير للمسيحية إذ وجب على الحواريين نشر تعاليمها والعمل بقول سيدهم: وأما ذلك الذي يعمل ويعلم يدعى عظيما في ملكوت السموات ،حينئذ ابتدوا الجلوس في أورشليم(فلسطين) إلى أن تدرعوا بالقوة وعملوا حينها على الخروج بالدين

---

[1] – عبد الرحمن ابن خلدون :المصدر السابق 142/2

[2] – أبي الفدا عماد الدين ابن كثير :المصدر السابق 297/2

[3] – إنجيل لوقا (إصحاح12/6–17)

[4] – عبد الفتاح حسين زيات :المرجع السابق،ص27

[5] – سورة الصف الآية 14

لسائر أقطار الأرض[1] وعلى إثر ذلك كان المسيح عليه السلام يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثني عشر،" ودعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم قوة وسلطانا على جميع الشياطين وشفاء أمراض وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفو المرضى ،وقال لهم لا تحملوا شيئا للطريق لا عصا ولا مزود ولا خبزا ولا فضة ولا يكون للواحد ثوبان... فلما خرجوا كانوا يجتازون في كل قرية يبشرون ويشفون في كل موضع"[2] ، ومكث عليه السلام عاملا بتعاليم الله جل وعلا إلى أن رفعه إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة[3] بعد أن أمر أصحابه بتبليغ رسالته في النواحي ،إلا أن الحواريين من بعده تعرضوا للاضطهاد والتعذيب من طرف اليهود، ويقال أن بعضهم قتل ولما سمع القيصر بذلك أمر بالكف عنهم فواصلوا ما ابتداؤه متجهين إلى كل بقاع الأرض مبشرين بكتبهم[4] التي تشتمل في مجملها على أخبار المسيح وصلواته وأقواله وعجائبه من بدايته إلى نهايته في هذا العالم وهي المعروفة بالأناجيل والرسائل ويرى المسيحيون أن هذه الكتب كتبت كلها بالإلهام أي الوحي عن طريق الإلهام فهي حق وصدق[5] ، والغالب عليها أربعة أناجيل لم ينسب ولا واحد فيها إلى المسيح عليه السلام ،وإنما هي منسوبة إلى الأشخاص الذين يزعم النصارى أن اثنين منهما من الحواريين

---

[1] – يوحنا ابن أبي زكريا بن سباع :الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة ، تح: فكتور منصور مستريح الفرنسيسي، د.ط مؤلفات المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقية المسيحية ، مطبعة القاهرة الجديدة، مصر ،1966،ص61

[2] – إنجيل لوقا (إصحاح 1،2/8 ،إصحاح 9/1-7)

[3] – أبي الفدا عماد الدين ابن كثير :المصدر السابق،81/2

[4] – عبد الرحمن ابن خلدون :المصدر السابق،144/2

[5] – محمد أبو زهرة :المرجع السابق ، ص ص 51،91

وهما متى[*]، ويوحنا ،واثنين أحدهما مرقس والآخر لوقا[1] أما الرسائل فتتضمن عرض أسس الدين المسيحي وسننه وهناك سجل لنبوءات عن آخر الزمان تنسب إلى الرسول يوحنا ويسمى رؤيا يوحنا اللاهوتي ، ويبدوا أن أقدم الرسائل التي يقدسها المسيحيون هي رسائل الرسول بولس[2]، وهذا الأخير عرف عنه أنه تزعم أكبر عمليه اضطهاد تعرضت لها المسيحية في بدء انتشارها إلا أنه أصبح فيما بعد من أهم الساعين لنشر الديانة المسيحية حتى وصل في النهاية ليعلن أن عيسى هو ابن الله[3]، وعرف باسم شاول اليهودي وتحول إلى المسيحية في طريقه من دمشق إلى أورشليم ،ثم حاول التقرب من تلاميذ عيسى عليه السلام ،وجاء في سفر الأعمال عن هذا:" ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلمه وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع"[4] ومن ذلك الوقت صار بولس القوة الفعالة والحركة الدائبة في الدعاية للمسيحية ،وقد استطاع أن يجعل من نفسه محور الدعاة للمسيحية وقطبهم ،وأن يفرض ما ارتآه على المسيحيين فيعتنقوه دينا، ويتخذوا قوله حجة زاعمين أنه رسالة أرسل بها، حتى أن المسيحية صارت مطبوعة بطابعه منسوبة إليه[5] حيث أنه كان كثير الجد والدأب في نشر الدين والتبشير بالمسيحية وعرف بتطوافه شرقا

---

* – يعتقد أن متى كتب إنجيله قبل مرقس ولوقا ويوحنا ،ومرقس ويوحنا كتبا إنجيلهما قبل خراب أورشليم (فلسطين) ،ولكن لايمكن الجزم في أي سنة كتب كل منهم بعد صعود عيسى عليه السلام لأنه لا يوجد نص على ذلك .، نخبة من اللاهوتين :مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين ، طبع في بيروت سنة 1986،ج2،ص 214

1 – سعود بن عبد العزيز الخلف :المرجع السابق ،ص 138،

2 – الحسين بن طلال :المرجع السابق،ص14

3 – شريف محمد هاشم :الإسلام والمسيحية في الميزان ،د.ط، مؤسسة الوفاء ، بيروت ،لبنان ،ص ص 223،224

4 – أعمال الرسل(إصحاح 9/26-28)

5 – محمد أبو زهرة :المرجع السابق ،ص85

وغربا قصد الدعاية لها[1] ،وقد ظل يبشر بالمسيحية وفق مفهومه الخاص طيلة ثلاث سنوات ،ثم ذهب لأورشليم ليتعرف على بطرس رئيس الحواريين فمكث عنده خمسة عشر يوما وكان التنافس بينهما على أشده[2]،وقد اختلف بولس مع الرسل الذين أسسوا جماعة النصارى في أورشليم حول أمور عدة ،فسار كل واحد في طريقه ومضى هو وأتباعه يبشرون على طريقتهم الخاصة في مختلف أرجاء العالم الروماني ،إذ بدأ بدمشق ثم سافر إلى بلاد العرب ومناطق مختلفة من بلاد الشام والأناضول واليونان حتى حل أخيرا في روما[3] وبقي هناك يقيم دين النصرانية رفقة كبير الحواريين بطرس[4] ولهما يرجع الفضل في إنشاء الجالية المسيحية في عاصمة الدولة الرومانية ،وكان ذلك في عهد الإمبراطور نيرون ، وما يلاحظ أن عدد النصارى تضاعف في بضع سنين قلائل وقفز عددهم من مائة وعشرون إلى ما يقارب ثمانية آلاف[5] واعتقد المسيحيون في شخص بولس أنه ملهم ينطق بالوحي فقد صرح بنفسه أنه تلقى المسيحية من المسيح مباشرة "وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به إنه ليس بحسب إنسان ،لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته ،بل بإعلان يسوع المسيح"[6] وبذلك فإن بولس أدخل على المسيحية عقائد رئيسية كانت هي الأساس الذي أخذت به المجامع الكنسية وقررتها كعقيدة نهائية للمسيحين فيما بعد ومنها: عقيدة التثليث وما يتبعها من ألوهية

---

1 – محمد إبراهيم كركور :المرجع السابق ،ص 205

2 – عبد الفتاح حسين الزيات :المرجع السابق ،ص 61

3 – الحسين بن طلال :المرجع السابق،ص27

4 – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق،144/2

5 – ول وايريل ديورانت : قصة الحضارة ،تر: محمد بدران ،دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ،بيروت ،جامعة الدول العربية ،تونس، ج11،ص245

6 – أهل غلاطية (إصحاح11/1-12)

الآب والابن (المسيح والروح القدس) حيث حاول أن يجمع بين العقيدة النصرانية والعقائد الوثنية الجديدة.

عقيدة النبوة: حاول أن يقرب النصرانية إلى هذه الأمم الجديدة بتصوير عيسى عليه السلام أنه ابن الله الوحيد.

عقيدة التجسد والصلب من أجل الخلاص وكفارة عن خطايا البشر فقد تبنى فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر، وروج لها في رسائله.

القيامة والدينونة: فهو صاحب فكرة قيامة المسيح من الأموات بعد صلبه بثلاثة أيام ،فبولس إذن نقل المسيحية من دين محلي لليهود كما بشر به عيسى عليه السلام إلى ديانة عالمية[1]، وقد أفضت تعاليمه اللاهوتية إلى تأويلات مختلفة أثارت البلبلة بين المسيحيين حتى في زمنه[2] ويقول الفيلسوف الروسي تولستري:"إن بولس لم يفهم تعاليم المسيح ،ولم يره قط في حياته ومن ثم فلم يكن من حوارييه ،وبالتالي لم يتلق تعاليمه مباشرة منه الأمر الذي جعله يطمس هذه التعاليم بتفسيراته التعسفية"[3] فمهما يكن من هذا فإن المسيحية أصبحت تنتسب إليه أكثر مما تنتسب لغيره فقد كان من أشد دعاتها ومن أهم ناشريها في الأقطار[4] وإذا ما تتبعنا تاريخ انتشارها في المغرب الأوسط فنجد أن أصولها الأولى يكتنفها الغموض

---

1 – محمد إبراهيم كركور :المرجع السابق ،ص 208–211

2 – الحسين بن طلال :المرجع السابق ،ص29

3 – عبد الفتاح حسين الزيات: المرجع السابق،ص56

4 – محمد أبو زهرة :المرجع السابق ،ص 87

في بلاد المغرب القديم عامة لاسيما أنها امتازت بالتستر والتكتم من طرف معتنقيها[1] فقد وصفها البعض خلال القرنين الأول والثاني ميلادي بأنها تمثل صفحة بيضاء في تاريخ التنصر ، أما عن طريقة انتقالها إلى المنطقة فقد برزت للعيان عدة إطراءات ونقاشات[2] فابن خلدون يذكر أن دخولها للمنطقة كان عن طريق الحواريين: "وعند علماء النصارى أن الذي بعث من الحواريين إلى روما بطرس ومعه بولس من الأتباع ولم يكن حواريا ،وإلى السودان والحبشة متى العشار وأندوراس ،وإلى أرض بابل والشرق توماس ،وإلى أرض إفريقيا فيلبس ،وإلى أفسوس قرية أصحاب الكهف يوحنا وإلى أورشليم وهي بيت المقدس يوحنا وإلى أرض العرب والحجاز برتلوماس، وإلى برقة والبربر يشمعون القناني"[3] وقد ورد هذا أيضا عن الطبري :"...وفيلبس إلى القيروان وقرطاجنة وهي إفريقية ... وسيمن إلى أرض البربر دون إفريقية"[4] ولعل ما يفند نظرية انتشار المسيحية ببلاد المغرب القديم مع الرسل هو ما ذكره البكري من قول إسحاق بن عبد الله الملشوني أنه لم يدخل إفريقية نبي قط وأول من دخلها بالإيمان حواري عيسى ابن مريم عليه السلام[5] وقد ذهب بعض مؤرخي النصرانية بأن هذين المبشرين تمكنا من استقطاب أتباع لهما قاموا بدورهم بنشر الدعوة في أوساط الجماهير

---

[1] – عبد الحميد عمران :الديانة المسيحية في المغرب القديم – النشأة والتطور– (180– 430م) ،أطروحة دكتوراة العلوم في التاريخ القديم ،إشراف :غانم محمد الصغير، جامعة منتوري ،قسنطينة ،2010م–2011م/1432هـ – 1433هـ ،ص75

[2] – محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع ميلادي، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984،ص 265

[3] – عبد الرحمن ابن خلدون :المصدر السابق،144/2

[4] – محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والرسل ، ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1407هـ ، ج1،ص355

[5] – أبو عبيد الله البكري :المصدر السابق ،ص45

الريفية في الداخل[1] في حين نجد بعض المؤرخين نفوا خبر دخول الحواريين إلى أرض المغرب وأرجعوا سبب الانتشار إلى التجار الشرقيين نظرا للروابط التجارية التي تجمعهم بالمشرق[2]، حيث دخلت عن طريق الموانئ البحرية بشكل خاص من قرطاج (تونس) وعن طريقها انتشرت داخل أقطار المغرب عامة[3]، وهذا ما يؤيده المؤرخ بول مونصو، إذ يرى أن المسيحية جاءت من الشرق، وأن أصل الكنائس في المنطقة متعددة خصوصا وأن المنطقة كانت مفتوحة جغرافيا مع العالم القديم ، وإضافة لهذا يرى البعض الآخر أن الإرساليات التبشيرية القادمة من روما كان لها دور بارز في نشر الدين الجديد والتي اتجه عملها بداية نحو المراكز الحضرية الساحلية أولا ،ثم المدن الداخلية إلى أن وصلت للأرياف[4] فروما كانت تمثل الوطن الأم لأرض المغرب القديم ،وكانت تجمعهما علاقات دينية متينة ربطت أساقفة المغرب بالحبر الأعظم في روما ويترجم هذا الارتباط بالنسبة لنوميديا (التي تمثل قاعدة المغرب الأوسط في عهده القديم) من خلال مراسلات البابا "غريغوار الأكبر" مع قساوسة[*] نوميديا[5] وقد حظيت حركة التنصر بإقبال شديد من طرف الطبقة الإجتماعية

---

1 – Mesange(J P).Le Christianisme en Afrique(L'origine développement et extension).Alger – Paris. 1914 p37.

2 – مبارك بن محمد الميلي :تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تح :محمد الميلي ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،ج1،ص298

3 – طارق أحمد عثمان وعبد الوهاب الطيب البشير: مدخل لدراسة المسيحية في إفريقيا ،دار جامعة إفريقيا للطباعة والنشر ،2003م،ص 46

4 – محمد الهادي حارش :التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة ،ص ص 223،224

* – القَسُّ رَئيس من رُؤساء النصارى في الدِّين والعِلْم وقيل هو الكَيِّس العالم والجمع قساوسة، ابن منظور :المصدر السابق ،173/6

5 – عبد الحميد عمران :المرجع السابق ،ص80

الدنيا ،وخاصة منها الأهالي حيث وجدوا في تعاليم المسيحية بغيتهم الروحية وطموحهم الاجتماعي[1] مما ساعد على بروزها بشكل حقيقي في القرن الثاني ميلادي على عكس ما كانت عليه في الأول[2] ،فمع بداية القرن 2م كانت المسيحية قد عرفت توسعا في أجزاء عديدة من البروقنصلية ونوميديا [3] وعرف عدد المسيحين تزايدا بالمنطقة حتى أصبح يقارب المائة ألف مسيحي في أوائل القرن 3م[4] فبحلول العام 200م وصلت تقارير تفيد بإنشاء كنائس في كل من أرض إفريقية ،وستيفيس(سطيف) لامباسيس(تازولت) ماداورا(مداوروش) من أرض المغرب الأوسط وبذلك توسع النشاط المسيحي بالمنطقة وزاد معتنقيه[5]، ويتجلى ذلك من خلال المجامع التي عقدت عام 215م بقرطاج وعام 217م والتي ضمت أساقفة من البروقنصلية ونوميديا وهذا بالضرورة يبين التطور الذي بلغته المسيحية في المنطقة والمتتبع لخطوات المسيحية بنوميديا يجد أنها تمركزت أكثر في المناطق الساحلية حيث ظهرت تجمعات مسيحية في روسيكادا (سكيكدة) وشولو(القل) وامتدت إلى الداخل كميلاف(ميلة) وسيرتا (قسنطينة) وتيفست(تبسة) وماسكيلا(خنشلة الحالية) وكالاما (قالمة)،وتاغاست (سوق أهراس)... وفي المنطقة الأوراسية كتيمقاد ولمبيز[6]، ولا يكمن إغفال مدينة هبون الساحلية (بونة) التي ظهرت بها المسيحية في مستهل القرن 3م وانتشرت

---

[1] – محمد البشير شنيتي :المرجع السابق،ص268

[2] أحمد صفر : مدنية المغرب العربي عبر التاريخ ،دار النشر بوسلامة ،تونس،ج1 ،ص 326

[3] – شارل أندري جوليان :تاريخ إفريقيا الشمالية تونس ،الجزائر ،المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي ، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة ،مؤسسة تاوالت الثقافية ،2011،ص 255

[4] – محمد الهادي حارش: المرجع السابق، ص225

[5] – روبين دانيال :أصول التراث المسيحي في شمال إفريقيا دراسة تاريخية عن القرنين الأولين، أعده للنشر :تامنغاست ،ص 66

[6] – عبد الحميد عمران :المرجع السابق، ص ص162،142

بسرعة[1] وأصبحت من أهم المراكز الدينية في البلاد وبشكل خاص حينما ارتبطت في فترات لاحقة بالقديس أوغستين(*) [2] ولعل أهم دليل على الانتشار المسيحي بمقاطعة نوميديا هي الأبرشيات(**) التي ظهرت بها وتأسست في محيط مدينة قسنطينة كأبرشيتي سيرتا وميلاف وكويكول (جميلة) ،وإمتدت إلى المناطق الجنوبية حيث توزعت سبع أبرشيات في محيط لمبيزي وماسكولا ،وتيمقاد ولماصبا(مروانة الحالية)،وطبنة وبادياس (بادس)[3]، والجدير بالذكر أن أرض المغرب الأوسط في عهده القديم كانت مقسمة إداريا إلى أربع ولايات وكان ذلك من طرف الرومان عام 297م وتمثلت في نوميديا السرتية من طبرقة إلى الوادي الكبير ونوميديا العسكرية الممثلة في أراضي الجنوب ،وموريطانيا السطايفية من مساقة إلى صلداي (بجاية) وموريطانيا القيصرية من بجاية إلى نهر ملوية[4] ،وتذكر المصادر أن هاتين المقاطعتين الأخيرتين عرفتا أيضا تواجد المسيحية ففي المقاطعة السطايفية ذكر اسم أسقفين كانا موجودين سنة256م الأول وهو جريانيوس أسقف "توفاريسيا" (بني فودة الحالية) والثاني كونيتوس أسقف ستيفيس(سطيف) التي كانت تحتوي على جماعات مسيحية ،وقد عثر بها

---

1 – سعيد دحماني : من هبون– بونة إلى عنابة تاريخ تأسيس قطب حضري،ط1 ،منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، مطبعة المعارف ،عنابة ،الجزائر 2007م/1428هـ ،ص51

* – واسمه أوريليوس أوغستينوس ،ولد بمنطقة بسوق أهراس الحالية في 13نوفمبر 354م ، كان والده من أعيان المنطقة ،، تعلم اللغة اليونانية بمداوروش، كما تعلم البلاغة والنحو، ثم انتقل لقرطاج أين دخل في عالم آخر : عالم الدراسة والتفكير الذي ينهل منه ، وهناك احتك بالفلسفة من خلال قراءاته لأحد مؤلفات سسيرون، امتهن التدريس منذ سنة 347م، وعين سنة 391 معاونا لأسقف هبون، ثم خلفه سنة 395م، المرجع نفسه، ص54-55

2 – دائرة المعارف الإسلامية ،مادة بونة ،صدرها للغة العربية: أحمد الشنتاوي وآخرون ، مراجعة ،محمد فهدي علام ، دار المعرفة ،لبنان، ج4، ص 346

** – الأبرشية: منطقة من البلاد تخضع لسلطة الأسقف، المعجم الوسيط، ص2

3 – Mesange(J P).op-cit.p110

4 – توفيق المدني :المرجع السابق،ص19

على العديد من الآثار المسيحية التي تعود للقرن الثالث والرابع ميلادي ،كآثار الأبرشيات التي وجدت في عين الترك بسطيف ،وبقايا كنيسة بمنطقة المسيلة حاليا وتضم مركز الأسقفية مقرة (ماكري) إضافة إلى أبرشية بمكان القلعة الحمادية (المعاضيد) وعلى العموم فإننا نلمس انتشارها بالمناطق السهلية والخصبة على عكس المناطق الجبلية والمناطق البعيدة عن المراكز الاستعمارية وهو ما يرمز إلى أن عدد المتنصرين في تلك المقاطعة يعتبر قليلا إذا ما قارناه بباقي المقاطعات الأخرى[1]، أما موريطانيا القيصرية التي كانت تكتسي أهمية بالغة كمقاطعة رومانية والتي تمثل أحد مدنها أيول (شرشال) ثالث مدينة في إفريقيا[2] فإن تاريخ المسيحية بها لم يبرز إلا في القرن3م من خلال بعض الأثريات التي وجدت بتيبازة وشرشال وظل يكتنفه الغموض حتى القرن 4م أين بدأت تظهر الكنائس ومقابر لدفن الموتى ،إذ تعد أقدم القبور المسيحية التي عثر عليها بالمنطقة في بوماريا (تلمسان) كما عثر على نقوش بها أسماء الموتى من المسيحين كالتي بمديونة المؤرخة سنة 329م ومليانة ما بين 300و314م ،وتنس ترجع للفترة الممتدة ما بين 357م و412م وبالتالي فإن المسيحية كانت بطيئة الانتشار في المقاطعة القيصرية وعلى الرغم من وجودها إلا أنها بقيت منتشرة بين أقلية قليلة سواء عند الرومان أو السكان المحليين[3] ،ولعل من أهم الحوادث في تاريخ الديانة المسيحية منذ بداياتها الأولى هي الصعوبات التي اعترضتها ،ووقفت حائلا دون انتشارها بشكل فاعل في مختلف المناطق هي الاضطهادات التي مورست في حق معتنقيها فكما سبق الذكر برز

---

[1] – عبد الحميد عمران :المرجع السابق ، ص ص167،164-170

[2] – سيد أحمد علي الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ،ط2، دار النهضة العربية ،القاهرة/1991،ص65

[3] – عبد الحميد عمران :المرجع السابق ،ص 176-179

الاضطهاد الديني ضدها منذ اللحظة الأولى لدعوتها في عهد المسيح عليه السلام واستمر من بعده لفترات طوال ،وعموما يتلخص في أربعة عهود رئيسية:

عهد الإمبراطور نيرون 54-68م ، عهد تراجان 106م، عهد ديسيوس 249-251م وعهد دقلديانوس 284م[1] ،وترجع جذور الاضطهاد الأول للمسيحين إلى عهد نيرون بعد أن أتهمت هاته الطائفة بإشعال الحريق الذي دب في روما والذي دام مدة ستة أيام وقدم المئات من المسيحين إلى المحاكمة بتهمة الإتيان بأعمال فوضوية وأنزلت بهم العقوبات[2] وقد كان لليهود دور بارز في إثارة الحقد والتأليب ضد النصارى ،أما بلاد المغرب القديم فإنها ظلت في منأى عن هذا إلى غاية 180م، إذ أن المصادر لم تشر إلى ما قبل هاته الفترة وربما يعود إلى السرية والحيادية التي امتاز بها نصارى المنطقة ،وهذا ما حذا ببعض المؤرخين إلى التسليم بأن نصارى المغرب القديم كانوا أكثر حظا من نصارى روما ،حيث تمتعوا بحرية في ممارسة شعائرهم بداية العهد[3] غير أن نمو وتزايد المسيحية ساهم في تفاقم الوضع حيث استدعى ذلك تدخل السلطة وبذلك كانت فاتحة الاضطهادات لمسيحي المنطقة في عهد الإمبراطور كومودوس(سنة180م) ،حيث تم فيها الحكم بالإعدام على 12 مسيحيا بقرية شيلي(scilli) وتلتها أحداث مشابهة في نوميديا ،إذ حكم بالإعدام على جماعة أخرى في مداوروش[4] ويعتبر ميناج أن أقدم شهيد مسيحي نوميدي هو العبد الذي يدعي

---

[1] – متولي يوسف شلبي :أضواء على المسيحية، الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع ،الكويت ،ص 23-26

[2] – باتريك لورو :الإمبراطورية الرومانية ،تر :جورج كتورة،ط1،دار الكتاب الجديد المتحدة ،2008،ص 165

[3] – محمد البشير شنيتي :المرجع السابق،ص273،274

[4] – محمد الهادي حارش :المرجع السابق ،ص225

"تامفاو"Namphamo الذي حكم عليه هو ورفاقه بقطع رؤوسهم سنة 188م[1] والملاحظ أن المسيحيين لم يعانو من طرف الإمبراطورية الرومانية فقط بل إضافة لهذا فإنهم لاقوا عداء شديدا من طرف الوثنيين الذين كانوا يهاجمونهم ويؤذونهم[2] ،وقد وضح ترتليانوس(160م – 220م) هذا بقوله:"... وبالطبع يسمون النصارى أعداء الدولة " ويضيف في هذا :"فوق ذلك تضطهدون من يعلمون ممن يلتمسونها ويستطيعون كذلك نيلها إذ يعرفون كيف يطلبونها"[3] لتستمر سلسلة الاضطهادات في عهد أسرة سيفروس(135–235م) والتي تتصف مرحلتها بالعهد الحديدي[4] إذ عرف عهد الإمبراطور رسبتميوس سيفروس إجراءات قمع واسعة ضد من يعلنون عن تنصرهم رغبة في الاستشهاد وعده المسيحيون من أكبر جلاديهم بعد دقلديانوس(284م –305م)، ومع وفاته طرء على الوضع شيء من الانفراج وأمكن للمسيحين أن يمارسوا حياتهم الدينية دون خشية وتستر[5]، إلا أن الأمر سرعان ما استتب للعودة إلى ما كان عليه عهد دقيوس(249م –251م) الذي ارتد في عهده عدد كبير من المسيحيين، كما ذهب العشرات منهم ضحية اضطهادات فاليريانوس ،في حين اتسمت الفترة التي بعده بنوع من السلم والوفاق مع السلطة دامت أربعين سنة تميزت بإنشاء الكنائس وتعميق العقيدة ولكن

---

1 – Mesange(J P).op–cit.p83

2 – عبد الحميد عمران: المرجع السابق،ص102

3 – ترتليانوس: المنافحة أو دفاع عن التوحيد، تر: عمار الجلاصي، نشر تاوالت ،2001،(فق 35،30،ص ص96،90)

4 – باتريك لورو :المرجع السابق ،ص24

5 – محمد البشير شنيتي :المرجع السابق ،ص274

هذا لم يكتب له الاستمرار بمجرد اعتلاء دقلديانوس العرش(أكبر جلادي النصارى)[1] ومن مظاهر الاضطهادات: التمثيل الشنيع بالمسيحين ورميهم للوحوش لتمزيق أشلائهم والحكم بالإعدام...،غير أن هذا زاد من الإقبال على المسيحية وارتفاع عدد المتنصرين لما يعتقدون فيها من تعاليم المساواة[2] ،ويذكر ترتليانوس(ت:220م) في هذا:"... فلتمزقنا أضافركم ونحن ضارعون إلى الله ولتعلقونا على الصلبان ،ولتلفح النيران جلودنا ولتقطع رقابنا سيوفكم ،ولتنقض علينا وحوشكم ،فشيمة النصراني المصلي لربه الاستعداد لكل تعذيب"[3] ومن هنا فإنه طيلة القرون الثلاث الميلادية الأولى تميزت المسيحية في العالم عامة والمغرب القديم خاصة بالتبشير ومحاولة إرساء عقائد هذا الدين بين المجتمعات والعمل على كسب أكبر عدد من المتنصرين وقوبل ذلك بالصد والرد والهجمات المتواصلة للقضاء عليها ،غير أن هذا لم يدم لفترة طويلة فقد شكل القرن 4 م منعرجا حاسما في تاريخ المسيحية بعد أن تنصر الملك الروماني قسطنطين(307م –337م) سنة312م فأصبحت المسيحية الديانة الرسمية في روما ومقاطعاتها حيث قاتل عليها حتى قبلها الناس ودانو بها[4] وأمر ببناء المعابد والكنائس في مختلف أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وأصدر مرسوما عرف بمرسوم ميلان يمنح به الحرية المطلقة في الاعتقاد[5] وشكل تنصر الإمبراطور عاملا أساسيا في انتشار المسيحية إذ أقبل عليها الوجهاء وكبار الدولة "فالناس على دين ملوكهم" وبذلك تقوى جانب الكنيسة اجتماعيا

---

[1] – محمد الهادي حارش :المرجع السابق، ص 226،227

[2] – توفيق المدني :المرجع السابق،ص13

[3] – ترتليانوس :المصدر السابق ،(فق،29،ص 89)

[4] – عز الدين أبي الحسن ابن الأثير: المصدر السابق، 339/1

[5] – عبد الرحمن الجيلالي :المرجع السابق ،73/1

بعد أن تعزز سياسيا[1] لكنها انتقلت من الاضطهادات الخارجية إلى الفتن الداخلية حيث حدث بين رجالها اضطرابات أفضت إلى انقسامها على جزئيين متنافسين[2]، حيث دخل على الدين المسيحي البعض من عوائد الوثنية وغيرها ،وإنتشر القول بالتثليث الذي رفضه جماعة كان على رأسهم القس الراهب أريوس الإسكندراني[*](270-336م)،كما اشتهر أنداك مذهب الراهب دونا Donatus الذي بدأت الدعاية الأولى له سنة 305م بمدينة كازنوار –الديار السود– بإقليم المغرب الأوسط شمال الأوراس[3]، وقد تميز هذا المذهب بنظرة متشددة للمسيحية، ودونات هذا كان من بين الأساقفة النوميدين المناهضين لأي اتصال "بالتراديتوريس"(Traditores أي خونة)[4] ونتيجة تولد هذا الصراع وقصد درئه من بداياته جمع الإمبراطور قسطنطين كل بترك وأسقف وعالم من سائر الأقطار وكانوا 318 وكان ذلك بمدينة نيقية عام 325م وقال لهم : "أنتم اليوم علماء النصرانية وأكابر النصارى فاتفقوا على أمر تجتمع عليه كلمة النصرانية ،ومن خالفها لعنتموه وحرمتموه ،فقاموا وقعدوا وفكروا ونذروا واتفقوا على وضع الأمانة التي بأيديهم اليوم" ومن ذلك سميت بوثيقة الأمانة[5] ، وهذا ما زاد في تأجيج الأوضاع فقد برزت الدوناتية في صورة تيار ديني مستقل يرفض جميع أشكال

---

[1] – محمد البشير شنيتي: المرجع السابق ،ص 288

[2] –مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق،300/1

* – تتلخص نظريته في أن الآب (الأقنوم الأول) قد خلق الابن (الأقنوم الثاني) قبل خلق العالم، وبذلك يكون الابن غير أزلي وغير مساو للآب، أبعد عن الكهنوت في مجمع نيقية سنة325م، وخُلع جميع الأساقفة الذين أخذوا بآثاره، الموسوعة العربية الميسرة،ص247

[3] – عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق،73/1

[4] – سعيد دحماني :المرجع السابق ،ص51

[5] – ابن القيم الجوزية :إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تح: عبد الحكيم محمد عبد الحكيم، المكتبة التوفيقية، القاهرة ،ج1، ص540

التعاون مع السلطة ممتنعا عن الامتثال لأوامر الإمبراطور ومقاوما لأساقفة كنيسة قرطاجة باعتبارها الكنيسة الأم في بلاد المغرب[1] وأخذت هذه الحركة في الانتشار بقوة وبسرعة في نوميديا وموريطانيا وكثر أتباعها إلى أن بلغ الأمر بهم سنة330م إلى الاستحواذ على جميع الكنائس[2] خصوصا بعد أن قويت شوكتها بحركة الريفيين "الدوارين" وكانت عبارة عن ثورة اجتماعية للإطاحة بالإمبراطورية والنفوذ اللاتيني[3] ،وعموما يمكن إيجاز الدوناتية ببلاد المغرب في ثلاث مراحل:

_ المرحلة الأولى: من عهد الانشقاق (305م) إلى غاية 347م حيث أصدر الإمبراطور قسطانس قرار الوحدة الكنسية وأرسل مبعوثيه إلى المنطقة وبالمقابل اتخذ دوناتوس مدينة "باغايا" مركزا للدفاع والمقاومة منذ تطبيق القرار وهي المرحلة التي ولدت الحركة فيها وانتشرت في الوسط المغربي ولاسيما الأوسط منها حيث عرفتها جميع أنحائه من نوميديا السيرتية وموريطانيا السطايفية إلى القيصرية (الشرشالية).

أما المرحلة الثانية: فقد عرفت اضطهادا ممارسا من طرف السلطة وبتحريض كاثوليكي، وعزم السلطة على توحيد الكنيسة منذ347م إلى 392م ،حيث أصدر الإمبراطور "ثيودوز"(379م –395م) قرار فرض الغرامة على رجال الحركة لرفضهم الوحدة ،وفيما يخص المرحلة الثالثة فقد امتازت باشتداد الصراع ما بين 392م إلى 411م(تاريخ عقد مجمع

---

1 – محمد البشير شنيتي: المرجع السابق،ص285،286

2 – مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق،331/1

3 – محمد الهادي حارش: المرجع السابق،ص228

قرطاج) والحكم عليها بالانضمام إلى الكنيسة الرسمية ،لكنها استمرت إلى غاية الغزو الوندالي لبلاد المغرب ونهاية الاحتلال الروماني سنة 430م[1]، ومن الشخصيات البارزة التي وقفت في وجه الدوناتية القديس أوغستين الذي عمل على تمكين المذهب الكاثوليكي (مذهب الدولة) والانتصار به خاصة بمدينة بونة(هيبون) ،وشكل جدارا منيعا في وجه الوندال وظل في منصبه الأسقفي إلى أن وافاه الأجل سنة 430م[2].

العهد الوندالي:

وإذا ما أتينا إلى العهد الوندالي ببلاد المغرب القديم فنجد أن الوندال تبنوا مذهب أريوس Arius كمذهب للدولة وعملوا على تطبيقه على حساب الكاثوليكية وهذا ما تسبب في تفاقم حدة الصراع إذ وصل الأمر في عهد هنريك (455م–488م) إلى ممارسة مختلف عمليات النفي والاضطهاد التي مارسها هذا الملك ضد رجال الدين الكاثوليك إلا أن مرحلة الملك هيلدريك(524م –530م) تميزت بنوع من الهدوء والاستقرار واستمر ذلك إلى نهاية فترة الاحتلال الوندالي وهنا نلمس استمرار حالة الفوضى وتقلص رجال الدين ،إضافة إلى عودة الدوناتية إلى مسرح الأحداث حيث أصبحت كنيستها تتمتع بمكانة هامة أنداك[3]،وشكلت هذه الظروف أهم عامل للرومان لاستعادة أرض المغرب بقالب جديد عرف بالفترة البيزنطية.

---

[1] – عبد الحميد عمران :المرجع السابق، ص 204

[2] – سعيد دحماني :المرجع السابق، ص ص55،53

[3] – يوسف عيبش: الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب دراسة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ط1،دار بهاء الدين ،الجزائر ،2009م/1430هـ ،ص ص 134،133

العهد البيزنطي:

امتاز بكثرة الجدل والنقاش الديني الذي أفضى إلى انقسام الكنائس خصوصا بعد أن أعلن الإمبراطور جستنيان(527م -565م) وجوب اعتناق المذهب الكاثوليكي وإلغاء غيره (535م)، في حين أن المغرب الأوسط في تلك الفترة كان على المذهب الأرثوذكسي الذي كان منتشرا بنواحي نوميديا وبجهات وادي الشلف وتلمسان والأوراس وفي الزاب، وبذلك فإن الأحوال امتازت بكثرة الحروب والثورات والفتن الناتجة عن التعصبات المذهبية والخصام الديني إلى أن وجدت المنطقة وأهاليها ضالتهم بعد الفتح الإسلامي سنة27هـ/647م[1] ،وبشكل عام فقد ارتكز ما سبق ذكره على كيفية انتشار المسيحية بمنطقة المغرب الأوسط وأهم المراحل التي مرت بها كديانة جديدة وافدة على البلاد ،إلا أن السؤال الذي يطرح هو إمكانية تعميمها على المنطقة والأخذ بها كديانة رسمية كما كان الأمر مع الإسلام؟

الملاحظ في هذه الحالة أن تطور هاته الديانة كان فاعلا في مناطق على حساب أمكنة أخرى ،فقد انتشرت أكثر في نوميديا وموريطانيا السطايفية ،وعرفت اضطهادات في القرى الرومانية ،ولم يتم تسجيل ذلك في مناطق الأهالي وظلت القبائل الأهلية على وثنيتها ،أما المترومنون وبعض سكان المدن فوجد منهم مسيحيون، على غرار القبائل التي لم تحتك بالرومان فبقيت على وثنيتها[2]، ومع هذا فإن أغلبية الباحثين اقتنعوا بأن عددا كبيرا من القبائل كانت تدين بالديانة المسيحية فالعديد من المصادر ترى أن الكنيسة قد استغلت فترات

---

1 - عبد الرحمن الجيلالي :المرجع السابق ،1/ 103،106

2 - عبد الحميد عمران: المرجع السابق،ص193

الأمن والسلام للقيام بدورها التبشيري[1] فقد ذكر كربخال عن قبيلة زواوة أنها كانت على النصرانية وتمسكت بها إلى أن جاء العرب الفاتحين ،ويفتخر قومها بكونهم من أصل مسيحي[2]، ويذكر ابن خلدون في هذه المسألة بأن أهل المغرب عامة ،قد كانوا دانو لعهدهم بما تعبدوهم به من دين النصرانية وأعطوهم المهادنة وأدوا إليهم الجباية"... فكان البربر بإفريقية والمغرب قبل الإسلام تحت ملك الفرنج وعلى دين النصرانية الذي اجتمعوا عليه مع الروم" ويزيد على ذلك أنهم في بعض الأحايين يدينون بدين من غلب عليهم من الأمم ،فإن الأمم أهل الدول العظيمة كانوا يتغلبون عليهم[3] ،وخلاصة الأمر أن المسيحية شقت طريقها في المغرب منذ عهده القديم وكسبت مؤيدين وتابعين لها حتى ولو كانوا بالأقلية.

---

[1] – يوسف عيبش :المرجع السابق، ص 164

[2] – مارمول كربخال :إفريقيا ، تر: محمد حجي وآخرون ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،الرباط ،1984،ج1، ص 94

[3] – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق،6/ 107،108

ثانيا :العناصر المسيحية

عرف المجتمع المغاربي تمازج سكاني حيث اختلفت عناصره وامتزجت فيما بينها مشكلة بذلك فسيفساء متجانسة متداخلة تعايش فيها بعضهم بعضا لتخلق بذلك انصهارا اجتماعيا بمختلف أجناسه من بربر وعرب وأقليات متعددة من فئات أندلسية وأخرى يهودية ومسيحية، وهاته الأخيرة بدورها انقسمت لعدة فروع تميزت باختلاف الهويات والجنسيات فما هي العناصر القومية التي تشكلت منها الاقلية المسيحية بالمغرب الأوسط؟

1/: بقايا البيزنطيين

لقد شكلت الاضطرابات والصراعات المذهبية المسيحية بالمغرب القديم محورا أساسيا في تراجع النفوذ البيزنطي وانكماشه بالمنطقة وما إن وصل العرب الفاتحون حتى اندثرت الدولة البيزنطية ليدخل المغرب طورا جديدا، لكن يبقى السؤال المطروح هل قضى الفتح الإسلامي على كل أثار المسيحية البيزنطية ؟

تشير المراجع الى أنه عندما وصل العرب الى بلاد المغرب الإسلامي كان به ما يقارب مئتي أسقفية[1]، فقضية وجود النصارى بالمغرب أمر أكدت عليه العديد من النصوص العربية والأجنبية[2] ، وقد ذكرت مصادر الفتح الإسلامي ذلك فابن عذاري تحدث عن مقاتلة القادة الفاتحين للروم وذكر أنه حين استقامت البلاد لحسان بن النعمان أقام الخراج على العجم وعلى من أقام معهم على دين النصرانية[3] وان كان لم يبق منهم الا القليل فأغلبهم فر من بلاد المغرب الا بعض الأقطار الأوربية كجزيرة صقلية[*] واليونان وايطاليا واسبانيا [1]، على

1– عبد الحميد زغلول :تاريخ المغرب من الفتح إلى عصور الإستقلال ، منشأة المعرف ،الإسكندرية ،1979–1990،ج1، ص126

2– عبد العزيز فيلالي: دراسات في الغرب الإسلامي ، ص 58

3– ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، 20/1

* – من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية، قريبة من جنوبي إيطاليا، وهي مثلثة الشكل، في كل زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيام، وهي مدينة في البر الشمالي الشرقي الذي عليه مدينة قسطنطنية، فتحت في أيام بني الأغلب على يد القاضي أسد بن فرات ، معجم البلدان،416/3–417

الرغم من أن الإسلام لم يفرض نفسه وظل أمر اعتناقه ضمن مجال الاختيار الحر فقد عمل الفاتحون على توسيع مجالهم السياسي دون أن يفرضوا عليه التجانس الديني[2]، وقد وصف اليعقوبي حالة بلاد البربر في النصف الثاني من القرن3هـ/9م بأنهم خليط من البربر وإلى جانبهم الرومان الذين ينتمون الى الإمبراطورية البيزنطية[3]، فمدينة باغايا كان بها بقايا الروم باعتبارها من الثغور البيزنطية في السابق ومن المحتمل أن يكون البعض منهم حافظوا على ديانتهم مقابل دفع الجزية مثل ما حدث في مدينة طبنة، فالمصادر لم تشر الى هجرة سكان المدينة[4] حيث اقتصر حديثها على حادثة إخراج الكاهنة للأهالي فقد ذكر ابن عذاري في هذا الغرض "...فخربت الكاهنة ذلك كله وخرج يومئذ من النصارى والأفارقة خلق كثير ..."[5]ويذهب جورج مارسيه الى التسليم بأن هاته الطائفة اندمجت مع الأهالي الأصليين مساهمين في مختلف مرافق الحياة العامة[6] ، إذ أنهم شكلوا إحدى الفئات السكانية بالمجتمع الرسمي في القرن 3هـ/9م ، وكانت لهم كنيسة بالعاصمة تيهرت يقيمون فيها شعائرهم الدينية بكل حرية[7] وربطتهم علاقة طيبة مع الإباضية وكان وجهاء هذه الجالية يعدون من خواص الامام الرستمي الإباضي كالإمام أفلح بن عبد الوهاب (208-258هـ/823-871م) والامام أبي اليقظان (268-281هـ/881-894م)، وبسقوط تيهرت في يد الفاطميين غادر المسيحيون المنطقة مجتمعين الى وارجلان رفقة الإباضية وكان ذلك مطلع القرن 4هـ/10م [8] ، ومن هنا نصل إلى أنه بقي أقلية ولو كانت بالصغيرة من الروم القدامى يدينون

1- عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني ،187/1

2- فيليب فارج، يوسف كرباخ: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي والعربي والتركي، تر: يوسف السباعي، سينا للنشر ،القاهرة،1994 .ص 62-63

3- أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ،دار صادر، بيروت ،1996،ج1، ص 187

4- مختار حساني: المرجع السابق، 3/ 173

5- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، 19/1

6- جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق في العصور الوسطى ،ت: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف ،الإسكندرية،1991، ص 84

7- الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي ،جمع وشرح : رمضان بن شاوش،ط1، المطبعة العلوية ،مستغانم،1385هـ/1996م، ص 32

8- عبد العزيز فيلالي: دراسات ،ص54

بالنصرانية في بعض الجهات من المغرب عقب الفتح الإسلامي، وقد ظلت مجموعة منهم متواجدة الى حدود منتصف القرن 5هـ/11م [1]، حيث شهدت المدن الحمادية تواجد طوائف مسيحية مختلفة ومنها البيزنطيين الذين تمتعوا بحقوقهم وبحرية إقامة شعائرهم الدينية [2] وهذا ما يفسر بحفاظهم على نقاء دمائهم ولغتهم وتمسكهم بعاداتهم وتقاليدهم في مختلف حواضر مملكة بني حماد [3]، لكن الملاحظ في الامر أن هذه الجالية عرفت تراجعا وتقهقرا من حيث العدد نظرا لسيادة الدين الإسلامي بالمنطقة وبسبب ذلك أصبحت النصرانية قاب قوسين أو أدنى من الانقراض التام في أرض المغرب الاوسط فمن الأسقفيات البالغ عددها مئتان(ببلاد المغرب عامة) في القرن السابع ميلادي لم تبق سوى خمس أسقفيات سنة 445هـ/1053م[4] ولولا الاشارات التاريخية التي تركها الرحالة المغاربة لجزمنا بنهاية الاستقرار المسيحي بعامة والبيزنطي خاصة بالبلاد فالبكري يصف بونة [5] "بمدينة أقشطين العالم بدين النصرانية" [6] وقد حافظ مسيحيو هذه المدينة على ديانتهم وكان رجال الكنيسة يشرفون على تأدية الشعائر الدينية بها وأهم دليل على ذلك هو تعين القس "سيرفاند" servand أسقف هيبون من طرف البابا "غريغوار السابع Grégoire7 سنة469هـ/1076م[7]، وعموما فإن هذه الفئة أخذت تتناقص تدريجيا وتسير نحو الزوال مع نهاية القرن 5هـ/11م ومطلع القرن 6هـ/12م وهذا ما

1– إبراهيم القادري بوتشيش : المرجع السابق ، ص68

2– محمد الميلي : المرجع السابق، 258/2

3–موسى هيصام: المرجع السابق، ص 33

4–روبار برنشفيك: تاريخ إفريقية الحفصية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م، تر: حمادي الساحلي،ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1988،ج1، ص461

5– رضوان البارودي: دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، د.ط، مركز الإسكندرية للكتاب ،الأزاريطة ،2007، ص 201

6– أبو عبيد الله البكري: المصدر السابق ،ص 52

7– سعيد دحماني : المرجع السابق، ص79

وضحته المراسلات البابوية مع أسقفية قرطاجنة [1]،وعلى الأرجح أن نهايتهم بالمنطقة اقترنت بالتوحيد السياسي للمغرب عهد بني عبد المؤمن سنة 547 هـ/1152م [2].

1– رضوان البارودي: المرجع السابق، ص 201

2– فيليب فارج، يوسف كرباخ :المرجع السابق، ص 66

2/:عناصر محلية :

إضافة إلى البيزنطيين الذين كانوا يدينون بالمسيحية فإننا نقف أمام فئة أخرى من الفئات السكانية التي اعتنقت هذا الدين منذ القدم فسكان المغرب الأوسط أي البربر دانوا بالنصرانية منذ القرن 2 م كما هو معروف ، وحسب ابن خلدون فإنهم كانوا يأخذون بديانات من غلب عليهم من الأمم ، فمن هنا يتبادر للذهن قضية انتشار الإسلام بكافة أرجاء المغرب ، أم أن البعض من الأهالي استطاعوا البقاء على نصرانيتهم ؟

من المؤكد أنه عندما وطأ قادة الإسلام أرض المغرب الأوسط وجدوا بها جالية مسيحية قوية، ترجح الكتابات الأجنبية أنها تصل إلى مليون ونصف مليون شكل الأهالي النصارى جزءا منها[1] ،فقد أجمعت المصادر العربية على هذا ، ومثال ذلك ما ذكره ابن خلدون عن كسيلة زعيم قبيلة أوربة ، حيث كان هو وقبيلته على دين النصرانية ، ومعروف أنه أسلم إلا أنه سرعان ما عاد للارتداد بعد ولاية أبي مهاجر[2] وقد فند ذلك كل من ابن الأثير وابن عذارى المراكشي[3]، وقد سبقت الإشارة إلى أهل قبيلة زواوة ذات الأصول المسيحية على حسب رواية كاربخال ، فقد كانوا يفتخرون بانتمائهم المسيحي ، كما أنهم تميزوا بعادات غربية قصد تفريقهم عن الأفارقة العرب حيث أنهم لا يحلقون لحاهم ولا يقصون شعر رأسهم من كل جهة كما يفعل المسلمون[4] ،وقد كفل ولاة المسلمين الحرية الدينية لهذه الطوائف ، ومن ثم عاشوا ينعمون بعدالة الإسلام بين سكان البلاد ، ووجدت منهم جماعات متفرقة في القرنيين 5هـ و 6هـ/11م و 12 م[5]، فقد ذكر البكري(القرن 5هـ/11م) تواجد جالية مسيحية بتلمسان : " وفيها للأول آثار قديمة وبها بقية من النصارى إلى وقتنا هذا ولهم بها كنيسة

---

1 – فيليب فارج ،يوسف كرباخ :المرجع السابق،ص58

2 – ابن خلدون :المصدر السابق،109/6

3 – ابن الأثير،148/3 ، ابن عذارى المراكشي،18/1

4 – مارمول كربخال: المصدر السابق،ص94

5 – حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين،ط1،مكتبة الخانجي ،مصر ،1980،ص363

معمورة "[1] كما أورد الحميري ذلك[2] والمرجح أنها جماعة محلية[3] إضافة لهذا فقد وجدت أيضا جالية مسيحية أهلية بالقلعة الحمادية التي حرصت المراجع الأجنبية على تعميق أصالتها ونعتها بالبربرية وهي ذات امتداد تاريخي ببلاد المغرب[4] ، وهذا ما عبر عنه برنشفيك بقوله :" وفي سنه 508 هـ /1114م يبدو أنه ما زالت توجد بقلعة بني حماد طائفة مسيحية ربما تكون أهلية "[5] ، ولعل ما يفند هذا هو إنشاء كنيسة مريم العذراء في نفس السنة برئاسة القس عزون المعروف عند العامة باسم الخليفة[6]، والجدير بالإشارة أن القلعة منذ إنشائها عرفت توافد جاليات مسيحية محلية من أماكن مختلفة كالأوراس و إفريقية ومن القبائل الكبرى من كتامة و زواوة ، ومن الحضنة و مسيلة ويبدو أن ذلك راجع لسياسة التسامح وحرية المعتقد التي تميزت بها المملكة[7] وبنقل العاصمة من القلعة إلى بجاية نجد انتقال جزء من هاته الجالية مع الحماديين ، وهذا ما حذا بطبيعة الحال بالبابا إلى إرسال أسقف لهؤلاء النصارى بناء على طلبهم[8]، إذا فبجاية أصبحت مركز أسقفية في القرن 5هـ/11م[9] وليس هناك ما هو أدل على ذلك من قول البكري حول البربر ونصرانيتهم حيث يذكر أن : " البربر قد تنصرت فكان منهم من أظهر اجتهادا في النصرانية حتى صار شماسا ..."[10] ومع نهاية القرن 5هـ /11 م وبداية القرن 6 هـ/ 12م نصل إلى طور هام في تاريخ هاته الأقلية إذ أنها تمثل مرحلة القطيعة للمسيحية البربرية من المنطقة ، فالكتابات الغربية تذهب إلى الاعتقاد بأن عبد المؤمن بن علي قد قضى سنة554هـ/1159م على بقايا هاته

---

1 – أبو عبيد الله البكري :المصدر السابق،ص72

2 – المصدر السابق،ص135

3 – فيليب فارج ،يوسف كرباخ : المرجع السابق ،ص85

4 – عبد الحليم عويس :المرجع السابق،ص238

5 – روبار برنشفيك : المرجع السابق ،ص461

6 – عبد الرحمن الجيلالي :المرجع السابق ،288/1

7 – عبد العزيز فيلالي :دراسات ،ص60

8 – جورج مارسيه :المرجع السابق،ص201

9 – رابح بونار :المرجع السابق،ص211

10 – أبو عبيد الله البكري :المصدر السابق،ص53

الجالية سواء منها البيزنطية أو المحلية في جميع مدن المغرب[1]، وهذا ما عبر عنه شارل أندري جوليان بقوله : " لقد كانت مئات الأسقفيات موجودة بإفريقية ، وفي أوائل القرن الثامن ميلادي ، لم يبق إلا ما يقارب الأربعين غير أن وجود المسيحية بقيت الأدلة عليه حتى عهد الموحدين ..."[2] .

وبالتالي فإن المسيحية البربرية أخذت أكثر من خمسة قرون حتى تتلاشى من أرض المغرب الإسلامي ككل[3] رغم جهود رجالات المذاهب المسيحية على اختلافها التي انصبت على محاولة إعادة التماسك إلى تلك الجماعات من أجل حفظ هويتها[4] وعلى العموم فقد تعايشت الدولة الإسلامية بالمغرب الأوسط مع مواطنيها المسيحيين من واقع الاعتراف بهم كحملة كتاب توحيدي ، تترتب لهم حقوق وعليهم واجبات ، وتم التمييز في الغالب بين هؤلاء المواطنين (المحليين) وبين البيزنطيين في وعي جمهرة المثقفين ، وفي الوعي الشعبي [5].

---

1 – روبار برنشفيك :المرجع السابق،ص461

2 – شارل أندري جوليان :المرجع السابق،ص384–385

3 – فيليب فارج ،يوسف كرباخ :المرجع السابق،ص68

4 – رضوان السيد: العلاقات الإسلامية المسيحية ثقافة جدل وثقافة الحياة ، مجلة الاجتهاد ،العدد28،السنة السابعة، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة ،لبنان،1416هـ/1995م،ص10

5 – شمس الدين الكيلاني: حقبة الحروب الصليبية والوضع على طرفي المجابهة التاريخية، مجلة الاجتهاد ،ص74

3/:عناصر أوروبية :

على غرار المسيحيين البيزنطيين والمحليين فإن أرض المغرب الأوسط سجلت حضورا نصرانيا من أجناس مختلفة ، فقد عرفت المنطقة روافد متعددة وجديدة لهاته الجالية وكانت في أغلبها أوروبية ، حيث جلبهم إلى البلاد مغناطيس الأمن والعدل للتجارة وغيرها من الأعمال ، وكانوا يرجعون في غالب أمورهم إلى كبارهم[1]، وكان مسموح بتواجدهم بالبلاد نظرا للمنافع التي تأتي من ورائهم[2]، فقد تعددت أشكالهم من أسرى وتجار ورجال الدين وعبيد[3] ،فمع مطلع القرن 6ه /12 م وفدت أعداد كبيرة إلى بلاد المغرب للعمل كجنود مرتزقة في جيوش المرابطين والموحدين[4] كما تزايدت أعدادهم كثيرا بعد حادثة تغريبهم في بلاد المغرب وإبعادهم عن الأندلس بسبب غدرهم بالمسلمين وتحالفهم مع ألفونسو المحارب ملك أرغون أثناء غزوته لجنوب الأندلس سنة 459 ه / 1125م[5] ، ويذكر صاحب الحلل الموشية في هذا : "...ونفذ عهده إلى جميع بلاد الأندلس بإزعاج المعاهدين إلى ناحية مكناسة وسلا وغيرها من بلاد العدوة..."[6] ونظرا للحركية الكبرى التي شهدها مغرب القرنيين 5-6 ه /11-12 م والتي شملت مختلف المجالات العسكرية والبشرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فقد تعددت صور هاته العناصر ومنها الأسر والاسترقاق اللذان مثلت الجهة الأوروبية المصدر الحقيقي لهما وقد كانت تتم عملياته إما عن طريق الحروب أو القرصنة أو عن طريق التجارة[7] ومن أمثلة ذلك :

---

[1] – أحمد بن عامر :الدولة الحفصية ،صفحات خالدة من تاريخنا المجيد، مطبعة الاتحاد التونسي ،دار الكتب الشرقية ،تونس ،1974م،ص74

[2] – جورج مارسيه :المرجع السابق،ص308

[3] – عبد العزيز فيلالي :دراسات ، ص66

[4] – رضوان البارودي :المرجع السابق ،ص203

[5] – كمال السيد أبو مصطفى :المرجع السابق ،ص39

[6] – مؤلف مجهول :الحلل الموشية ، ص90-91

[7] – عبد الإله بنمليح: الرق في بلاد المغرب والأندلس،ط1،الإنتشار العربي ،بيروت ،لبنان،2004،ص ص148،128

الصقالبة :و الصقلبي بفتح الصاد المهملة ، و القاف الساكنة واللام المفتوحة وفي آخرها الباء الموحدة ، وقد اختلف المؤرخون في أصولهم فالجزري ينسبهم إلى صقلب بن لنطي بن يافث ويقال صقلب بن يافث[1] وهرشيش مؤرخ الروم ذكر أنهم من بني ماغوغ بن يافث[2] وعند المسعودي هم من ولد ماذاي بن يافث بن نوح وإليه ترجع سائر أجناس الصقالبة وبه يلحقون في أنسابهم ومصدرهم من البحر الغربي[3] من بلاد بلغاريا التي تمتد أراضيها إلى البحر الأدرياتي[4]،وهم أجناس متنوعة يتبع بعضهم دين النصرانية والبعض الآخر لا ينقاد إلى شريعة واحدة ، وقد توسع العرب في استعمال اسم صقلب esclave إذ أطلقوه على معظم العبيد الذين جلبوهم من أي أمة مسيحية كلمبارديا و قلبريا وقطلونيا وجيليقية (غاليسيا)[5] وقد مثلت بلاد الأندلس أهم طريق لأهل المغرب للحصول عليهم[6] عن طريق الشراء فقد بلغ عددهم في القرن 5 هـ/11م وما تبعه عددا هائلا حيث أنهم شكلوا أهم السلع القادمة من وسط أوروبا في اتجاه موانئ البحر المتوسط جنوب إيطاليا وفرنسا و إسبانيا المسيحية[7] كما شكلت الغارات والغزوات البحرية ضد سواحل الإمارات المسيحية في كل من سردينيا ، وكرسفة ، ثم صقلية مصدرا هاما لهذه الفئة[8]، كما كانوا يصلون البلاد عن طريق الهدايا ، وقد امتد استخدامهم طيلة قرون العصور الوسطى ، فقد استقدمهم الزيانيون أيضا

---

1 – أبو الحسن علي الشيباني الجزري :اللباب في تهذيب الأنساب، د.ط ،دار صادر، بيروت ،ج2،ص244

2 – القلقشندي :المصدر السابق،368/1

3 – المسعودي :مروج الذهب ومعادن الجوهر ،تنقيح وتصحيح :شارل بلا، مطبعة بربيه دي مينار وبافيه دي كرتاي ،بيروت ،1965،ج2،ص142

4 – خديجة قروعي :المرجع السابق،ص96

5 – المرجع نفسه، ص97

6 – جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين ،ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون ،الجزائر، ص ص270،268

7 – عبد الإله بنمليح :المرجع السابق ،ص148

8 – موسى هيصام :المرجع السابق،ص33

في بلاطهم وكان لهم مركز سياسي و اجتماعي في مجتمع المغرب الأوسط[1] وعملوا في مختلف المجلات ولهذا سموا بأرستقراطية العبيد[2]

الأسرى:

وإلى جانب هؤلاء فقد كان يوجد أيضا الأسرى المسيحيون بكثرة في مدن المغرب الأوسط ولاسيما منها عنابة وبجاية والجزائر ووهران ، وقد كانوا يعدون بالآلاف لأن البحر الأبيض المتوسط لا يشكل عائقا أو عقبة أمام الانتشار البشري أو الحضاري ما بين بلدان البحر الأبيض المتوسط[3]، فطبيعة احتكاك دويلات المغرب الأوسط بأوروبا والذي غلب عليه طابع الصراع والتوتر فرض تواجد مثل هاته الطوائف بالمنطقة[4]، فنتج عن ذلك العنصر الإسباني أكثر من غيره ولا سيم أهل ميورقة[*]، وقد كان يتمتع بمكانة مرموقة في مدن المغرب الأوسط[5] وضف إلى ذلك الجند المرتزقة الذي أصبح أمر استخدامهم في الجيش والحرس ركنا أساسيا منذ العهد المرابطي[6] ، ويذكر برنشفيك أن البعض منهم كانوا متطوعين أحرار ظلوا متمسكين بديانتهم وقد ظل هذا النظام متعامل به عند الموحدين ومن بعدهم الدول البربرية الثلاث[7] وقد تشكلوا من جنسيات أراغونية و قطلونية وإيطالية وفرنسية ...[8]

---

[1] – عبد العزيز فيلالي :تلمسان ، 183،184/1

[2] – عيسى بن الذيب : المغرب والأندلس في عصر المرابطين ،دراسة إجتماعية وإقتصادية،480هـ –540هـ/1056م–1145م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في التاريخ الوسيط، إشراف :أحمد شريفي ،جامعة الجزائر، السنة الجامعية ،1429هـ .1430هـ/ 2008م–2009 ،ص39

[3] – عبد العزيز فيلالي :دراسات ،ص63–64

[4] – خالد العربي :المرجع السابق،ص265

[*] – استولى عليها الإسبان بقيادة خايمي الأول ملك الأراغون سنة 627هـ/1229م، الإحاطة في أخبار غرناطة، 255/3

[5] – عبد الحليم عويس :المرجع السابق،ص237

[6] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص72

[7] – روبار برنشفيك :المرجع السابق،ص470

[12]– عبد العزيز فيلالي :تلمسان ،ص189

أما أهم فئة جسدت العنصر الأوروبي بأرض المغرب الأوسط فهم التجار الذين كان لهم دور بارز في تنشيط الحركة التجارية بالمنطقة، وفي ربط وتوثيق العلاقات بين الطرفين ، فقد كان المسيحيون بصفة عامة يقيمون في مدن المغرب الأوسط للتجارة وخاصة منهم ممثلي الشركات الأجنبية وكان جميعهم يحافظون على جنسياتهم[1]، فكان التجار يأتون بالدرجة الأولى من المدن الإيطالية كجنوة وبيزة والبندقية وفلورنسا[2] ، فقد عرف الشمال الإيطالي منذ القرن 5هـ/ 11م تطورات إقتصادية وسياسية أدت إلى نشأة ما يعرف باسم القومونات أو المدن ذات الكيان الإقتصادي والسياسي المستقل، حيث ظهرت كل من جنوة وبيزة والبندقية كقوى مستقلة كان لها الإسهام الفعلي في الحروب الصليبية وفي الجانب التجاري[3]، وقد وجدت في الحوض الغربي للبحر المتوسط ضالتها ، حيث ساعدتهم ظروف المغرب الأوسط على النجاح في تحقيق هدفهم وكان في مقدمة التجار المتعاملين مع أراضي المنطقة الجنويون ، ويليهم تجار البندقية ثم البيزيين وأخيرا الفلورنسين[4]، ومنذ نهاية القرن 6هـ/12م وبداية القرن 7هـ/13 م استقرت في المغرب الأوسط إضافة إلى الإيطاليين الجاليات التجارية البروفنسية (الفرنسين)، و الأراغونية قطلانية[5]،وتمثل هاته الأخيرة مقاطعات إسبانيا المسيحية إضافة إلى برشلونة وقد برزوا بشكل فاعل وروح جريئة منذ نهايات القرن 6هـ/13م ، أما عن الجالية الفرنسية فنجد من مختلف المقاطعات كمونبلييه ، وإيجوسورت ، ولانجيدوك ، ومرسيليا من إقليم البروفانس[6] ، وقد ازدادت هاته الجاليات الأجنبية المستقرة من حيث

---

[1] – لطيفة بشاري :مكانة تلمسان التجارية في العهد الزياني، مجلة دراسات تراثية ،مجلة علمية سنوية محكمة ،يصدرها مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر)العدد01،جامعة الجزائر –2–،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، دار الملكية للطباعة والنشر ،الجزائر،2007،ص27

[2] – جورج مارسيه: المرجع السابق،ص308

[3] – سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت،1976،ص290

[4] – لطيفة بشاري :نشاط البحرية الإيطالية التجاري في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط منذ القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين، مجلة دراسات تراثية ،العدد04،السنة2010،ص ص74،75

[5] – لطيفة بشاري :المرجع السابق، ص72

[6] – هنري بيرين :تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)،تح وتر: عطية القوصي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1996،ص147

العدد والأهمية والتنظيم في غضون القرن 7ه/ 13م[1] وكان التاجر المستأمن على روحه وأمواله ، يخضع للسيادة المحلية ، و إذا انتهى الأجل المحدد لإقامته وأراد البقاء في المدينة يتحول إلى معاهد أو ذمي[2].

وإلى جانب هذا فقد كان يخدم بالقصور المغربية جاريات أوروبيات[3] ،وبالتالي فإن الجاليات الأوروبية في حد ذاتها امتازت بالتنوع و اختلاف الأجناس وتعدد مهامها في الحياة الوسيطية للمغرب الأوسط لتخلق بذلك فئات مختلفة مختلطة في جالية واحدة.

وخلاصة هذا أن الأقلية المسيحية بالمغرب الأوسط على الرغم من قلة عددها مقارنة بغيرها من الجاليات إلا أنها تشكلت من عناصر مختلفة خلقت نسيجا اجتماعيا مترابطا ، فعلى الرغم من اختلاف الجنسيات إلا أن العامل الديني شكل منهم وحدة اقتصادية وسياسية واجتماعية بالمنطقة .

---

[1] – روبار برنشفيك :المرجع السابق،ص462

[2] – عبد العزيز فيلالي :تلمسان ،ص190

[3] –لخضر عبدلي :المرجع السابق،ص201

ثالثا : توزيعهم الجغرافي

تميز التركيب الديموغرافي للمغرب الإسلامي عامة بتركيبة فسيفسائية ومتحولة من فترة لأخرى باعتبار أن هذا المجال في الآن نفسه كان قطبا ديموغرافيا استقرت فيه العديد من الأجناس من بربر وعرب وأقليات دينية وعرقية ، وباعتبار أن البنية الداخلية للمجتمع المغاربي اتسمت بانقسامها إلى نظامين : نظام مجتمع المدن ، ونظام مجتمع البوادي ، فإن القوة البشرية المتعايشة بالمنطقة تنوعت وتفاوتت ما بين بدو و حضر ، وقد ظهرت نسبة البدو أقوى من نسبة سكان المدن[1]، فالبدو أقدم من الحضر والبادية أصل للمدينة والعمران ، إذ قال ابن خلدون :"...فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما، لأن أول مطالب الإنسان الضروري...فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة...، ومما يشهد لنا أن البدو أصل للحضر ومتقدم عليه أن إذ فتشنا أهل مصر من الأمصار وجدنا أولية أكثرهم من أهل البدو الذين بناحية ذلك المصر و في قراه..." [2] وبذلك فإن بلاد المغرب شكلت مجالا حيويا لمختلف الأنماط البشرية المتواجدة بها، وبالحديث عن الاستقرار النصراني بالمغرب الأوسط يجرنا الأمر إلى التساؤل عن كيفية التوزع بالمنطقة؟ وهل يمكننا إسقاط التوزيع السكاني بشكل عام بالبلاد، –أي بين البادية والحاضرة –على الجالية النصرانية باختلاف عناصرها؟ .

إن المتتبع لتاريخ هاته الأقلية بالمغرب الإسلامي يجد نفسه أمام مشكلة تكتم المصادر التاريخية تجاه هؤلاء الأفراد ولا سيما إذا تعلق الأمر بشكل خاص بالمغرب الأوسط ، وربما يعود ذلك إلى اعتبارهم " غرباء" عن دار الإسلام ، وبالنظر إلى المناسبات القليلة التي وردت أخبارهم فيها وبصورة عفوية فإنها ذكرتهم بكلمات مبتورة تفهم من خلال السياق أنها اعتبرتهم مسيحيين ينتمون إلى دار الحرب ، وربما يرجع ذلك للظرفية التاريخية التي كان يمر بها

---

[1] – محمد حسن: المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي ،جامعة تونس الأولى ،1999،ج1،ص138

[2] – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان. ،ص99-100

حوض المتوسط آنذاك[1] وعلى العموم يمكن لنا أن نستقي من هذه الإشارات بعض الأوضاع والظروف التي مهدت لنا الوصول إلى التقسيم المسيحي في المنطقة .

فمن خلال ما ورد في بعض المصادر وكتب النوازل يتبين لنا أن البعض من الأقلية المسيحية استقرت بالبوادي المغربية على الرغم من تضاؤل عددهم.

فالبدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم العاجزون عما فوقه ، و أول مطالب الإنسان الضروري[2]، وقد وصف المجال البدوي على أنه وحدة استغلال زراعي ، قائمة على الزراعات السنوية والغرامات ، و تحددت بالمعنى المقابل للمدينة على أنها مركز توطين ريفي يفتقر إلى مؤسسات إدارية وإلى سلطة سياسية هامة ، وتواجدت في السهول والجبال على السواء ، هذا وتميزت بعدم التجانس الديموغرافي والمورفولوجي ، وبصفة عامة فهي تجمع عفوي لسكان منطقة قد يكونون من نفس القبيلة أو من أكثر[3]، فابن خلدون ذكر أن سكان قرية توزر وبعض نواحي قسنطينة كانوا من بقايا قبيلة نفزاوة ويقيم معهم معاهدون من الفرنجة الذين ينتسبون إلى سردينيا ونزلوا على حكم الجزية والذمة منذ الفتح الإسلامي وبها أعقابهم حتى القرن 8 هـ/14م[4] ، ولعل الطوائف التي استقرت بالبوادي هي العناصر المحلية المسيحية التي كانت بالبلاد قبل الفتح، فقد حافظت أقلية من بعض القبائل على مسيحيتها كبني يزغتن من قوم زناتة[5] ، والبعض من قبيلة زواوة[6] ، وضف إلى ذلك فقد استقر النصارى الإسبان بها بعد أن أجلاهم الأمير المرابطي علي بن يوسف إلى بر العدوة المغربية

---

[1] – زينب عبد الله أحمد كرير: أهل الذمة في العهد الحفصي 626هـ –692هـ/1227م–1574م،أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراة في التاريخ الإسلامي، إشراف: قاسم عبده قاسم ، سامية مصطفى مسعد، جامعة الزقازيق، مصر ،2005 ، ص125

[2] – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة ، ص97

[3] – محمد حسن : المرجع السابق،ص58

[4] – عبد الرحمن ابن خلدون: كتاب العبر ، 116/6

[5] – عيسى بن الذيب : المرجع السابق،ص49

[6] – مارمول كربخال : المصدر السابق،ص94

، وما يدل ذلك هو امتهان بعضهم للزراعة[1]، فابن خلدون يذكر: " أن البدو كانوا يمتهنون الفلح والزراعة والغرس والرعي"[2] ، وبالإضافة لهاته المعطيات فقد جاء في نازلة للونشريسي أن أهل البادية كانوا يشاركون النصارى في أعيادهم وبالتالي فإن هذا يؤكد تمركز بعض النصارى بالبادية[3] ، وفي المقابل فإن المؤرخين الغرب يرون أن هاته الفئة لم تنتمي قط إلى عالم البدو الرحل ، ولم يقيموا في معظمهم كثيرا في المناطق الداخلية[4]، وأمام هذه الإشارات القليلة عن أهل الذمة عامة في أرياف البلاد بغربها وشرقها ، فإن منطقة البوادي لم تعرف تواجدهم إلا بأعداد ضئيلة ، ويبدو أن المدن هي المناطق الأساسية التي نزلها النصارى بالمغرب الأوسط ،فقد تعددت عنهم الإشارات في مختلف المدن[5]، والمدينة هي مجتمع بيوت يزيد عددها على بيوت القرية أو هي المصر الجامع[6] ، وتعتبر مقوما أساسيا من مقومات الحضارة ، وقد حددها الجغرافيون العرب بكونها تجمع للحضر محاط برستاق يجل بجلالته وقائم على وجود مؤسسات أهمها السوق والسود والمنبر والحمام...[7] ولعل هذه المؤثرات شكلت نقاط جذب للجالية النصرانية بها بشكل فاعل على عكس البادية ، فابن القاضي يورد أنه حكي عن الحكماء أنها قالت : لا تستوطن إلا بلدا فيه سلطان حاضر ، وطبيب ماهر ، ونهر جار ، وقاض عادل ، وعالم عامل ،وأسواق قائمة ، وقالت الحكماء أيضا : أحسن المدن هي التي تجمع خمسة أشياء نهر جار، ومحرث طيب ، وحطب قريب، وسور حصين، وسلطان قاهر، إذ به صلاح أهلها وتأمين سبلها[8]، وقد شكلت هذه الخصائص الدافع

---

1 – إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المتوسطية ،ص91

2 – عبد الرحمن ابن خلدون : المقدمة ،ص98

3 – أبوالعباس أحمد بن يحي الونشريسي: المصدر السابق، 92/11

4 – روبار برنشفيك: المرجع السابق،479/1

5 – عزالدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي في القرن 6ه /12م ،رسالة لنيل درجة الدكتوراة في التاريخ، الجامعة الأمريكية ،بيروت،1975 ،ص127

6 – المنجد في الأعلام واللغة،ط21،دار المشرق ،بيروت ،1973،ص 752

7 – محمد حسن : المرجع السابق، ص ص58،55

8 – أحمد بن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل مدينة فاس من الأعلام ، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،ج1، ص42، أبن أبي زرع : المصدر السابق،ص33

الرئيسي لاستقرار التجار المسيحيين بها حيث كانوا يشكلون جزءا مهما من المجتمع الحضري بحكم الدور الوظيفي الذي يقومون به في إطار نشاط اقتصادي[1]، ولم يقتصر الأمر على التجار فقط ، فأهل الذمة عامة بمختلف عناصرهم كانوا يسكنون المدن في المغرب الأوسط إذ أنهم مثلوا أحد أبرز الفئات الهامة في الطبقة المتوسطة فيها ونشطوا في مختلف المجالات[2] ، ففي القرن 5هـ/11م كانت توجد بعض العناصر المسيحية وبصورة قطعية في المدن الرئيسية كقسنطينة ، وبونة وقلعة بني حماد وهذا ما تثبته الأسقفيات المنتشرة بها وإن كان عددها قد تقلص عما كانت عليه في سابق العهد الإسلامي للبلاد حيث وصلت إلى خمس أسقفيات سنة 445هـ/1053م[3]، وهذا وقد توزعت الطوائف المسيحية على مختلف المدن الحمادية إما من بقايا الروم ، وإما من البربر الذين فقدوا جنسيتهم أو من الأوروبيين الذين نزحوا إلى المنطقة أو من سبي أوروبا ، ويرجع ذلك إلى ما كانت تتمتع به البلاد من حرية الأديان واحترام العقائد والحقوق المحفوظة لهاته الأقلية وكان بالقلعة كنيسة تقع بحي جراوة يطل عليها قصر المنار وقسيسها القيم عليها يومئذ يعرف باسم "عزون"[4]، ويمثل تعيين القس سرفاند أسقفا لبونة من طرف البابا غريغوار السابع سنة 469هـ/1076م دليلا على استقرار جالية مسيحية بالمدينة[5] يضاف إلى ذلك مدينة تلمسان التي يذكر البكري أنها تحتوي على بقية من النصارى في حدود القرن 5 هـ/11م وكان لهم بها كنيسة معمورة[6]، وبالتالي فإن هذه المدن شكلت أحد المراكز الرئيسية التي استقر بها النصارى في القرن 5هـ/11م ، فإذا ما تعرضنا إلى الفترات اللاحقة نقف أمام حتمية تقلص المجال الاستيطاني لهذه الجماعات وفقا لما فرضته الظروف التاريخية وما أكدته بعض الكتابات الأجنبية ، التي

---

1 – محمد ناصح: مكانة التجارة بين الفئات الاجتماعية المكونة للمجتمع الحضري، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب ، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، من 15 رجب إلى 17 رجب1409هـ/21–23 فبراير 1989م،ج2،ص75

2 – عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق،ص135

3 – روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص461

4 – محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 2007،ص143

5 – سعيد دحماني: المرجع السابق،ص79

6 – أبو عبيد الله البكري : المصدر السابق،ص72

تذهب في معظمها أنه مع منتصف القرن 6هـ/12م لم يبق من النصارى بالمنطقة إلا بعض التجمعات الصغيرة[1] ويرجعون ذلك إلى الاضطهاد المزمع حسبهم من طرف الموحدين لأهل الذمة ، فبمجرد تولي عبد المؤمن بن علي زمام أمور المغرب الإسلامي بأقصاه و أدناه وأوسطه أصدر أوامره إلى جميع عمال مملكته بأن يخيروا اليهود والنصارى المواطنين بين الجلاء عن البلاد أو اعتناق الإسلام وضرب لذلك أجلا معلوما ، وقد أسلم الكثير(أو تظاهر بالإسلام) وهاجر من أبى ذلك[2] وقد دعمت بعض المصادر العربية ذلك مما جعل الغربيون يستندون إليها في كتاباتهم ويؤكدون ما جاء فيها ، فالمراكشي مؤرخ الدولة الموحدية يذكر أنه لم يبق لأهل الذمة وجود بالمنطقة " ولم تنعقد عندنا ذمة ليهودي ولا لنصراني مند قام أمر المصامدة ولا في جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة ولا كنيسة"[3]، كما ذكر التيجاني في رحلته أن عبد المؤمن عرض الإسلام على من بتونس وباقي مدن المغرب الإسلامي من اليهود والنصارى ، فمن أسلم سلم ، ومن امتنع قتل[4]، وهذا ما حذا بألفرد بل القول : " وعلى هذا النحو زالت نهائيا طوائف مسيحية كانت لاتزال تعيش في القسم الشرقي من الشمال الإفريقي في القرن 6هـ/12م . وتم زوالها في عهد عبد المؤمن بن علي "[5] ويبدو أن السياسة الموحدية المنتهجة إزاء النصارى كانت تتحكم فيها الظروف السائدة أنذالك والتي تمثلت في روح الجهاد والحرب والعداء المستمر بين المسلمين والنصارى[6] وضف إلى ذلك فإن عبد المؤمن الموحدي ومن أعقبه كانوا يسعون إلى تأسيس دولة إسلامية تتمتع بتنفيذ الشرائع

---

1 – Dufourqc .L'Espagne catalane et le magreb au XIII et XIV siècle de la bataille de los Navas de toloza 1212 l evenment du sultan merinide Abou-L. Hassan 1331 presse universitaire de france.Paris.1966. p105

2 – عبد الله علي علام: الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف،القاهرة،1971،ص240

3 – عبد الواحد المراكشي: المرجع السابق،ص224

4 – أبو محمد عبد الله التجاني: رحلة التجاني، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس،1981،ص347

5 – ألفرد بل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، تر: عبد الرحمن بدوي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1969،ص326

6 – نوارة شرقي : المرجع السابق،ص81

والأحكام بصرامة وحزم ، وخلق مجتمع جديد خال من الكفر والمفاسد التي تذهب عقول الشباب المسلم جراء مخالطتهم لأهل الذمة عامة[1].

وأمام هذا الوضع فإننا نجد في المقابل أن التعاملات والعلاقات ظلت قائمة بين بني عبد المؤمن والدول الأوروبية[2] ، فقد ذهب البعض من المؤرخين إلى القول بوجود شرائح مختلفة من الجاليات المسيحية من مختلف بلدان أوروبا تعايشت في المجتمع المغربي ولا سيما في عهد آخر الملوك الموحدين حيث كانت للنصارى كنائسهم وتضرب بها نواقيسهم[3] ، و سمح لهم ببناء الكنائس واستقبال البعثات التبشيرية لممارسة نشاطها سواءا في المدن الداخلية أين كانت تقيم الفرق العسكرية وقادتها أو داخل الأحياء التي كانت مستقرا للجاليات المسيحية الأخرى في ضواحي المدن الساحلية[4] وعلى الأرجح أن الوجود التجاري المسيحي هوما تميزت به هاته الأخيرة ، فقد كان استقرارهم يقتصر على السواحل والموانئ إلى حدود منتصف القرن 7 هـ/13م[5] وشكلت كل من بجاية ووهران أحد أهم المحطات التي استقر بها التجار الأجانب[6] ومن هنا فإن المصالح التي تجمع الموحدين بالدول النصرانية تنفي حقيقة ما نسبه الغربيون لملوك هاته الدولة الذين عملوا على توفير الحماية للرعايا المسيحين القاطنين بأراضيها ومراعاة مصالحهم[7]، ونتيجة تزايد الحركية التجارية في عهد الدويلات الثلاث (الحفصية والزيانية والمرينية) فإن أعداد النصارى تزايدت بالمغرب الأوسط ، وكان استقرار معظم هؤلاء بالمدن الساحلية كبجاية ،ووهران وتنس[8]، ويبدو أن طبيعة نشاطات

---

[1] – عبد الله علي علام : المرجع السابق،ص240

[2] – حسن علي حسن : المرجع السابق،ص287

[3] – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص251، عبد الرحمن ابن خلدون : كتاب العبر ،255/6

[4] – عبد العزيز فيلالي: دراسات ،ص61

[5] – عبد العزيز العلوي: المرجع السابق،266/2

[6] – مختار حساني: المرجع السابق، 267/3

[7] – نوارة شرقي: المرجع السابق، ص 81-82

[8] – زينب عبد الله أحمد كرير : المرجع السابق،ص120

النصارى هي من كانت تتحكم في مقر سكناهم والتي تتمثل في الأرباض* و الملاجئ الخاصة والفنادق التي كان ينزل بها التجار الأجانب أمثال الجنويين والبنادقة والقطلونيين[1] والفندق هو ما يعرف بلغة أهل الشام بالخان وهو الذي ينزله الناس مما يكون في الطرق والمدائن[2]، وقد أطلق في بلاد المغرب الإسلامي على المنامات التي تأوي المسافرين وكل دوابهم ، وكل مستلزماتهم ، و ارتبط بناء الفنادق وتوفرها على وسائل الراحة والأمان التي تعد من أهم العوامل التي تجلب التجار من مختلف الأقطار بغرض العمل بالمنطقة[3] وظهرت كلمة فندق لأول مرة في نص منقوش فوق باب فندق العروش الذي بناه الناصر صلاح الدين سنة 577 هـ/1171م بالقرب من مدينة القطينة على طريق القوافل بين حمص ودمشق[4] ، وقد أشار الونشريسي في إحدى نوازله إلى كثرة هاته المؤسسات وانتشارها بالحواضر المغربية[5] وانطلاقا من هذا يمكن لنا تتبع التوزع الجغرافي للنصارى بالمغرب الأوسط ، فقد كان التجار المسيحيون الذين يقصدون البلاد ينزلون بها للإقامة حيث أقيمت في مينائي وهران وهنين وفي مدينة تلمسان[6] التي كانت تشتمل على مجموعة من الفنادق نظرا لأهميتها التجارية والاقتصادية وموقعها الاستراتيجي المحلي والدولي في المغرب الأوسط[7] وهذا ما أكده الوزان في حديثه عن تلمسان[8] كما ذكر ابن مريم في البستان أحد هذه الفنادق وهو فندق المجاري[9]، إذن فقد كانت هذه المدينة عامرة بالتواجد النصراني فيحيى بن خلدون يذكر

---

* – يعرف عادة بربض النصارى، وهو حي منفصل خاص بهم، يسكن به الجند المرتزقة، ويبدو أنه كان منتشرا في جميع المدن التي تواجد بهاد الجند النصارى ، عبد العزيز فيلالي: تلمسان،189/1

[1] – الحسن الوزان: المصدر السابق،74/2

[2] – ابن منظور: المصدر السابق،3473/5

[3] – نوارة شرقي : المرجع السابق،ص241

[4] – عمر بلوط : فنادق مدينة تلمسان الزيانية، دراسة أثرية، ط1، مؤسسة الضحى للنشر والتوزيع الجزائر، 2011،ص90

[5] – المصدر السابق،426/6

[6] – لطيفة بشاري : مكانة تلمسان التجارية ،ص28

[7] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان ، 136/1

[8] – وصف إفريقيا،20/2

[9] – المصدر السابق،ص275

أنها كانت بها كنائس معمورة بالنصارى"... مدينة في سفح جبل ذي جوز، أبوابها خمسة، ثلاثة قبلة، باب الحمام ، وباب وهب وباب الخوخة، وواحد شرقا، هو باب العقبة...، وبها آثار عادية ، وكنائس حتى الآن بالنصارى معمورة"[1] كما وجد ببونة فنادق حيث كانت هذه المدينة ثغرا هاما يؤمه التجار المسيحيون، فقد كان لأهل بيزة وجنوة ومرسيليا وقطلونية بيوت مالية فيها[2] ، وضف إلى هذا فإن بجاية هي الأخرى عرفت وجود عدة فنادق بها[3] ،فقد سمح للبيزين بإقامة فندقهم الدائم منذ معاهدة عام 631هـ/1234م ، وكذلك للجنوبيين منذ معاهدة عام 633هـ/1136م[4] ، والملاحظ أنه منذ بداية القرن 8هـ/14م أصبح الاستقرار المسيحي لا يقتصر على الموانئ المغربية فقط بل تغلغل نحو الداخل حيث صار وكلاء الشركات الميورقية والقطلانية والجنوية موجودين في مدن الداخل[5] وهذا ما يثبته الفنادق المنتشرة بها فابن قنفذ القسنطيني ذكر أنه كان بقسنطينة فندقا هدمه في وقت لاحق الأمير الحفصي أبو فارس بن أبي العباس أحمد[6] كما أن باقي المدن الأخرى الأقل أهمية عرفت أيضا استقرار النصارى بها كجيجل و سكيكدة التي كانت توجد بها مكاتب تجارية دائمة بالإضافة إلى امتلاكها أمكنة مميزة لتخزين السلع[7] ،وبالتالي فإن المسيحيين في البداية استقروا بالسهول الشاطئية والمدن الساحلية فمنذ القرن 6هـ/12م كان الجنويون والقطلانيون و القشتاليون والبرتغاليون كثيرين العدد في الموانئ المغربية[8] وهذا ما يعارضه برنشفيك الذي

---

1 – المصدر السابق،129/1

2 – دائرة المعارف الإسلامية: المرجع السابق،ص348

3 – الحسن الوزان : المصدر السابق،74/2

4 – مريم محمد عبد الله جبودة: التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي 555هـ – 980 هـ /1160م1572 ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة ,إشراف سامية مصطفى مسعد , جامعة الزقازيق، مصر، 2008 م ص236

5 – عبد العزيز العلوي: المرجع السابق،266/2

6 – ابن قنفذ القسنطيني: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي،الدار التونسية للنشر ، تونس،1968،ص196، أبي عبد الله محمد الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تح: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، د.س. ص120

7 – مريم محمد عبد الله جبودة : المرجع السابق،ص236

8 – عبد العزيز العلوي: المرجع السابق،267/2

يرى أن أعدادهم قليلة بالنسبة لتعدد جنسياتهم إذ لا يمثل كل دولة أوروبية إلا العشرات لا أكثر[1] ، ويبدو أن هذا يتعلق بالتجار دون ذلك من بقية العناصر كالجند والرقيق وحتى رجال الدين وإلا فبماذا يفسر تنفذ هؤلاء في أجهزة الدول ، حيث يذكر في أواخر الدولة الحفصية أنه كل دار مسلم يجاورها نصراني[2].

وعلى العموم فإن إقامة الجالية المسيحية بالمغرب الأوسط كانت مرهونة بظروفهم وأوضاعهم الاقتصادية بشكل أكبر ومن ثم السياسية والاجتماعية ، كما أن الإجراءات السلطانية المتخذة إزاءهم هي من ساهمت في طريقة توزعهم وتقسيمهم بالمنطقة.

---

[1] - روبار برنشفيك : المرجع السابق،ص463

[2] - ابن أبي دينار : المصدر السابق،ص168-169

الفصل الثاني:

أوضاع النصارى بالمغرب الأوسط

أولا: الأوضاع السياسية

ثانيا: الأوضاع الإقتصادية

ثالثا: الأوضاع الثقافية

الفصل الثاني: أوضاع النصارى بالمغرب الأوسط

أولا : الأوضاع السياسية

إن تاريخ الطوائف الدينية تمثل أحد المحاور التي يعنى بها التاريخ الاجتماعي لدولة ما فقد شكل أهل الذمة نقطة هامة في سيرورة المجتمعات الاسلامية لما قد يفرضه تواجدهم بالبلاد من تغيرات في الهرم الاجتماعي، باستقرار الأقلية المسيحية بأرض المغرب الأوسط أخضعهم بالضرورة لوضعيات وأحكام يحددها الاسلام والسلط الحاكمة للمنطقة فمن الطبيعي أن هذا التواجد يحتم عليهم تحديد نشاطاتهم وتشريعها قصد التعايش مع أهل البلاد لذا وجب معرفة الأوضاع التي تمتع بها النصارى كطائفة دينية في أوساط إسلامية.

والمتتبع للتاريخ السياسي لبلاد المغرب الأوسط يجد أنه مر بفترة حرجة نتيجة ما عرفه من عدم استقرار فقد تأرجح ما بين مد وجزر وبين أخذ ورد فتارة تميز بالاستقلال والخضوع لحكم السلط المحلية كبني حماد وبني زيان وتارة أخرى أصبح جزءا لا يتجزأ من وحدة سياسية مغربية فرضها المرابطون والموحدون بشكل أوسع فما محل الجالية النصرانية في هذا الوضع؟ وهل لعبت دورا في الجهاز السياسي لمختلف دويلات المغرب الاوسط ؟ وفيما تحددت نشاطاتها في الأطر السياسية ؟

1/الجند المرتزقة :

يعتبر الجيش الجهاز الأساسي في نشأة الدولة واستمراراها، فالمصادر تجمع على أن الركنين الأساسين والضروريين لبناء الدولة والحفاظ عليها هما : الجند والمال " فالملك بناء والجند أساسه فإذا قوي الأساس دام البناء"، وقد تميزت الجيوش المغربية عموما بالتعدد الاثني وتنوعه[1]، ولذلك فإن من أهم الأمور التي ساهمت في زيادة عدد المسيحيين بالمغرب الأوسط والإسلامي عامة هي قضية استعانة الملوك المغاربة بهم كمرتزقة في الجيش[2]، والمرتزقة هم أصحاب الجرايات و الرواتب المقدرة والجندي المرتزق هو الذي يحارب في الجيش على سبيل الارتزاق والغالب أن يكونوا من الغرباء[3] فهم مكونون من عدة شعوب ويكونون أكثر ولاء وانسجاما مع نظام الجيش نتيجة ابتعادهم عن أوطانهم ، يصنفون ضمن صفوف الفرسان أو المشاة مقابل رواتب يتقاضونها نظير خدماتهم وبالتالي فهم يستخدمون بالأجر على المدافعة وهذا النوع من التجنيد مثل دعامة هامة للجيش فهو يزيد من عدده[4]، وتذهب المصادر المغربية إلى أن أول من استخدمهم في الجيوش هو علي بن يوسف بن تاشفين(500-537 هـ /1106-1143 م)

إذ استعان بهم كأجناد وحراس خصوصين له[5] وهذا ما أكده صاحب الحلل الموشية بحديثه " أول من استعمل الروم وأركبهم في المغرب وجعلهم يحقدون على المسلمين في مغامرتهم ويأخذون منهم في نفقاتهم وأكثر ما يجب عمله"[6]، في حين نجد أن بعض المصادر تذهب إلى أن استخدامهم في الجيش المرابطي كان منذ عهد يوسف بن تاشفين، إذ

---

1 – حميد تيتاو: الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني 609- 689هـ/1212- 1465م ، إسهام في دراسة إنعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية ، د.ط، مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، ديسمبر، 2009، ص167-168

2 – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الإجتماعي،ص68

3 – مصطفى إبراهيم وآخرون: المرجع السابق،ص342

4 – موسى هيصام: المرجع السابق،ص12

5 – رضوان البارودي: المرجع السابق،ص203

6 – المصدر السابق،ص125

أنه من المحتمل أن هذه الطائفة وفدت لتعمل في خدمة الجيش المرابطي كما أنه من المعروف أن يوسف بن تاشفين جلب عدد منهم من الاندلس بعد أن أزال ملكهم[1] ، و ذكر ابن عذارى أنه اشترى عددا بلغ نحو مائتين وأربعين "... وبعث إلى الاندلس فابتيع له بها جملة من الأعلاج فأركب الجميع وانتهى عنده شراء ماله مائتان وأربعون فارسا" [2] ، ولعل هذا العدد يدعم بشكل أكبر عهد علي بن يوسف خصوصا بعد حادثة التغريب عام 530هـ/1126 م حيث استقر النصارى في مختلف ربوع المغرب الاسلامي وانضم قسم كبير منهم لصفوف الجيش المرابطي[3] ،"...وافتى بتغريبهم واجلائهم الى العدوة الى اوطانهم وهو أحق ما يؤخذ بهم من عقابهم، فأخذ بقوله وانفذ بذلك عهده وأزعج الى العدوة منهم عددا جما"[4]، اذن فقد تعددت روافد الجند المرتزقة بالجيش المغاربي حيث كانت اما عن طريق الشراء أو بواسطة الأسر في الحروب أو كروم معاهدين، هذا وقد شكل النصارى ركنا أساسيا في أركان الجيش المرابطي إذ برز دورهم كحرس خاص للأمراء المرابطين كما عملوا على حراسة معاقل المغرب[5]، ضف إلى ذلك فقد عملوا على تقوية الجيش المرابطي وأدخلوا طرقا قتالية جديدة تختلف عن تلك التي اعتمدها المرابطون وقد يكون لطابع البيئة الافرنجية دور في ذلك[6]، فقد ذكر ابن خلدون أن ملوك المغرب اتخذوا جندا من هذه الامة المتعودة على الثبات في الزحف وهم الافرنج[7]، ويبدوا ان استقدام المسيحيين في جيوش المغرب الأوسط في القرن 5هـ/11م لم يقتصر على المرابطين فقط، حيث استعان بهم بنو حماد وإن كان ذلك بشكل محدود كحرس ملكي خاص كما شاركوا في مختلف المواجهات التي دارت بين الحماديين والزيرين من جهة والزناتين أو العرب الهلالية من جهة أخرى غير أنه اجتنب

---

[1] – فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين (المغرب والأندلس)،ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة،1426هـ/2005م،ص109

[2] – ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق،23/4

[3] – رضوان البارودي: المرجع السابق،ص205

[4] – مؤلف مجهول : الحلل الموشية،ص97

[5] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص72

[6] – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث،ص89

[7] – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، ص 214

ادماجهم في مواجهتهم مع الروم المسيحين وهذا رجع لحذرهم من موالاتهم لبني جلدتهم ، ومن فرق المسيحيين نجد فرقة الروم الصقالبة الذين يتم شراؤهم من مجمل الاسرى النورمان المسيحيين[1]، واتخذ يوسف بن تاشفين فرقة منهم لحراسته الخاصة وتبعه في ذلك الامراء المرابطين ولعل أهم شخصية مسيحية في الجند المرابطي هي تلك الذي ذكرتها المصادر وهو القائد "الروبرتير" الذي كان له دور بارز في صراع المرابطين مع الموحدين ، حيث أنه تولى قيادة الفرقة التي اضطلعت بمحاربة الموحدين[2] وتوفي سنة 539 هـ بتلمسان بعد معركة خاضها ضد الموحدين " وفي سنة 539 هـ /1145م خرج قائد الروم الروبرتير بعسكره ومعه عسكر لمتونة والحشم فهزمهم الموحدون وقتل القائد المذكور وتبدد عسكره "[3] ، وبذلك فإن دور النصارى في الجيش تعدى إلى أن أصبحت هاته الفئة تتولى مناصب قيادة الجيوش.

وعلى الرغم من أن النصارى ساهموا في تقوية الجيش المرابطي واستماتوا في الدفاع عن أركان الدولة المرابطية إلا أن المصادر تذكر نقطة سوداء في تاريخ الجندية النصرانية بأرض المغرب إذ استنجدوا بعبد المؤمن بن على الموحدي الذي آمنهم على انفسهم شريطة أن يفتح له بابا من أبواب المغرب الأقصى[4] ومن الممكن التسليم بأن الموحدين احتفظوا بالجند الرومي الذي انضم إليهم على اثر سقوط الدولة المرابطية فيوسف ابن عبد المؤمن كان يستكثر من الروم في جنده وفي المقابل يذهب بعض الباحثين الى أن بداية الحكم الموحدي هو نهاية لوجود النصارى في الجيش الاسلامي المغاربي فالمصادر لم تتحدث عن وجود كتيبة مسيحية في الجيش الموحدي[5]، ومن الأرجح أنه يستند في هذا الأمر الى سياسة الموحدين التي رمت الى تقويض الوجود النصراني بالمنطقة عن طريق الاجلاء الى بلدانهم

---

[1] – موسى هيصام : المرجع السابق، ص ص13،34

[2] – فتحي زغروت: المرجع السابق، ص ص83،108

[3] – ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق،103/4

[4] – شهاب الدين أحمد النويري: نهاية الإرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، ط1، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان، 1424هـ/2004م،ج24،ص163

[5] – عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، د.س،ص227

أو الإسلام فأسلم البعض منهم واشتهر منهم ابن أخت ألفونسو[1]، وأغلب الظن أن أول اشارة لظهور كتائب عسكرية من البلدان المتوسطية المسيحية في العصر الموحدي اقترن بالخليفة يعقوب المنصور (580هـ 595هـ/1184-1198م) الذي أسكن عددا من الجند الرومي بالبلاد وتزايدت هذه الكتائب العسكرية على عهد الخليفة المنتصر (610 هـ - 620 هـ/1213م-1223م)[2].

وقد أشار المراكشي للوجود النصراني في الجيش الموحدي بقوله :"وللمصامدة بعد هذا جند من سائر أصناف الناس كالعرب والغز، والاندلس والروم ..."[3]، ومن المؤكد أن خدمة هاته الجالية بالجندية الموحدية نمت وتوسعت بشكل أكبر عهد المأمون الموحدي فبعد الضعف الذي بدأ يدب في أواصر الدولة ونتيجة الصراعات لجأ هذا السلطان الى ملك قشتالة فرناندو الثالث ليمده بفرقة من الفرسان النصارى قصد الاستعانة بها على مقاتلة خصمه "يحي المنتصر" وانتزاع الملك منه[4]، ويروي ابن عذاري أنه وصل تعداد النصارى الواصلين للبلاد آنذاك حوالي خمسمائة فارس[5] على غرار ابن أبي زرع الذي يرى أن عددهم حوالي اثني عشر ألف (12000)[6]، ومهما يكن من تأرجح في أعداد النصارى الوافدين على الجيش إلا أن الاهم في ذلك أن هاته الاقلية زاد عددها على ما كان عليه سابقا .

واستمر استخدام النصارى في الجيش الموحدي في أواخر أيام الدولة وهذا ما هو إلا دليل على الضعف والانحلال الذي عرفته البلاد وقتئذ والجدير بالذكر أن استخدام الروم لم يكن قاصرا على جيش الحضرة فقط بل كان في كل مدن المغرب الأوسط[7]، والملاحظ أن

---

1 - عبد العزيز فيلالي: تلمسان،187/1-188

2 - خوسيه اليماني، الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة، تر: أحمد مدينة، مجلة دعوة الحق، مجلة شهرية تصدرها وزارة عموم الأوقاف، المغرب الأقصى، العدد 5، 1978، ص25

3 - المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ص100

4 - فتحي زغروت : المرجع السابق،ص91

5 - البيان المغرب، قسم الموحدين،ص284

6 - روض القرطاس، ص251

7 - عزالدين موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي، ص229

الكتائب المسيحية في العهد الموحدي تألفت من رجال أحرار ينتمون الى شعوب أوروبية مختلفة أغلبهم من القشتاليين القاطنين بمراكش وأهل أراغون وقطلونية القاطنين بتونس وتلمسان[1]، وقد حظيت هذه الفرق العسكرية بحرية إقامة شعائرهم وتمتعوا بمختلف الحقوق ونتيجة لما نالوه من عطف ورعاية في عهد الخليفة السعيد الموحدي قام البابا أنوسان الرابع بكتابة رسالة له ينصحه فيها باعتناق النصرانية[2]، ومن مظاهر العناية والرعاية أيضا هو ظهور منصب جديد منذ عهد المأمون وهو وزير استقبال الجند النصراني حيث يقوم فيه صاحبه بمراسلة الملوك الروم والعمل على انزال جنودهم في البلاد وتضيفيهم والترجمة عنهم[3]،هذا وقد بقي نظام الجند المرتزقة ساري المفعول حتى بعد سقوط الموحدين فقد حافظت الدويلات الثلاث عليه، وعلى اثر هزيمة بني عبد المؤمن سنة 646 هـ /1248 م انتقل الجنود المسيحيون إلى خدمة بني عبد الواد المنتصرين عليهم[4]، وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله " كان يغمراسن بن زيان بعد مهلك السعيد وانفضاض عساكر الموحدين قد استخدم طائفة من جند النصارى الذين كانوا في جملته مستكثرا بهم معتدا بمكانهم مباهيا بهم في المواقف والمشاهد وناولهم طرفا من حبل عنايته فاعتزوا به واستفحل أمرهم بتلمسان ..."[5] ويذكر يحي ابن خلدون أنه استعمل من روم الموحدين زهاء ألفي فارس (2000)[6]، لكن الخليفة يغمراسن بن زيان آثر التخلص منهم والاستغناء عن خدماتهم بعد ما بدر منهم من غدر وخيانة سنة 652هـ/1254 م[7]، وتعود هذه الحادثة إلى حين قام السلطان الزياني باستعراض الجنود بباب القرمادين من أبواب تلمسان إذ بادر النصارى بقتل محمد بن زيان أخي يغمراسن بينما فشلت محاولاتهم بالفتك بالملك العبد الوادي فما كان من يغمراسن إلا

---

1 – خوسيه اليماني: المرجع السابق، ص25

2 – فتحي زغروت : المرجع السابق، ص115

3 – المرجع نفسه، ص156

4 – روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص470

5 – كتاب العبر ،86/7

6 – البغية، 227/1–228

7 – بوزياني الدراجي: نظم الحكم في الدولة الزيانية، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.س،ص257

الفتك بهم وإبادتهم وهذا ما عبر عنه ابن خلدون " ... فأحيط بهم من كل جانب وتناولتهم أيدى الهلاك بكل مهلك قعصا بالرماح وهبرا بالسيوف وشدخا بالعصى والحجارة حتى استلحموا وكان يوما مشهودا... "[1] وحسب المصادر الزيانية فإن استخدامهم انقطع بالبلاد ابتداء من هذه الكائنة التي يذكر يحي ابن خلدون أنها السبب في عدم استخدام النصارى عند بنيه[2]، إلا أن بعض الكتابات الأجنبية والعربية الإسلامية على حد السواء تبين عكس ذلك، إذ تذكر أنه سنة 665هـ /1266 م قامت الدولة الزيانية بتوظيف فرقا عسكرية مسيحية يزيد عددها على الأغلب عن 2000 جندي من القطالونيين والأرغوانيين تحت قيادة "الأب ديفيلاجو" [3] ثم تولى القيادة بعده قيوم غالسيريان دي كارتيلا Guillem Galceran de Cartelle[4]، هذا ويشير ابن الأحمر في حديثه عن الغارات الزيانية والمرينية عن تواجد ما يقارب خمسمائة 500فارس من الروم بالجيش الزياني وذلك سنة 670هـ/1272م[5] ، ومن القواد الذين ترأسوا الفرقة العسكرية المسيحية بالجيش الزياني نذكر جوم بيريز Jaumme هجين الملك بيار الثالث الاراغوني Pierre III وذلك 679هـ/1280 م ، الفارس رودريقو سانشيزدي فيرغايس Rodrigo Sanchez de Vergays ، فليب دي مورا Felip de Mora، الذي كان قائدا للمليشيات المسيحية عهد السلطان أبو حمو موسى الاول وبذلك فان الجند المرتزقة استمروا في خدمة الزيانيين حتى بعد الحصار الطويل الذي ضرب على تلمسان من طرف المرينين[6]، ويضاف إلى هؤلاء القواد الفارس قيوم استريس Guillem Estrus وكانت خدمته عهد السلطان أبو تاشفين الاول وعرف عنه أنه أمد الجهاز العسكري الزياني بخدمات حربية بالغة الأهمية[7]، ومن بين الذين خدموا في تلمسان أيضا

---

1 – كتاب العبر،86/7

2 – البغية،228/1

3 – عبد العزيز فيلالي: دراسات،ص64

4 – عبد العزيز فيلالي: تلمسان،188/1

5 – ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ،بور سعيد ، مصر،1421 هـ/2001م، ص188-189

6 – عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ص188-189

7 – Duforque. Espagne.p472

سنة725هـ/1325 م القائد الأراغوني جاقمو اللقيط (جاك) ابن الملك جاقمو الثاني Jaque II، وكان المسؤول الأعلى بالنسبة لجميع مسيحي السلطنة وكان يسند لهؤلاء القادة لقب القائد الأعلى "Alcayt Mayor" لزعيم القواد وكل من يفرض نفسه بين القواد بخدماته وأعماله في الفتن والحروب وفي الغالب يكون تعيين هؤلاء القادة لكل منطقة من بلد واحد على حدا، كقطالوني ميورقة، وقطالوني برشلونة ،وقطالوني قشتالة...[1] اضافة إلى هذا فقد استمر استخدام الجند المرتزقة عهد أبو حمو موسى الثاني وكانوا يصنفون ضمن مماليك الجيش فهم حسبه رجال أكفاء أنجاد[2]، وقد ذكرهم يحي ابن خلدون بقوله "واستركب الحرم وحمل الاموال وأكفل بذلك الخصيان والنصارى المستخدمين"[3]، وبالتالي فإننا نلحظ أن صاحب البغية يتناقض مع نفسه في أمر استعانة بني عبد الواد بالنصارى من عدمه ويبدو أن الدلائل ترجح كفة استقدام الجند المرتزقة لخدمة الزيانيين، إذ أن صاحب زهر البستان يمدنا بمعلومات تفيد بأنه عهد أبو حمو موسى الثاني وصل من بلنسية ابن عم الفنش عام 764هـ/1345م ومعه عشرون فارسا مسيحيا لخدمة دولتهم "فأكرم نزله وبلغه فيما يريد أمله "[4] ويبدو أن ملوك الدول النصرانية شجعوا هذه الحركة السياسية العسكرية في خدمة الدولة الزيانية نظرا للفائدة الكبيرة التي عادت بها عليهم خصوصا من الناحية المادية لأن العاهل الأراغوني كان يأخذ ضرائب غير مباشرة عن رواتبهم وكان الجند يقدمون جزءا منها الى الخزينة الأراغونية ،كما أنها عادت بالمنفعة الروحية من خلال استمرارية الديانة المسيحية بالمنطقة[5]، وبالتالي فإن هاته الفئة كانت مرتبطة بدولها أكثر من ارتباطها بالدولة التي تخدم جهازها[6]، فالقائد النصراني لبلاد المغرب الأوسط كان يأتمر بأوامر ملك دولته الأوربية المسيحية وأحيانا أخرى

---

[1] – عمر سعيدان : المرجع السابق،ص52-53

[2] – أبو حمو موسى الثاني: واسطة السلوك في سياسة الملوك، تح : محمود بوترعة ، د.ط، دار الشيماء للنشر والتوزيع ، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر ،2012م،ص145

[3] – البغية،196/2

[4] – المصدر السابق،ص260

[5] – عبد العزيز فيلالي: دراسات،ص64

[6] – مختار حساني: الدولة الزيانية، ص80

بأوامر الكنيسة ومن الضروري الاشارة إلى أن الملوك النصارى هم الذين يتولون بأنفسهم تأجير مرتزقة الحرس بل وتعيين قادتهم وكان ذلك شرطا مشروطا في كل عقد تسويغ[1] وعموما فإن توفير كتائب عسكرية مسيحية واستخدامها كحرس خاص أو كفرقة مجندة أصبح أمر ضروري في الجهاز الأمني لأي دولة حيث أن هذه الفرق لم يقتصر وجودها على تلمسان وما تبعها من مدن زيانية بل امتد الى المدن الأوسطية الواقعة تحت السلطة الحفصية كبجاية وقسنطينة والقل...، حيث كانت ببجاية وقسنطينة فرق مسيحية تابعة للقائد جليوم دي مونكادا 655هـ/1257 م، وكان ذلك بموجب اتفاق عقد بين السلطان الحفصي والملك الاراغوني ومن القادة الأجانب الذين خدموا ببجاية تارسيا بيتيريز ديمورا، والسنيور دون سانسكو Don Sansco وكان هذا الاخير قائد لكتيبة ميورقية[2]، هذا ولم تقتصر خدمات الدولة الأوربية العسكرية على الجند المرتزقة بل تعدت إلى التدخل في حالة وقوع حركة انفصالية لأي ولاية من ولايات الدولة الحفصية أو الزيانية ومن أمثلة ذلك تعاملهم مع حاكم مليانة محمد بن يوسف حين أعلن انفصاله عن بني عبد الواد وكذلك ابن علان حاكم جزائر بني مزغنة[3]، ويذكر ابن قنفذ أنه في عام 679هـ/1280م كتب قائد قسنطينة أبو بكر الوزير الى النصارى يحرضهم على ملك قسنطينة وغيرها من المدن، فجهزوا الحركة إليها وتقدم بعضهم إلى مرسى القل إلا أن الحفصيين استطاعوا درء خطرهم والقضاء على أبو بكر الذي كتب فيه أهل قسنطينة عهد مشهودا فحواه قضية ارتداده عن الاسلام واظهاره لتعاليم مسيحية كأكله الخنزير وما شابه[4].

أما عن المهام الموكلة للجيش المرتزقة بأرض المغرب الأوسط كالعمل في البلاط الملكي وتتركز مهنتهم كما سبق الذكر على حراسة الملوك والامراء ويخصص لهم جانب من أطراف المدن يقيمون فيها أثناء أداء الخدمة وكانوا يتلقون تدريبات خاصة على الحماية والمناورة

---

[1] – عمر سعيدان : المرجع السابق،50–51

[2] – زينب عبد الله أحمد كرير: المرجع السابق، ص ص102،105

[3] – مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية،3/ 91

[4] – ابن قنفذ القسنطيني: المصدر السابق،ص139–140

وحسن التصرف[1]، وكان من بينهم الحرس المسيحي القادة والفرسان والرماة والمشاة بالمخزن يوزعون على مختلف المدن والمراسي وكانوا مكلفين بإخماد الثورات والفتن[2] ويبدوا أن أهم مهمة اسندت اليهم مشاركتهم في الحروب الداخلية كحرب المرابطين مع الموحدين، والزيانية مع جارتيها الحفصية و المرينية وكانوا يتخذون منم مصاف وراء عساكرهم بدلا من الجمادات والحيوانات التي كانوا يتحصنون بها وتزيد من ثبات المقاتلة[3]، فهم كما وصفهم ابن خلدون قوم اعتادوا على الثبات في الزحف[4]، وقد ذكر ابو حمو موسى الثاني أن موضعهم في الجيش يكون خلف السلطان أو القائد العام للجيش رفقة الفرسان الخاصة[5]، فمن بين أساليبهم الدفاعية تشكيلهم لطوق خاص حول خيمة الملك في قلب المعركة وبالتالي فقد تميزوا بالذود القوي عن الملوك التابعين لهم[6]، ضف لهذا فقد ساهم الجند النصارى في تطوير صناعة الأسلحة والذخائر وتغيرت الأسلحة من القفا الطويل والمزاريق الى الدوق والدروع وأدخلوا العديد من أنواع السلع والطرق القتالية[7] كالضرب بالسيف والرمي بالقوس الافرنجية[8]، ومن المهام التي اضطلع بها الجند النصارى وخاصة عهد المرابطين هي جباية الضرائب وقد يرجع سبب استعانة ملوك المغرب بهم في ذلك الى دقتهم في جمع الاموال[9]، وتفاديا لرفق المسلمين أهل ملتهم وقد كانت تجبى بالقوة[10]، وكانت تجمع في كل عام مرة "إن لأمير المسلمين عدة من المماليك الفرنج والروم وانهم يصعدون في كل عام مرة يأخذون

---

1 – موسى هيصام: المرجع السابق،ص14

2 – عمر سعيدان: المرجع السابق،ص51-52

3 – فتحي زغروت: المرجع السابق،ص242

4 – المقدمة، ص 214

5 – أبو حمو موسى الثاني: المصدر السابق، ص145

6 – موسى هيصام: المرجع السابق،ص34

7 – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث،ص89،90

8 – سالم أبو القاسم محمد غومة: النظم الحربية في دولة بني مرين (668-869 هـ/1269- 1465م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة ، إشراف:فتحي عبد الفتاح أبو سيف، بشير رمضان التليسي ،جامعة عين شمس، قسم التاريخ ، القاهرة،2011-2012 ،ص40

9 – حسن علي حسن: المرجع السابق،ص189

10 – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث،ص90

ما لهم فيه من الأموال المقررة من جهة السلطان"[1]، أما عن الرواتب التي يتقاضاها الجند المرتزقة نظير خدمتهم بالمغرب الأوسط فقدرت على الأغلب بألف (1000) درهم لقائد الفرقة يوميا ، تعود منها 700 لملك بلاده وأما الفارس فيتقاضى 30 درهم منها خمسة دراهم للملك أيضا بينما يحصل حامل السلاح العادي على 15 و25 درهم[2]، ويبدوا أن القيمة النقدية لأجور الجند تختلف من مرجع لأخر، فديفورك يذكر أن القائد كان يحصل على 2000 الى 3000 دينار يخصص منها ألف للملك شهريا ومرتب الفارس ما بين 45 الى 90 دينار بيزنطي نقي يأخذ الملك منها ما يقدر بـ 15 دينار عن كل مقاتل والزيادة مرتبطة بارتفاع عدد الجنود[3]، وتشير أحد المعاهدات الزيانية الارغوانية الى أن رواتبهم تقدر بحوالي 12 درهم حتى 20 درهم في اليوم للفرد الواحد[4]، ويذكر ابن مرزوق أن رواتبهم كبيرة، تتراوح من الخمسين دينارا من الذهب إلى خمسة دنانير ذهبا في كل شهر غالبا[5]، وجاء في زهر البستان أن السلطان أبو حمو الثاني أجرى لابن عم الفنش ثلاثين دينارا من الذهب العين في شهر يناير[6].

ومن هنا يتبين بأن الأجر الخاص بالمرتزقة اقترن بالوضعية الاجتماعية والعسكرية للجندي ويبدوا ان قيمته اختلفت من دولة الى دولة أو حتى من سلطان الى آخر وعلى الأرجح أنه خضع لما تمليه المصالح المتبادلة بين دول المغرب الأوسط والدول الأوربية الراعية لهم.

والجدير بالذكر أن نفوذ النصارى في الجانب السياسي والعسكري لم يقتصر على العمل كجند مرتزقة فقط بل تعدى الى اعتلائهم مناصب عالية في هرم السلطة الادارية

---

1 – النويري: نهاية الإرب،ج24،ص155

2 – زينب عبد الله أحمد كرير : المرجع السابق،ص103

3 – Duforque. op-cit. P103

4 – بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ص273

5 – ابن مرزوق : المسند،ص282

6 – المصدر السابق،ص260

والعسكرية[1]، وهذا ما جسده بشكل فاعل فئة الاعلاج وهم عناصر من جنسيات أروبية مختلفة يجلبون من ألمانيا، وايطاليا ، وفرنسا ، وقطلونيا ، وجيليقية ، ويكون ذلك بواسطة الشراء أو الغارات والغزوات للشواطئ الأوربية وجزر البحر المتوسط أو عن طريق الهدايا[2]، غير انهم اعتنقوا الاسلام ونشؤا عليه وقد نجحوا نجاحا باهرا في المناصب التي تقلدوها في الغالب في البلاط أو في الجيش أو في مختلف مصالح الدولة وقد انتدبت دول المغرب الأوسط من بينهم عددا كبيرا حيث كانوا يشرفون على الجيوش وتقلدوا ولايات المدن بفضل ثقة السلاطين التي كانوا يحظون بها[3] ، ولذا نجد أن أبو حمو موسى الثاني يصنفهم أنهم من أهم طبقات الجيش ويرى أنه ينبغي أن يكون حاضر بين يدي السلطان ويمكن اعتبارهم أنهم كانوا الذراع الأيمن للسلطان[4]، ولذا نجد أنهم تقلدوا القيادة وخطط الوزارة والحجابة[5].

الوزارة : مشتقة من ثلاث :الوزر هو الثقل لأنه يحمل على الملك أثقاله ،والثاني الأزر وهو الظهر لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بظهره ، أما الثالث من الوزر وهو الملجأ لان الملك يلجأ الى رأيه ومعونته لأن عليه مدار السياسة وإليه تفويض الاموال وقد قال بعض ملك الفرس الوزراء ساسة الأعمال وحازة الأموال[6]

أما الحجابة: فيختص بها من يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابهم دونهم أو يفتحه لهم على قدره في مواقيته وقد يجمع للشخص الوزارة والحجابة معا[7]، وجاء في واسطة السلوك عن هاتين الخطتين "اعلم يا بني انه ينبغي لك أن يكون أول ذلك عليك مزوارك الموصوف وعونك المعروف لمن يعرفك ببابك من وزرائك وحجابك وأرباب دولتك وكتابك فأول من يدخل

---

1 – عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص42

2 – عبد العزيز فيلالي: تلمسان،184/1

3 – روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص 480–481

4 – أبو حمو موسى الثاني: المصدر السابق، ص145

5 – عبد العزيز فيلالي: تلمسان،184/1

6 – أبو الحسن علي بن محمد الماوردي: قوانين الوزارة وسياسة الملوك، تح: رضوان السيد،ط1، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت،1979م،ص137–138

7 – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة،ص188

عليك كاتبك ووزيرك إذ بهما صلاحك وتدبيرك ليجمع معك على الرأي والتدبير والجليل من اخبارك الحقير "[1].

ولعل من أشهر الأعلاج في تاريخ المغرب الأوسط يعود الى القرن 7ه /13 م عهد بني زيان وهو القائد هلال القطلاني الذي تولى منصب الوزارة أيام السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن ملك تلمسان[2]، وقد كان مولى له عهد به والده أبو حمو موسى للقيام بخدمته في منشأه ومرباه وحين تولى أبو تاشفين مقاليد الحكم عينه على الحجابة ويذكر ابن خلدون في هذا " وقلد حجابته مولاه هلالا فاضطلع بأعبائها واستبد بالعقد والحل والإبرام والنقض صدرا من دولته إلى أن نكبه"[3]، ويذكر في هذا ابن مرزوق :"وكان هلال من ألصق الاعلاج وأقربهم إلى أبي تاشفين حتى أصبح من خلصائه وثقاته فقلده الحجابة والوزارة عند ما تولى عرش الزياني وأطلق يده في خطط الدولة حتى صار بيده الحل والعقد فكان مهيبا صارما عنيدا اتخذ كتابا وضياعا "[4]، وقد كان لهلال أتباع من الأعلاج ساهموا في الخطط الادرية السياسية وتقلدوا المناصب العسكرية بالمجتمع التلمساني، ومنهم مسامح الاصغر، وفرح شعور، وفرح بن عبد الله ، وظافر ، ومهدي وعلي بن تازجرارت[5]، وهؤلاء الأعلاج هم من دبروا مقتل السلطان ابو حمو موسى الأول سنة 718ه/ 1318م "وقصدوا السلطان بداره معه مسعود المذكور، وبنو الملاح وغيرهم من بطانته فدخلوا عليهم والسلاح مشهرة فأول ما بدأ الأعلاج بقتل السلطان رحمه الله خيفة منه أن بقى واستأصلوا الباقيين والأمر لله"[6]، ومن المناصب التي تقلدها الأعلاج أيضا هي تكليفهم بإدارة مدن هامة، كولاية قسنطينة وبجاية[7]، ومنهم القائد النبيل ثم خلفه القائد أبو النصر الظافر سنة 804ه/1401م وكانوا

---

[1] – أبوحمو موسى الثاني: المصدر السابق،ص146

[2] – بوزياني الدراجي: المرجع السابق،ص120

[3] – كتاب العبر،105/7-106

[4] – المسند الصحيح، ص175

[5] – يحي ابن خلدون: المصدر السابق،273/1

[6] – أبو عبد الله التنسي: المصدر السابق،ص138

[7] – زينب عبد الله كرير: المرجع السابق،ص97

قد وُلوا على قسنطينة[1]، وكما عرف من ولاتها الأعلاج أيضا القائد جاء الخير الذي قتله الذواودة سنة 833هـ/1429م ، أما بجاية فبرز على قيادتها القائد ابي النعيم رضوان والقائد فارح العلوجي الذي عين فيما بعد بمنصب الحجابة عام 747هـ/ 1346م .[2]

وعليه فان هاته الفئة استطاعت أن تتنفذ في أواصر الدولة المغربية وتمتعت بنفوذ سياسي إذ كان لها الحل والعقد في كثير من الأمور وعوض أن تدحر من حركة المؤامرات والفتن فإنها زادت فيها من أجل الوصول لهرم السلطة تماما كما حدث مع هلال القطلاني .

وعلى العموم فإن حضور المرتزقة المسحيين بالجهاز الأمني بالمغرب الأوسط لم يكن إيجابيا في كل الاحوال بل كان سلبيا في بعضها ويرجع ذلك الى طبيعة عمل المرتزقة فما هو في الحقيقة إلا محارب يتاجر بمهنته ويعرضها على من يدفع مقابلا عنها فاذا تعددت الأطراف الدافعة لم يتردد في الميل إلى من يدفع أكثر[3]، وبالتالي فقد تتحول هذه الطائفة من مركز قوة إلى مركز ضعف الدولة وإن كان إبن خلدون يرى أن الاستظهار بهؤلاء الجند ما هو إلا دليل على ضعف ووهن الدولة[4].

وفيما يخص حكم استعمالهم فقد جاء عن الامام مالك في المدونة : بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لن أستعين بمشرك " قال ولم أسمعه يقول في ذلك شيئا وقال ابن القاسم ولا أرى أن يستعينوا بهم يقاتلون معهم إلا أن يكونوا نوانية أو خداما فلا أرى بذلك بأسا "[5]، وبما أن الجند المرتزقة ما هم إلا خدم لدى السلطة الحاكمة فأمر الجواز سائر في ذلك إما عن الاستعانة بهم في أعمالهم وكتابتهم لعلمهم بالكتابة والجباية والتدبير فهو كما يرى الخلفاء

1 – ابن قنفذ القسنطيني: المصدر السابق،ص140

2 – الزركشي: المصدر السابق، ص ص78،178

3 – محمد تيتاو : المرجع السابق،ص177

4 – المقدمة ،ص 214

5 – مالك بن أنس :المدونة الكبرى، تح: زكريا عميرات، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ص524

الراشدون لا خير ولا تدبير فيما يغضب الله ورسوله وقد كان لهم في ذلك ملة قد قضاها الله[1].

وبالنسبة لموقف الكنيسة المسيحية من استخدام أولئك النصارى لخدمة المسلمين فإن السلطة البابوية لم تستنكر ذلك ولعلها كانت تأمل أن تجنى بعض المزايا لفائدة الديانة المسيحية ذاتها، إلا أنه من المؤكد...، على أن يعود ذلك بالسلب على الجالية المسيحية كالانقلاب عن العقيدة المسيحية حسبهم فقد حث القرار الصادر عن البابا نيكولا الرابع في سنة 483هـ/1290م الجنود المسيحين العامليين في خدمة ملوك المغرب الأوسط على التمسك بديانتهم ورفع رأسها بسلوكهم العادل والوفي[2]، ولعل قضية إعتناق الإسلام شكلت هاجس للبابا وملوك الدول المتوسطية وهذا ما جعل أحدهم يفرض بندا في أحد اتفاقياته مع بني زيان يتضمن عدم السماح للجالية المسيحية المتوسطية باتباع الاسلام[3].

وبالتالي فإن أوضاع هذه الفئة التي لعبت دورا في المجال السياسي اقترنت باتفاقيات ومعاهدات جمعت الدول الأوروبية بالدول المغاربية.

---

[1] - أبي أمامة النقاش: المصدر السابق،ص275

[2] - روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص476

[3] - عبد العزيز فيلالي : دراسات، ص65

2/المعاهدات الدبلوماسية :

تكتسي أهمية بالغة في التاريخ السياسي خصوصا وأنها من الأمور المتحكمة في فترات السلم والحرب وقبل التطرق لصلب الموضوع يتوجب علينا بداية معرفة المعنى الرامي من اطلاق هذا اللفظ عليها.

والمعاهدة: لغويا من العهد ويقال عاهدت الرجل معاهدة بمعنى بين فلان وفلان عهد وهو من الموادعة تعاهدوا اذا تواعدوا والعُهدة: كتاب يكتب بين قوم من بيع أو حلف[1]، أما اصطلاحا :فإن المعنى يتطابق مع اللغة مع ما استقر عليه العمل وتواترت عليه أعراف الدول والجماعات، من حيث النظر إلى المعاهدة بوصفها إتفاقا بين طرفين أو أكثر فالمعاهدة في الفقه الاسلامي "هي كل ما يعقد من اتفاقيات وما يبرم من تعهدات بين المسلمين وغيرهم من أجل تحقيق مصلحة الدعوة وصالح المسلمين وتكون في الغالب اتفاقات هدنة أو موادعة أو مسالمة أو مصادقة[2]، وقد عرفتها كتب الفقه بأنها عبارة عن عقد المسلم مع الحربي على المسالمة مدة ليس هو فيها تحت حكم الاسلام وفي هذه الحالة تكون مهادنة وفي حال ما اذا كانت تهتم بتأمين الحربي الذي ينزل بدار الاسلام بأمر ينصرف بانقضائه فهي اذا في حكم المعاهدات[3]، وانطلاقا من أغراضها وأهدفها يمكن تقييم المعاهدات بعدة أنواع ونذكر منها : المعاهدات السياسية والتي تتعلق بالعقود بين الدول وتسعى إلى تسوية الصراعات فيما بينها، والمعاهدات التجارية والتي تشمل الاتفاقيات المتعلقة برسوم التجارة ، والملاحة ،وتنظيم المبادلات التجارية والخدمات القنصلية ،إضافة إلى معاهدات تعنى بالحقوق المدنية والدينية للأقليات التي تعيش في أقطار أجنبية ، فبعض الدول توقع معاهدات تمنح للأجانب الحق في

---

[1] – جمهرة اللغة ،668/2.

[2] – أحمد عبد الونيس شتا: الأصول العامة للعلاقات الدولية في الإسلام وقت السلم،ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة،1417هـ/1996م ،ص43

[3] – خليل ابن إسحاق المالكي: مختصر الخليل في فقه دار إمام الهجرة، تح: أحمد علي حركات، د.ط، دار الفكر ،بيروت، 1415هـ ،ج4،ص559

ممارسة شعائرهم الدينية بحرية كما يمارسونها في بلدانهم[1]، ومن هذا يمكن اعتبار أن المعاهدات ما هي الا ترجمة لعلاقات الدولة مع غيرها من الدول ، وقد كانت الدولة الاسلامية على مختلف عهودها تسعى لإقامة علاقات سياسية مع مختلف الشعوب الأخرى، وقد عبرت الكتب والمعاهدات عن روح العلاقات السياسية بين المسلمين وغيرهم من الروم والفرس والحبشة... منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وصار من بعده الخلفاء المسلمون في مختلف بقاع الأرض على نهجه في المكاتبات والمراسلات وتبادل الهدايا[2]، وقد ورد عن ابن كثير:"...أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة ، أو طلب صلح أو مهادنة، أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب ، وطلب من الإمام أو نائبه أمانا ، أعطي أمانا مادام مترددا في دار الإسلام ، وحتى يرجع إلى داره ومأمنه ووطنه"[3]، وقد كان إبرام المعاهدات يتطلب عدة تقاليد دبلوماسية ، حيث كانت تناقش المعاهدة ثم يقرر نصها النهائي شفويا[4]، وهذا ما يعرف بعملية التفاوض وهي عملية سلمية رضائية تقتضي بطبيعتها تقديم نوع من التنازلات المتبادلة ، وتستمر هذه المرحلة إلى أن يتم كتابتها أو تحريرها بصورة نهائية ، حيث تكون جاهزة للتوقيع والمصادقة عليها من قبل الأطراف ويكون ذلك بعد تحرير المعاهدة بلغة كل من الطرفين[5]، وجرت العادة أن تكون المصادقة بين الجانبين بواسطة تشبيك الأصابع أو بقسم، وبطبيعة الحال يلزم التوقيع عليها ويكون ذلك أمام الشهود[6]، وقد خضعت المعاهدات لعدة أساسيات نذكر منها:

---

1 – الموسوعة العربية العالمية : المرجع السابق،21/444-445

2 – وهبة الزحيلي: العلاقات الدولية في الإسلام،ط1،دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،1420هـ/2000م ،ص11-13

3 – أبو الفدا إسماعيل ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، تح: محمود حسن، د.ط، دار الفكر، بيروت،1414هـ/1994م ،ج2،ص411

4 – فتحي زغروت : المرجع السابق،ص281

5 – أحمد عبد الونيس شتا: المرجع السابق، ص47-48

6 – فتحي زغروت : المرجع السابق،ص281

تحديد مدة المعاهدة والتي تنقسم إلى ثلاثة أنواع : المؤبدة وهي التي تسري أحكامها في مواجهة الأطراف بشكل دائم ومستمر، وقد تكون مؤقتة ينتهي سريانها بانتهاء الأجل المحدد لها ، والمطلقة حيث لا تتضمن ما يفيد تأقيتها أو تأييدها[1]، ويبدو أن النوع الساري بشكل عام في الدولة الإسلامية هي المؤقتة التي كانت تحدد بالسنوات والشهور، فبعضها حدد بثلاث سنوات والآخر بعشر سنين ...، وقد كان يسمح بتجديدها إن رغب الطرفان في ذلك[2]، وفي الغالب تنص المعاهدات السياسية على التعاون الأمني كتوفير الأمن للأفراد والرعايا على جميع أجناسهم، وحرية الملاحة ومحاربة القرصنة في البحر المتوسط، ويكون ذلك بعدم التعرض لأي سفينة في البلاد الساحلية التي انعقدت عليها الهدنة ، كما نصت على أن تقدم موانئ الطرفين كل التسهيلات اللازمة للسفن من تزود بالطعام والمياه...

أما عن محاربة القرصنة ، فقد ألزمت بعض المعاهدات بضرورة عدم السماح للقراصنة بالدخول إلى موانئ أي من الطرفين الإسلامي والأوروبي المسيحي، وضف إلى هذا فقد سعت المعاهدات إلى توفير الحرية الدينية لرعايا الأطراف المتعاقدة[3].

ومن هنا فإن الدبلوماسية اتخذت في العصر الوسيط كوسيلة لتسهيل التبادل الودي بين الشعوب والأمم الأخرى، ولتوثيق الصلات التجارية والثقافية، وتبادل الأسرى وفض المنازعات وعقد المعاهدات[4].

وقد عمل أمراء المغرب الأوسط على عقد الصلات الدبلوماسية بالدول الأوروبية المسيحية وترجم ذلك في عدة معاهدات ، وأهمها حسب التسلسل الزمني:

---

[1] – أحمد عبد الونيس شتا: المرجع السابق، ص68

[2] – يوسف حسن غوانمة: معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج خطاب جديد في العجز الإسلامي والحربي والمشروع النهضوي الغربي الوحدوي، ط1،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، 1415هـ/1995م، ص112

[3] – المرجع نفسه،ص122-123

[4] – وهبة الزحيلي: المرجع السابق،ص16

. شكلت الرسائل المتبادلة بين الناصر بن علناس الحمادي والبابا غريغوري السابع أهم الوسائل الدبلوماسية المنعقدة بين الطرفين في القرن 5هـ/11م، إذ أنها كانت تدعو للتسامح والتعايش بين الأديان ، فقد حملت إحدى رسائل البابا سنة469هـ/1048م عبارات الود وحسن التقدير الذي يكنه للناصر جراء ما يتمتع به المسيحيون من رعاية وأمان في ظل سلطته[1]، وبادله الناصر برسالة مماثلة مع هدايا جليلة ، كما أرسل له جميع الأسرى المسيحين الذين عثر عليهم بمملكته[2]، في حين أننا نجد أن المصادر لم تورد أي رسالة تعود للعصر المرابطي وجهت إلى أحد الأسقفيات سواء للعاصمة مراكش أو مدن المغرب الأوسط التي تتواجد فيها تجمعات للنصارى[3]، إلا أننا نجد بعض الإتفاقيات جمعت المرابطين مع المدن الإيطالية "جنوة، بيزة، والبندقية" احتوت في معظمها على الحد من أعمال القرصنة القائمة بين الطرفين في حوض البحر المتوسط نظرا للتنافس بين المسلمين والمسيحين على حركة الملاحة في هذا البحر[4]، ويبدو أن السفن المسيحية كانت أشد وطأة في حركة القرصنة من المسلمين ، حيث أن المعاهدات المعنية بهذا الأمر اتسمت حتى القرن 8هـ/14م بذكر القراصنة المسيحين أكثر من القراصنة المسلمين، وقد احتوت جل المعاهدات على مواد خاصة بالقرصنة[5]، ومن المعاهدات التي عرفت عهد المرابطين:

. معاهدة سنة 527هـ/1133م بين بيزة وملك المغرب علي بن يوسف بن تاشفين، جرت بواسطة بعثة دبلوماسية مغاربية ، وهي عبارة عن معاهدة سلام وتجارة بين الطرفين ،وقد شمل العقد منطقة تلمسان[6]، هذا وقد سعى المرسيليون منذ سنة 533هـ/1138م إلى عقد

---

[1] – موسى هيصام: المرجع السابق،ص5

[2] – عبد الحليم عويس : المرجع السابق،ص187

[3] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 69

[4] – Mas Latrie. Op- cite.pp 67-70.90

[5] – عبد الهادي التازي:التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، د.ط، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر ،1408هـ/1988م،ص236

[6] – المرجع نفسه،ص219-220

صلات سلمية مع الأمير علي بن يوسف بن تاشفين متخذين في ذلك وساطة الجنويين[1]، وعرف النصف الثاني من القرن 6ه/12م بداية إنفتاح من ناحية المعاهدات والمراسلات بين الملوك المغاربة ، فعلى الرغم من السياسة الموحدية المستعملة مع أهل الذمة إلا أن المعاهدات المعقودة بين الطرفين ألزمت ملوك بني عبد المؤمن احترام حقوق رعاياها والعمل على تحسين وضعيتهم[2]، فأول معاهدة مكتوبة يرجع تاريخها إلى سنة 570ه/1174م كما يرى بعض المؤرخين ،إلا أن أول رسالة مكتوبة فعليا بين الطرفين ترجع إلى سنة 577ه/1181م وجهها أسقف بيزا إلى السلطان الموحدي أبي يوسف المنصور ،وتشير إلى أن معاهدة أبرمت بين الطرفين[3]، إضافة لهذا فقد أبرم المنصور معاهدة سلم مع جمهورية بيزا لمدة 25 عاما وذلك سنة 581ه/1186م[4]، والملاحظ أن غالبية المعاهدات كانت ذات طابع سلمي تجاري ، هذا وقد منح السلطان المغربي امتيازا لأهل بيزا سنة 582ه/1187م متعلق بالقرصنة البحرية ومما جاء فيه:" إذا تعرض منهم متعرض للمسلمين –عصمهم الله– بنوع من أنواع المضرة والإذاية ، فعليهم أخذه بجريرته ومعاقبته بما يوجبون على من جنى عليهم مثل جنايته دون مسامحة في ذلك ولا مساعدة في شيء منه ولا مداهنة"[5].

والجدير بالذكر أن عهد المنصور تميز بانعقاد مراسلات بابوية معه حيث كان البابا إينوسانت الثالث يتصل به من حين لآخر طالبا منه تسهيل الأمر أمام البعثات المسيحية التي أرسلت لافتداء الأسرى المسيحين، وكان المنصور الموحدي يرد عليه ردا إيجابيا[6]، ويبدو أن هذه السياسة استمرت حتى عهد السعيد الموحدي إلا أن البابا أنوسان الرابع بعث له كتابا بواسطة القس "لوبي" Lupus يهنئه فيه بانتصاراته على خصومه ، ويرجوه فيها بضمان حماية الجالية المسيحية بالمنطقة ، كما كتب إلى أمراء المدن المغاربية الأخرى ومنها بجاية

---

[1] – إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ،ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء،1978، ج1، ص99

[2] – إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المتوسطية،ص85

[3] – فتحي زغروت : المرجع السابق،ص290

[4] – نوارة شرقي : المرجع السابق،ص80

[5] – عبد الهادي التازي: المرجع السابق،ص236

[6] – عبد العزيز فيلالي: دراسات،ص63

من المغرب الأوسط يدعوهم فيها إلى تسهيل الاتصالات بين النصارى القاطنين بمختلف ربوع المغرب الأوسط[1]، وعلى العموم فإن المعاهدات السياسية خلال القرنين 5ه و6ه/11م-12م تميزت بمعالجتها لقضايا السلم والأمن للرعايا المسيحين بالبلاد ، ومحاربة القرصنة المسيحية في البحر الأبيض المتوسط ، وكان الجانب الغالب عليها هو الجانب الإقتصادي حسبما سنتطرق إليه في الوضع الإقتصادي للنصارى.

ويبقى السؤال المطروح عن استمرارية هذا الوضعية التعاقدية السياسية فيما تبقى من قرون العصر الوسيط أم أنها عرفت توسعا أكثر عهد الويلات الثلاث؟

تميزت العلاقات القطلانية المغربية عموما في الدول المغربية الثلاث :إفريقية وتلمسان والمغرب الأقصى بعامل دفاعي أمني اجتماعي[2]، ويبدو أن الأسرة الزيانية كانت قليلة المفاوضات مع الدول المسيحية حيث أنه لم يكن هناك وقتئذ قانون دولي يربط المسلمين بالمسيحين وربما يرجع ذلك إلى ما كانت تعيشه الدولة من صراعات داخلية مع بني مرين وبني حفص[3]، ومع هذا فإننا نجد على الرغم من محدودية المصادر في هذا الشأن إلا أن الأرشيف والوثائق الأجنبية وفرت لنا مجموع لابأس به من المعاهدات المنعقدة بين الدولة الزيانية والدول الأوروبية ولا سيم التي كان لها الريادة في ذلك الوقت.

فبمجرد ما إن ثبت يغمراسن بن زيان أركان الدولة حتى بادر بعقد صلات دبلوماسية مع الدول المسيحية عن طريق إرساله لممثليه الشخصين قصد إرساء علاقات الود وحسن الجوار بهدف تأمين الدولة الزيانية من جيرانها، وكذلك تطوير العلاقات الاقتصادية[4]، وقد صنفت

[1] – فتحي زغروت : المرجع السابق،ص281

[2] – عمر سعيدان : المرجع السابق،ص50

[3] – عطا الله دهينة : المرجع السابق،ص472

[4] – جيلالي صاري : المرجع السابق،ص47-48

الرسائل والمعاهدات العبد الوادية إلى ما هو صادر عن سلطان الدولة ، ووارد إليه وصادر عن أتباع سلطان الدولة كالوزراء والحجاب وحتى القادة في بعض الأحيان[1]

. معاهدة 685هـ/1286م بين الدولة الزيانية ومملكة أراغون، أبرمت بين أبي سعيد عثمان ابن يغمراسن (681هـ -703هـ/1282م-1303م) وبين ألفونس ملك أراغون وهي عبارة عن معاهدة ود وصداقة وتضمنت عدة بنود خدمت مختلف المجالات وجاء في مضمونها توفير العناية والأمن للرعايا المسيحين ، كما حددت رواتب الجند والقوانين التي يخضعون لها بالمغرب الأوسط، كما تضمنت تقديم ملك تلمسان المساعدة لملك أراغون وكتيبته كلما عبر هذا الأخير عن حاجته إلى المساعدة التلمسانية[2].

. معاهدة سنة 723هـ/1323م وهي عبارة عن رسالة من هلال القطلاني إلى جاقمو (جاك) ملك أراغون ومضمونها حول رد النصارى التابعين لخوان مانوال[*] وعددهم أربع وعشرين ، كما تضمنت معاهدة صلح بين الطرفين ، إضافة لهذا فقد عرض عليه تسليمه 30 آخرون من النصارى مع تقديمه سلف له من الذهب[3].

. معاهدة سنة 727هـ/1327م وهي عبارة عن رسالة ثانية من الوزير هلال واحتوت على اقتراح بعقد سلام بين سلطنة تلمسان ومملكة أراغون.

. رسالة السلطان أبو عبد الرحمن ابن موسى إلى ملك أراغون جاك الثاني(جاقمو الثاني) ولم يرد فيها ذكر لتاريخ الإرسال ماعدا الرابع والعشرين لربيع الثاني وفيها رفض لإطلاق الأسرى المسيحين وتبيين سبب ذلك "وأما ما أشرتم إليه من تسريح جميع من عندنا من

---

1 - بوزياني الدراجي: المرجع السابق،ص153

2 - جيلالي صاري: المرجع السابق،ص49-51

* - تاجر قطلاني تم أسر أتباعه الأربع والعشرين

3 - عمر سعيدان: المرجع السابق،ص64-69

الأسارى فذلك ما لا يمكن أن يكون ...لأن تعلمون أن ما عمر بلادنا إلا الأسارى وأكثرهم صناع متقنون في أنواع جميع الصناعة..."[1].

. رسالة سنة 730هـ/1330م أرسلها عبد الرحمن ابن موسى إلى ألفونس الرابع ابن جاك الثاني وجاء فيها إعلام بارسال سفير له ومعه كتب ليتعرف على ما فيها وعلى الأرجح أن هذه الكتب تحتوي على طلب تعاون وتحالف بين الطرفين ضد أعداء بني عبد الواد الحفصيين والمرينين[2].

. معاهدة سنة 739هـ/1339م بين أبي الحسن المريني وجاك الثاني ملك ميورقة وسيد وروسوليا ومونبتلييه، ووقعت بتلمسان وكانت بخصوص القرصنة جاء فيها :" وليمنع القراصنة في الجهتين من التعرض لما يعود على هذا العقد بالنقض أو يكر على حكمه بالرفض من إفساد المراسي أو ترويع المسافرين أو غير ذلك من وجوه الإفساد والإضرار..."[3].

. معاهدة سنة 745هـ/1345م، بين السلطان علي بن سعيد بن أبي يوسف المريني مع ملك الأراغون بترو الرابع وتضمنت عقد صلح بين الطرفين ، ثم أعقباها سنة 746هـ/1346م برسالة تخص بعض طلبات ملك الأراغون المتعلقة بالنصارى الميورقيون الذين ماتوا في بعض الغارات عهد ملك ميورقة السابع جاقمو ديمنجابر، كما يطالب بإطلاق سراح الأسرى و طالب بتعويضات[4]، هذا وقد عقد الملكيين معاهدة في نفس السنة تقضي بموافقة الطرفين على معاهدة الصلح التي عقدها أبو الحجاج يوسف ملك غرناطة مع بترو الرابع[5].

---

[1] – جيلالي صاري : المرجع السابق،ص55-56

[2] – عمر سعيدان : المرجع السابق، ص ص101،98

[3] – عبد الهادي التازي: المرجع السابق،ص237

[4] – عمر سعيدان : المرجع السابق، ص ص110،102

[5] – المرجع نفسه، ص115

. معاهدة سنة 761هـ/1360م تمت في عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني مع السلطان بترو الرابع (بيار الرابع) وكانت حول القطلانيين الذين أغاروا على سفن المرسى الكبير ووهران ، وقد مثلت هذه المعاهدة روح السيادة والقوة والأسلوب المتبع بأرض المغرب الأوسط أنذاك وكانت مدة المعاهدة خمس سنوات[1].

. رسالة سنة 764هـ/1362م من السلطان أبو حمو موسى الثاني إلى بترو الرابع ، وتشير هذه الرسالة إلى توتر العلاقات بين الطرفين بعد رفض السلطان أبو حمو موسى بتسريح الأسرى النصارى، وعرفت هذه الرسالة تبادل السفراء بين الطرفين، وفي هذه السنة عقدت معاهدة بين الطرفين تقضي بالأمن للجهتين برا وبحرا ، إضافة لبعض البنود التي تخدم التجارة[2]، وبذلك فإن معاهدات تلمسان الزيانية مع الدول الأوروبية كانت تخدم الجانب السياسي والإقتصادي على حد السواء ورمت بنودها المختلفة إلى خدمة الوضعين معا ، والملاحظ أن الشق السياسي خدم علاقات الصلح بين الطرفين وعني بحركة القرصنة، وأرسى التعاليم الدبلوماسية بين الطرفين، كما أنه حدد صلاحيات الجند وأعطاهم حقوقهم ووفر لهم الرعاية والحماية خصوصا وأن المعاهدات في الغالب دعمت التعاون العسكري بين أراغون وتلمسان إذ نصت إحدى المعاهدات على أن الملك الأراغوني هو حامي الجالية المسيحية الإسبانية بالمغرب الأوسط ، بينما تولى ملك قطالونية رعاية مسيحي البحر الأبيض المتوسط الآخرين ، كالإيطالين والفرنسين وجاليات أخرى[3].

ومما لاشك فيه فإن مقاطعات المغرب الأوسط التابعة للدولة الحفصية تمتعت هي الأخرى بالحصانة الدبلوماسية ، فقد أبرمت الدول الأوروبية معاهدات صريحة مع الملوك الحفصين نصت في مجملها على ضمان الأمن المتبادل للملاحة ، وتحديد مبادئ تعاطي التجارة

---

1 – بوزياني الدراجي: المرجع السابق،ص162

2 – عمر سعيدان : المرجع السابق، ص ص140،161

3 – عبد العزيز فيلالي: دراسات، ص65

واستقرار النصارى في دار الإسلام[1]، فقد أكدت معاهدة662هـ/1264م حقوق وواجبات البيزين وكل من رافقهم من أجانب ، وهذا ما نصت عليه معاهدتين لاحقتين ، كما أن معاهدة 671هـ/1250م منحت للجنويين المستقرين بأراضي الدول الحفصية كل الضمانات طوال اقامتهم بالمغرب الأوسط[2]، ولعل أهم معاهدة عرفتها الدولة الحفصية هي معاهدة الصلح التي كانت إثر الحرب الصليبية على شمال إفريقيا ، وعقدت سنة 669هـ/1270م وكانت مع البروفنسين (الفرنسين)، وتركزت أمورها السياسية في : إرساء سياسة حسن الجواربين بني حفص والدول الأوروبية المشاركة في الحملة ، وأول هذه الأسس كان إلزام ملوك هذه الدول بكف عدوانهم عن إفريقية طوال مدة المعاهدة ، كما نصت على عدم إيواء أي من ملوك وزعماء الصليبين المذكورين في المعاهدة، وفي المقابل تعهد المستنصر بعدم إيواء هؤلاء في بلاده منذ تاريخ توقيع المعاهدة[3].

وإضافة لهذا فقد جمعت عدة مراسلات دبلوماسية فرنسا ببجاية ومنها تلك المؤرخة بتاريخ 693هـ/1293م، وكانت في الغالب توجه إلى قنصل مرسيليا في بجاية[4].

. معاهدة 709هـ/1309م بين أمير بجاية أبو البقاء خالد وملك برشلونة .

. معاهدة 712هـ/1312م بين أمير بجاية أبو بكر وملك ميورقة وجاء فيها طلب إعانة عسكرية وقد ذكرنا ما كان من أمر استعانة بعض الأمراء بالنصارى[5]، كما عقدت معاهدة سنة 723هـ/1323م ببرشلونة بين ملك أراغون وسلطان تونس وبجاية ، والملاحظ أن هذه المعاهدة لم يتم التوقيع فيها على نسختي المعاهدة المبرمة[6] ، ومن مظاهر إرساء العلاقات

[1] – روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص56

[2] – عبد الهادي التازي : المرجع السابق،ص239

[3] – ممدوح حسين: الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري668 هـ –792هـ/1270م–1390م،ط1،دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 1419هـ/1998م،ص345–346

[4] – مختار حساني : موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، 294/2

[5] – زينب عبد الله أحمد كرير : المرجع السابق،ص105

[6] – رشيد بورويبة وآخرون : المرجع السابق،ص472

الدبلوماسية هو التهادي بين الأطراف حيث يذكر أنه سنة 655هـ/1257م قام المستنصر الحفصي بإهداء زرافة إلى ملوك النصارى[1]، فمنذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان جاريا تبادل الهدايا بين الأمراء والملوك[2]، هذا وقد تميزت الرسائل والمعاهدات بأساليب صياغة مختلفة تتناسب نوعا ما مع رسائل الخلفاء ، وتكون على نسختين : نسخة بالخط العربي ونسخة بالخط الإفرنجي[3]، وقد ذكر القلقشندي نماذج عن هذه الأساليب ، حيث يستهل الملوك المغاربة الرسالة بالألقاب المعظمة المفخمة، ثم يدعى بما يناسب الحال، ويؤتى بخطبة ، ويدخل في المقصود، وتختم بالسلام، والدعاء المناسب[4]، وقد جرت العادة في بعض الأحيان بعد إبرام المعاهدة والتوقيع عليها الإعلان عنها بصوت عال وعلى الأقل في أبواب الدولة المسيحية ، وكان يستلزم لإتمام المعاهدات إقامة عدة سفرات أولية ثم تليها سفارة المفوض فوق العادة وفي النهاية يتم تحرير المعاهدة[5].

السفراء: السفير هو الرسول والمصلح بين قومين والجمع سفراء، وسفر بين القوم يسفر بكسر الفاء ، سفارة بالكسر أي أصلح وسفر الكتاب كتبه[6]، وفي حديث علي لعثمان: " أن الناس استفسروني بينك وبينهم" أي بمعنى جعلوني سفيرا ، ويقال: سفرت بين القوم أي سعيت بينهم في الإصلاح[7]، أما اصطلاحا فقد عرفه كثير من رجال السياسة وعلماء القانون بأنه: " أعلى مراتب السلك الدبلوماسي ، وهو رئيس بعثة سياسية تعرف بالسفارة " والسفير هو الشخص صاحب المرتبة الأعلى في التمثيل الدبلوماسي، يقوم بتمثيل سلطان دولة ذات سيادة لدى بلاط دولة أخرى ، ويخضع لسلطانه سائر أفراد البعثة الدبلوماسية وقد يطلق على

---

1 – ابن قنفذ القسنطيني: المصدر السابق،ص120

2 – وهبة الزحيلي: المرجع السابق،ص12

3 – بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ص ص160،158

4 – أبو العباس القلقشندي: المصدر السابق، 84/8

5 – رشيد بوروبية وآخرون: المرجع السابق،ص472

6 – محمد بن أبي بكر الرازي: المصدر السابق،ص126

7 – محمد مكرم ابن منظور: المصدر السابق،370/4

السفير رسولا[1]، فقد ذكرت المصادر أن السفير هو نفسه الرسول والمصلح[2]، ويشترط فيه شروطا لاعتلائه هذه المهمة ، فيقال في هذا: "اختر لرسالتك في هدنتك وصلحك ومهماتك ومناظرتك والنيابة عنك رجلا حصيفا، بليغا، حولا قلبا ، قليل العقلة منتهز الفرصة ذا رأي جزل ، وقول فصل ، ولسان سليط وقلب حديد فطنا للطائف التدبير ومستقلا لما ترجو أو تحاول بالحزامة وإصابة الرأي ، ومتعقبا له بالحذر والتمييز ، ساميا إلى ما يستدعيه إليك ويستدفعه عنك...، حاضر الفصاحة مبتدر العبارة ، ظاهر الطلاقة...، جامعا لمختلف العلوم.." وجاء في غير موضع " أن يكون جهر الصوت، حسن الرؤاء والمنظر ، مقبول الشمائل، حسن البيان، جيد العبارة..."[3] ، هذا بشكل عام ما يطلب في الرسل والسفراء وقد يكون الغرض من ذلك إتمام المهام المكلف بها من طرف السفير.

وقد كان السفراء المسيحين في المغرب الأوسط ذو مستوى عالي ودقيق وغالبا ما يكونون من المقربين من الملك والخادمين المخلصين لطموحاته وإمبرياليته الاقتصادية والسياسية وأغراضه الدينية البعيدة، وكانت صلاتهم تتم مباشرة مع السلاطين وحجابهم ويعتبرون من الناسجين لخيوط السياسة الأوروبية والعلاقات المغربية المسيحية[4]، وقد كانت مهامهم في المغرب الأوسط تقوم على التفاوض في شأن معاهدات التجارة والصلح وكانوا يتحصلون من لدن حكوماتهم على سلطة قضائية عامة على مواطينهم في ميدان القضايا المدنية والجنائية[5] ، وقد يقوم بالسفارة في بعض الأحيان رجال الدين والأساقفة بطريقة مؤقتة ، حيث نجد أنه في العهد الحمادي قام البابا غريغوري السابع بإرسال هدايا جليلة ورسالة للناصر بن علناس

---

1 – جمال أحمد جميل نجم: أحكام الرسل والسفراء في الفقه الإسلامي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفقه والتشريع، إشراف: جمال حشاش، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس، فلسطين، 2008م،ص12

2 – أبو العباس القلقشندي: المصدر السابق،15/6

3 – أبي علي الحسين ابن الفراء: كتاب رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تح: صلاح الدين المنجد،ط2، دار الكتاب الجديد ، بيروت، لبنان،1972م، ص33-34

4 – عمر سعيدان : المرجع السابق،ص54

5 – روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص470

بواسطة الأسقف" سرفاند"[1] كما أن البابا إنوسان الرابع بعث مع القس " لوبي فرنانديث" كتابا إلى الخليفة الموحدي السعيد[2] ،هذا وقد كان السفراء من القواد العسكريين للفرق العسكرية بالمغرب الأوسط حيث يكلفهم الأمراء والسلاطين المغاربة بعقد المراسلات الرسمية للدول الأوروبية، كالقائد " تارسيا بيتيريز ديمورا" الذي أرسله أمير بجاية أبو البقاء خالد عام 709هـ/1309م، والسنيور " دون سانسكو Don Sansco" قائد فرقة ميورقية أرسله أمير بجاية أبو بكر سنة 712هـ/1312م[3] ، القائد جوان برمجلين القطلاني وهو قائد الحرس المسيحي بتلمسان بعثه السلطان أبو حمو موسى الثاني سنة 761هـ/1360م إلى ملك الأراغون بترو الرابع[4]، وقد لعب ابن جاقمو الثاني (جاك الثاني) المعروف بجاقمو اللقيط دور الوسيط الدبلوماسي بين سلطان تلمسان والملك الأراغوني وكانت له عدة مراسلات ومفاوضات بين الدولتين[5]، كما برز أيضا في المراسلات بين بجاية و الأراغون سنة 720هـ/1320م مبعوث بجائي يدعى بـ توماس بريز" Tomas Perez"[6] ومن السفراء الذين فوضوا للمراسلة مع تلمسان نذكر: بيار غارسيا وهو الذي أرسله الملك ألفونس إلى السلطنة العبد الوادية سنة 685هـ/1286م[7] ، فرانسيس سكوسطة أرسله بترو الرابع للسلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني سنة 764هـ/1362م وقد بعث معه كتاب مهين وشروط خاصة بالصلح[8]، ومن هنا فإن السفراء شكلوا أحد أهم عناصر الأقلية المسيحية بالمغرب الأوسط وتمحور نشاطهم حول الأمور السياسية ، وفي العديد من الأحيان كان هؤلاء يبقون كقناصل بالبلاد بعد انتهاء مهامهم[9].

---

1 – عبد الحليم عويس : المرجع السابق،ص187

2 – فتحي زغروت: المرجع السابق،ص281

3 – زينب عبد الله أحمد كرير: المرجع السابق،ص105

4 – عمر سعيدان : المرجع السابق،ص127

5 – روبار برنشفيك : المرجع السابق، ص472

6 – Dufurcqe. Op-cit. p504

7 – جيلالي صاري : المرجع السابق،ص49

8 – عمر سعيدان : المرجع السابق،ص133

9 – روبار برنشفيك : المرجع السابق،ص470

القناصلة: القنصل هو النائب عن دولة في دولة أخرى يحمي حقوقها وتجارتها ويدافع عن رعيتها ومرتبته دون مرتبة الوزير المفوض، ومرتبة هذا دون مرتبة السفير[1]، وقد ذكره القلقشندي باسم الكنصل أي الكاف بدل القاف ، وقد يكون ذلك تعريب حرفي لما جاء في اللغة الرومانية Consul، وعرفه بأنه أحد كتاب الفرنج[2]، وقد كانت بداية العمل بهذا النظام في العصر الوسيط منذ القرن 5هـ/11م أين ظهروا في مدن لمبارديا ، حين ورد ذكر قناصل مدينة لوقا سنة 473هـ/1080م، وفي القرون الموالية أصبحوا في كل مكان كنظام مجاز من السلطة العامة وحظوا بحق المشاركة في كل تنظيم بلدي، وفي كل المدن[3]، وقد ظهروا بالمغرب الإسلامي بشكل فاعل خلال القرن 6هـ/13م، إذ تشير المراجع إلى أن أقدم القناصل هم قناصل مرسيليا وجنوة في بجاية سنة 631هـ/1233م، ومن المرجح أنه تم إعتماد قنصل واحد في كل مدينة ، بل حتى قنصل رسمي واحد بالنسبة إلى قسم كبير من البلاد أو البلاد بأكملها[4]، وبالتالي فإنه كان يوجد في أي مكان يقطن فيه مسيحيون متحالفون ، وقد كان الفندق هو مقر إقامة القناصلة حيث كانوا يباشرون مهامهم وكانوا يعينون من طرف سلطات بلادهم ، وكان بإمكانهم تعيين خلفائهم أو مساعديهم[5] والأرجح أنهم كانوا يعينون لمدة سنة، كما أنهم لم يكونوا ملزمين بالبقاء بكيفية دائمة في كل موانئ المغرب الأوسط[6]، أما عن طريقة التعيين فيبدو أنها اختلفت من دولة لأخرى فمن المحتمل أنهم كانوا ينتخبون من طرف مواطنيهم، فالمرسيليون مثلا تركوا مدة طويلة لمواطنيهم للقيام بهذه الشكلية ، وقد يكون هذا الأمر مستبعد بالنسبة للمدن الأخرى ، وكانوا يتصرفون بصفتهم كمندوبين للحكومات الأوروبية[7]، وبذلك فإن القنصل كان يمثل رئيس الجالية وحاكمها وممثل بلاده ويتمتع

---

1 – إبراهيم مصطفى وآخرون: المرجع السابق،ص762

2 – صبح الأعشى،180/6

3 – هنري بيرين: المرجع السابق،ص57

4 – روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص466

5 – عبد الهادي التازي : المرجع السابق،ص228

6 – إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المتوسطية،ص91

7 – روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص466

بحصانة دبلوماسية[1] وبالنظر للمهام الموكلة للقناصلة فإننا نجد أنها متعلقة بالجانب الاقتصادي أكثر ، أما مهامهم السياسية فهي قائمة بالدرجة الأولى على الدفاع عن مصالح الجاليات المسيحية سواء تجاه السلطات المحلية أو الأجنبية ، وإدارة الحي أو المدينة الصغيرة التي تقيم فيها الجالية ، إضافة إلى تحكيم القضايا بين الرعايا المسيحين[2]، وقد تتداخل في العادة صلاحيات القنصل بصلاحيات القائد العسكري إذ أنه قد يوكل إليهما الإشراف عن النصارى في السلطنة والبت في شؤونهم والفصل في مشاكلهم[3] ، وضف إلى ذلك فقد كان للقنصل صلاحية الحصول على عقود الأهلية المدنية، كما أمكن له المثول أمام الملك لعرض الشكاوى وملاحظات مواطينهم[4] ،وكان الحق في هذه المقابلة مرة في الشهر خارج عاصمة الدولة المالكة، ومرتين في الشهر أو مرة في الأسبوع في حالات نادرة وهذه الأمور في الغالب تحددها المعاهدات المعقودة بين سلاطين المغرب الأوسط وملوك الدول الأوروبية التي يتبعها القناصل ، وما منح له أيضا وقتها الحق في تحجير دخول الفندق على أي كان ، وحتى على الموظفين المسلمين، فإليه ترجع مهمة الأمن والإدارة العليا في تلك المقاطعة النصرانية ، والجدير بالذكر أن مهام القنصل تنتهي بانتهاء المدة المكلف بالاضطلاع بها، فنجد أن مارسيليا عارضت بشدة تجديد مهمة قنصل ما ، هذا وكانت جنوة تحجر تعيين ابن أو أب أو شقيق للقنصل السابق[5].

وعليه فإن وضعية الجالية النصرانية بالبلاد توفرت على مختلف سبل الرعاية والحماية وفوق هذا تمتعوا بعيشة الرفاهية والرخاء ، خصوصا وأن أمورهم وقضاياهم كانت مخولة لأشخاص مثلهم وهذا ما خلق بطبيعة الحال عدة مناصب سياسية بالمغرب الأوسط كالقائد العام والقنصل والسفير...

---

[1] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان،191/1

[2] – إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المتوسطية،ص91

[3] – عمر سعيدان : المرجع السابق،ص53

[4] – عبد الهادي التازي: المرجع السابق،ص229

[5] – روبار برنشفيك : المرجع السابق،ص466

3/: الأسرى

الأسير لغة هو ذلك المقهور المأخوذ ، ويعنى بالأسر الشد حيث يقال أسرت الشيء آسره أسرًا إذا شددته، وقد سمي الأسير هكذا لأنه كان يُشدُ بالقد، ويقال للأسير أخيذ والأصل فيه مأخوذ، والجمع أسرى وأسارى[1] ، وقد أورد علماء اللغة عدة تفسيرات لكلمة الأسر، ثم أوردوا تعريفات للأسير إلا أنهم اتفقوا على مدلول واحد لأسير الحرب واتفق معهم في ذلك الفقهاء وعلماء القانون الدولي ، فبمجرد أن يقع الأفراد في أيدي الدولة المعادية يصبحون أسرى، وللأسر أوجه مختلفة فليس بالضرورة أن تكون حرب معلنة بين فريقين ليقع الأسر[2]، فقد كان من بين الأنظمة المتبعة في الحروب عامة والإسلامية خاصة ، أن يؤخذ الأسير بعد هزيمة قومه فيشد وثاقه بربط يديه خلف عنقه ثم يوضع مقيدا في محبسه حتى يفصل القائد في أمره، كما كان الأسر يتم جراء حركة القرصنة حيث كانت الأساطيل تغير على سواحل النصارى وتأسر أعداد غفيرة من أهلها ذكورا وإناثا[3]، وقد عرف المغرب الأوسط قبل القرن 5هـ/11م وفرة السبي سواء المسلم وغير المسلم وذلك راجع للطابع العسكري الذي امتازت به هاته الفترة خاصة ما ارتبط منها بعمليات الفتح وإعادة الفتح، فبقدر ما استعصت البلاد على الفاتحين العرب، وكلفتهم أموال ورجال ، بقدر ما كان السبي الذي وقع في أيديهم وفيرا[4]، وقد استمرت هاته الوفرة في القرن 5هـ/11م وما تبعه من قرون ، فيذكر أن الحماديين كانوا يخرجون على الواجهة البحرية عبر بونة وبجاية وتنس ومرسى الخرز بالمراكب الحربية على مختلف أنواعها وأشكالها لغزو بلاد الروم وبشكل خاص الإمارات الإيطالية مثل سردينيا وكرسفة وما والاهما ، وبطبيعة الحال فإن هذه الغزوات الجهادية ضد المسيحين كانت تكسبهم من الأسرى والغنائم الشيء الكثير[5]، وهذا ما ذكره البكري بقوله" ومن مرسى بونة

---

1 – أبو بكر محمد الأنباري: المصدر السابق،63/2

2 – عبد اللطيف عامر: أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية، ط1، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، لبنان،1406هـ/1986م، ص79–80

3 – فتحي زغروت: المرجع السابق، ص ص264،267

4 – عبد الإله بنمليح: المرجع السابق،ص70

5 – موسى هيصام: المرجع السابق،ص43

تخرج الشواني غازية إلى بلاد الروم"،" وبمدينة مرسى الخرز تنشأ السفن والمراكب والحرابي التي تغزى بها بلاد الروم وإليها يقصد الغزاة من كل أفق..."[1] ويبدو أن هذا راجع إلى ما تمتعت به البحرية الحمادية من قوة آنذاك حيث أنه انتشرت دور لصناعة المراكب والسفن البحرية في بجاية ومرسى الخرز ، وبهذه السفن تغزا البلاد الأوروبية[2]، وقد عرف عن المرابطين والموحدين أن حروبهم كانت كثيرة مع نصارى إسبانيا وهذا بالضرورة أدى إلى زيادة عدد الأسرى ببلاد المغرب الأوسط، إذ وصل عدد الأسرى بعد معركة الزلاقة إلى حوالي 20ألف[3]، وفي عام 532هـ/1137م حمل الأمير تاشفين بن علي من سبي مدينة أشكونية إلى بلاد المغرب الإسلامي ما يقدر بستة آلاف سبية[4] ،ولذا فإن البلاط المغاربي كان يعج بالعديد من الصبايا والجواري الروميات[5]، هذا وقد أورد ابن القطان أن قائد البحر المعروف بعلي بن ميمون كان يرسل الأسرى إلى المرابطين ليعملوا تحت لوائهم[6] والملاحظ في هذا أنه لم تنفرد المصادر الإسلامية بذلك ، إذ أن الوثائق الأجنبية المسيحية كمدونة ألفونسو السابع تذكر أن عليا بن يوسف لم يقتصر على جلب الأسارى من الممالك النصرانية بل أصبح أسطوله البحري يغير على شواطئ البحر المتوسط ويأسر العديد من النصارى[7] وبالتالي فإن كل هاته الأدلة تشير إلى أن ظاهرة الأسر تزايدت بشكل فاعل على عهد المرابطين، والظاهر أن الدولة الموحدية ورثت هذا النظام وعملت به، فقد بلغت ذروته في هذا العهد جراء الحروب وحركة القرصنة التي ظلت مستمرة[8] وقد ذكر أنه" بلغ الحال من كثرة

---

[1] – أبو عبيد الله البكري: المصدر السابق، ص ص55،73

[2] – السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، د.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،1969م،ص200

[3] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص ص149،52

[4] – أبو العباس أحمد الناصري: المرجع السابق،62/2

[5] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص52

[6] – أبي محمد حسن ابن القطان المراكشي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط2،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989م،ص 96

[7] – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الإجتماعي،ص69

[8] – إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المتوسطية،ص84

سبي الآدميين أن يباع بيضاوان من الروم بسوداء من الوخش في بجاية"[1] فابن خلدون يذكر عن قائد الأسطول الموحدي ابن ميمون أنه كان يبعث بالأسارى والعلوج للخليفة أبي يعقوب الموحدي[2]، وإضافة لهذا فقد اشتهر بنوغانية كغزاة بحريين في حوض البحر المتوسط فكثيرا ما أغاروا بأساطيلهم على سواحل قطلونيا وجنوب فرنسا، وهاجموا سفنهم في البحر[3] وجاء عن المراكشي في سيرة إسحاق بن غانية"...وأقبل على الغزو وصرف عنايته إليه فلم يكن له هم غيره فكان له سفرتان إلى بلاد الروم يغنم ويسبي وينكي في العدو أشد نكاية إلى أن امتلأت أيدي أصحابه أموالا فقوي بذلك أمره وتشبه بالملوك...وكان يراسل الموحدين ويهاديهم ويهادنهم ويختصهم من كل ما يسبى ويغنم وجيده..."[4] ، هذا وقد أسفرت حروب الموحدين كذلك في الأندلس عن كثير من الأسرى استخدمهم ولاة الأمر في خدمتهم[5]، ويذكر ابن صاحب الصلاة أنهم كانوا يسبون العدد الوافر من أعلاج النصارى يستاقونهم من أرض الأندلس إلى بلاد المغرب الأوسط مع جملة الغنائم[6]، وقد زخرت المصادر الموحدية بأخبار الأسر وما كان يحققه بني عبد المؤمن من سبي وغزو تدفق جراءها أعداد كثيرة من الأعلاج والسبايا النصارى ومهما يكن فإن القرن6هـ/12م كان ينبئ باستمرار تدفق السبي لمدن المغرب الأوسط[7]، ويبدو أن تعداد الأسرى ازداد بشكل أكبر بعد سقوط الأندلس نتيجة حركة الجهاد البحري التي كان يقوم بها سكان مدن المغرب الأوسط بغية مساعدة الجالية الأندلسية[8]، كما أن غزوات المسيحين على شواطئ المغرب كانت تعود عليهم في بعض

---

1 – أبو العباس الغبريني: عنوان الدراية، ص 95

2 – كتاب العبر،243/6.

3 – مختار العبادي: تاريخ البحرية،ص250

4 – ابن السعيد المغربي: المعجب،ص78

5 – حسن علي حسن: المرجع السابق،ص324

6 – عبد الملك بن صاحب الصلاة: المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي التازي، ط3،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987 ، ص275

7 – عبد الإله بنمليح: المرجع السابق،ص156

8 – مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاجتماعية، ط1،دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ، 2007،ج3،ص83

الأحيان بالوقوع في أيدي حراس الشواطئ ليكون مصيرهم الأسر[1] ، وقد ذكر التنسي أن وجودهم بالعاصمة الزيانية كان يقدر بالآلاف العديدة[2]، والجدير بالذكر أن ما كان يغنمه سكان البلاد نتيجة الإغارة على القوارب المسيحية يعود لفائدة السلطان والدولة باعتباره غنيمة غنمها المسلمون[3] ، وعلى الأرجح أن عدد الأسرى ارتفع بداية من القرن 8هـ/14م بسب تزايد الحروب والغارات المتبادلة بين الشاطئ الشمالي والجنوبي للبحر الأبيض المتوسط، فزاد عدد سكان المدن في الدولة الزيانية باستقبال هؤلاء الأسرى ومن بينها تلمسان العاصمة التي كانت تتوفر على عدد كبير[4] ،إضافة إلى وهران والمرسى الكبير[5] وبجاية وقسنطينة وجميع المدن الأوسطية التابعة لحكم الحفصيين الذي عرف عهدهم أيضا بتزايد الغارات البحرية التي انبثق عنها تواجد الرقيق النصارى بمختلف أرجاء البلاد ذكورا وإناثا ، والملاحظ أنه حتى أولئك الذين يعرضون في السوق للبيع بطرق سلمية كانوا جميعا منحدرين من نفس المصدر تقريبا[6] خصوصا وأن الرقيق الرومي مثل أحد أهم السلع التي وسعت الحركة التجارية بالبلاد ومثلت بجاية أحد المراكز الرئيسية لهاته التجارة[7] ، ومن المعلوم أن مصير معظم أسرى الحروب والقرصنة كان يؤول للاسترقاق ، فالمنظومة الفقهية لدول المرحلة كانت تسمح بذلك[8]، فقد ذكر ابن الحاج أن الإمام (أي السلطان) مخير في الأسارى بين خمسة أشياء : القتل والاسترقاق والمن والفداء[*] والجزية[9] ، ويذكر ابن رشد في هذا:" فإن كان الأسير من أهل النجدة والفروسية والنكاية في المسلمين قتله الإمام، فإن لم يكن على

---

1 – عبد العزيز فيلالي: تلمسان،191/1

2 – نظم الدر والعقيان ، ص140

3 – بوزياني الدراجي: المرجع السابق ،ص225

4 – عبد العزيز فيلالي: تلمسان،191/1

5 – مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية ،ص83

6 – روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص479

7 – عز الدين موسى : النشاط الإقتصادي،ص150

8 – محمد تيتاو: المرجع السابق،ص335

* – المن: أن يترك الأمير الأسير الكافر ، ولا يأخذ منه شيئا، الفداء: أن يترك الأمير الأسير الكافر ويأخذ مالا أو أسيرا مسلما في مقابله، التعاريف، 212،680/1

9 – ابن الحاج : أبو عبد الله محمد: المدخل إلى تنمية الأعمال، د.ط، مكتبة دار التراث، القاهرة ،د.س ،3/3

هذه الصفة وأمنت غائلته وله قيمة استرقه قائد المسلمين وقبل فيه الفداء إن بذل فيه أكثر من قيمته، وإن لم تبذل فيه قيمة ولا فيه محمل لأداء الجزية أعتقه كالضعفاء والزمنى الذين لاقتال عندهم ولا أرى لهم ولا تدبير، وإن لم تكن له قيمة وفيه محمل لأداء الجزية عقد له الذمة وضربت عليه الجزية"[1] ، وقد ورد في أمر قتلهم اختلافات فقهية كثيرة فالرأي القائل بقتلهم يستند في ذلك لقوله تعالى:" فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ" (الآية 5 سورة التوبة) والسبب في إباحة قتلهم هو لدفع محاربتهم[2]، ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل سبعين أسيرا بعد الإثخان من يهود، وقتل عقبة بن معيط أتي به أسيرا يوم بدر فذبحه[3] وهذا دليل على جواز قتل الأسير ، ولكن في ذلك أحكام فيجوز في حالة ما إذا لم يكن هناك تأمين على الأسير وهنا وقع الخلاف فيمن يجوز تأمينه ممن لا يجوز[4] وإضافة لهذا فإننا نجد استثناءات فيمن يقتل ولا يقتل إذ لا يجوز قتل الأسرى من أطفال الحرب والنساء ونهي عن ذلك نهيا مطلقا ، فالطفل المحقق من صغره لا يقتل ، أما النساء فإن كن يقاتلن بالسلاح فهناك من أباح قتلهن ، أما الذين لم يكن منهن إلا الوقوف في الحرب والإعانة بالصياح وما إلى ذلك فلا يباح قتلهن[5]، ويضاف لهؤلاء الرهبان المنقطعون لعباداتهم حيث يذكر الونشريسي في ذلك :" وأما الراهب المتخلي عنهم لعبادته ، ولم يدخل معهم في مشورة ولا بعث إليهم بتدبير، فالمشهور من مذهب مالك أنه لا يقتل ، وقيل يقتل لعموم الأمر بقتل الكفار..."[6] ، ومن هنا فقد ذهب قوم للقول بعدم جواز قتل الأسير وقد أجمع الصحابة على ذلك مستندين في ذلك لقوله تعالى :"... فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء" (الآية4 سورة محمد) وبذلك

---

1 – فتحي زغروت: المرجع السابق،ص264

2 – عبد اللطيف عامر : المرجع السابق، ص ص178،172

3 – مالك بن أنس: المصدر السابق،ص502

4 – ابن القيم الجوزية: المصدر السابق،314/1

5 – أبي زكرياء يحي المغيلي المازوني: الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح: مختار حساني، د.ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1،2009/409-410

6 – المعيار المعرب، 114/2

فإنه ليس للإمام بعد الأسر إلا المن أو الفداء[1] ، ويبدو أن ظاهرة المن أو العتق التي تمنح للذي لم تبذل فيه قيمة ولافيه محمل أداء الجزية لم تكن منتشرة في بلاد المغرب الأوسط خصوصا وأن المؤرخين والكتاب لم يولوا جانبا من الاهتمام بهذا الأمر[2]، كما أن القتل لم يكن يمارس إلا في حالات نادرة بالرغم من كونه الخيار الأفضل للتخلص من الأسرى[3] وقد حافظ ملوك المغرب الأوسط على الأسرى المسيحين ، ولم يعملوا على التخلص منهم بالقتل، بل وكانوا يستعملونهم في البدل أو الفداء[4] إذ أنهم شكلوا رأسمال هام ، ومصدرا أساسيا للحصول على الأموال خصوصا وأن الرغبة في الحصول على الغنائم والأسرى شكلت أهم الدوافع التي وقعت وراء استشراء الحروب بين الدول الإسلامية ومسيحي إسبانيا[5] وقد كان نظام المفاداة من النظم المتبعة بين المسلمين في المغرب الأوسط وبين النصارى وجرت العادة أحيانا على أن يفدى أسير من المسلمين بأسير من النصارى ، وكان في الغالب يحدد لهذا التبادل زمان ومكان يتم فيه[6]، وقد ذكر الونشريسي أنه لابأس أن يفدى أسارى الكفار بأسارى المسلمين...، "ويفدى العلج منهم بمسلم لا بالمال ولكن بالمسلمين..."[7]، فالمالكية يرون الفداء بالنفوس دون المال ، والفداء على مال يكون بيعا ويكون مال هذا البيع مغنوما للغانمين مكان السبايا[8] ، وقد أولت الدول المتوسطية اهتماما بالغا لقضية الأسرى حيث كانت موضوع مراسلات رسمية لسلاطين المغرب والملوك المسيحين والوثائق التي جمعها ماس لاتيري تحمل إشارات إلى أن الأسرى حازوا بعض البنود من الإتفاقيات التي وقعتها الدول المسيحية والمغربية ، فبمجرد تحديد جنسية الأسير تسعى السلط الحاكمة إلى تحريره

---

[1] – عبد اللطيف عامر : المرجع السابق، ص174

[2] – عبد الإله بنمليح: المرجع السابق،ص166

[3] – محمد تيتاو : المرجع السابق،ص334

[4] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص156

[5] – محمد تيتاو: المرجع السابق،ص334

[6] – فتحي زغروت: المرجع السابق،ص267

[7] – المعيار المعرب،159/2

[8] – عبد اللطيف عامر : المرجع السابق،ص358

ومفاداته[1] ومنذ القرن 5هـ/11م والمراسلات الأوروبية تُعنى بهذه القضية ، إذ يذكر في عهد العزيز الحمادي قام الكونت روجيه حاكم صقلية بإرسال مبعوثيه الخاصين للقلعة قصد إفتداء الأسرى[*] والرهبان الذين وقعوا في الأسر ، فرحب العزيز بمساعي روجيه وقبل وساطته [2]، هذا وقد أشار الباحثون الغربيون إلى أن المرابطين كانوا يعتبرون الأسرى المسيحين رأسمال يمكن استثماره من أجل فداء أسرى المسلمين الذين كانوا يعانون في الأسر[3] ويبدو أن ضعف المراسلات بين المرابطين والدول الأوروبية هو ما جعل الإشارات قليلة عن الرسائل التي تهتم بالمفاداة.

والظاهر أنه من بداية النصف الثاني للقرن 6هـ/12م توسعت عمليات الفداء بشكل أكبر ولاسيما أن المراسلات بين الملوك الموحدين والنصارى أخذت منحى آخر، إذ أن البابا إينوسانت الثالث كان يتصل من حين لآخر بالخليفة الموحدي أبي يعقوب المنصور(580هـ -595هـ/1184م-1199م) ويطلب منه تسهيل الأمر أمام البعثات المسيحية التي أرسلها للمغرب قصد افتداء الأسرى وفي المقابل كان المنصور يتلقى هذا برحابة صدر ويعمل على تسهيل مهمة البعثات وتنقلها عبر المدن المغربية ، إذ يذكر أنه ببلاد المغرب الأوسط وحدها افتدى حوالي 340 أسير[4]، وضف لهذا فقد عقدت اتفاقيات ومعاهدات حول هذا الأمر وكانت في جلها تعمل على تحريم بيع الأسرى إلى وقت حصول المفاداة بين الطرفين وفي الغالب كانت هذه الاتفاقيات تواجهها صعوبات كبيرة [5] ،ولعل هذا ما تؤكده المعاهدات التي جمعت بني زيان بالملوك الأوروبيين ومثال ذلك ما كان عهد السلطان أبو تاشفين عبد

---

[1] - محمد تيتاو : المرجع السابق،339

* - عام 508هـ/1114م وقع بعض رهبان" مون كاسان" في أيدي القراصنة الحماديين أثناء عودتهم من سردينيا إلى صقلية ولذلك أرسل المطران مجموعة أخرى من الرهبان قصد افتدائهم ، عبد الحليم عويس : المرجع السابق، ص189

[2] - المرجع نفسه،ص190

[3] - عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص156

[4] - عبد العزيز فيلالي: دراسات،ص63

[5] - عبد الإله بنمليح: المرجع السابق،ص165

الرحمن الذي رفض طلب ملك أراغون جاك الثاني بإطلاق سراح الأسرى المسيحين"... وأما ما أشرتم إليه من تسريح جميع من عندنا من الأسارى فذلك ما لا يمكن أن يكون ، كما لا يمكن لنا أن نطلب منكم تسريح من عندكم من أسارى المسلمين..."[1] مبررا ذلك بأن جميع الأعمال والأشغال في دولته تدار بواسطة هؤلاء الأسرى، ومع هذا فإن عملية تسريح الأسرى كانت قائمة بين الدولتين ، إذ تشير بعض الوثائق بأن أسيرا قطلونيا أفتدي في تلمسان سنة 726هـ/1326م بمبلغ يتراوح بين 400 و500دينار[2]، وقبل هذا التاريخ أي حوالي سنة 723هـ/1323م كانت هناك مراسلات بين الطرفين تقتضي ما يتوجب جراء تسريح بني عبد الواد للأسرى المسيحين وجاء فيها على لسان القائد هلال:"... والحمد لله وموجبه إليكم إعلامكم بوصول كتابكم وعلمنا ما ذكرتم فيه وأنتم تطلبون منا أربعة وعشرين نصرانيا متاع جوان منوال ، ونحن نعرفكم أنكم إذا أردتم صلح مولانا أيده الله، فنحن نعطيكم الأربعة والعشرين نصرانيا الذين طلبتم متاع جُوان منوال ونعطيكم أيضا زيادة عليهم ثلاثين نصرانيا من بلادكم من الذي نعطيكم نحن باختيارنا دون أن تُعينوا لنا أنتم أحدا فإن أنتم وافقتم على ما ذكرناه لكم فنعمله لكم..."[3] ، وبالتالي فإن قضية الأسرى شكلت نقطة هامة في التاريخ السياسي المشترك بين دول المغرب الأوسط والدول المتوسطية المسيحية ، ولهذا نجد أن القضية لم تعد تشغل الملوك وأجهزة الدولة فقط ، بل إن أمر افتدائهم شغل اهتمام الكنيسة المسيحية أيضا حيث كانت تضطلع بهذه المهمة الهامة والإنسانية إلى أبعد حد ، فمنذ الربع الأخير للقرن 6هـ/12م جرت محاولات لتخصيص بعض الفرق الرهبانية لذلك الغرض ومنهم: فرقة سان جاك ، فرقة نوتردام دي مولجوا ، الثالوث المقدس وعذراء الرحمة[4] ،وقد تعهدت هذه الفرق أمام البابا " إينوسان الثالث" بإنفاق ممتلكاتهم حاضرا ومستقبلا في سبيل افتداء الأسرى والذي كان يتم بموافقة السلطة الرسمية في بلاد المغرب الأوسط ، فهذا الأمر كما

---

[1] – جيلالي صاري : المرجع السابق،ص56

[2] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان،191/1

[3] – عمر سعيدان: المرجع السابق،ص65–66

[4] – روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص483

سبق الذكر يشكل موردا ومربحا هاما للدولة ، وقد لاقت هذه الفرق والبعثات نجاحا في المهمة الموكلة لهم[1] ،والظاهر أن أغلبية تلك العمليات قام بها بعض الرهبان القادمين من الجزر البريطانية أي من أقاليم إنجلترا وإيرلندا واسكتلندا ... وغيرهم من المقاطعات الأوروبية كبرشلونة...، وكان الافتداء لا يتم إلا بمقتضى رخصة صريحة من قبل السلطان أو الوالي المحلي ، وتكون مهمة الرهبان منوطة برعاية السلطة الإسلامية الرسمية[2]، إضافة لهذا فإن الملوك المسيحين حرصوا بأنفسهم على حماية هذه الفرق والبعثات ، ففي أوائل القرن 9هـ/15م عمل مرتان ملك أراغون على اعتبار نفسه حامي رهبان الرحمة ، والاشتغال بخلاص الأسرى الموجودين ببلاد المغرب الأوسط[3] ، وفي المقابل نجد أنه ليست الفرق فقط من سعت لافتداء الأسرى ، فقد انتدب أشخاص أنفسهم لهذه المهمة وكانوا يعرفون باسم الفكاكين ، والفَكَاك بالفتح والكسر من الفعل فككتُ، وفككت الأسير والعبد بمعنى خلصته من الإسار والرق ، وهو يسعى في فكاك رقبته وفي فكها ، وقول الله تعالى " فك رقبة" بمعنى أعتقها وأطلقها[4]، وقد عمل بالمغرب الأوسط في هذا المجال اليهود بشكل أكبر ، حيث كانوا يقومون بالتفاوض لإطلاق سراح الأسرى النصارى أو المسلمين وكان الكثير منهم يقيم في الأندلس[5]، وذكرت كتب النوازل أنه من رجع من الفكاكين إلى أرض النصارى بغير مال ولا علج (أسير) فيكون ذلك نقضا للعهد الذي جاء به إلى أرض المسلمين ، ويخاف بذلك أن يدخل ضررا على الأسارى المسلمين الذين بأيدي النصارى[6] ، والأرجح أن هذا الأمر يعد من بين المشاكل والصعوبات التي واجهت عمليات الافتداء.

وتنبغي الإشارة إلى أن عملية الافتكاك تخضع للتوثيق عن طريق كتابتها كعقود ، واشتهر في هذا القضاة .."...ونحن نعلم أنهم يكتبون عقود افتكاك أسارى النصارى رجالا ونساء كبارا

---

[1] – زينب عبد الله أحمد كرير: المرجع السابق، ص261

[2] – روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص458

[3] – المرجع نفسه، ص486

[4] – أحمد بن محمد الفيومي: المصدر السابق،479/2

[5] – عبد العزيز فيلالي: دراسات،ص66-67

[6] – الونشريسي: المصدر السابق،162/2

وصغارا فرسانا ورجالا ولا يمنعون من ذلك أصلا ولا يتوقفون في شيء منه..."[1] وضف إلى ذلك فقد كان الأسير يستطيع أن يفدي نفسه ، ومن هنا فالإسلام أعطى حقوق وتخريجات للأسرى قصد التخلص من هذا الوضع ، وفي حال لم تتوفر هذه الأمور فإنه يضرب عليهم الرق ويصبحون أرقاء[2] ليصبحوا بذلك عبيدا يعملون في مختلف المجالات كتدبير شؤون البت وشؤون الطبخ والعجن وسقاية الماء وتنظيف الثياب ولم الحطب للتدفئة...[3] ، وقد استفاد المجتمع المغاربي عامة من خدمات الرقيق سواء سياسيا أو اقتصاديا...، حيث اعتمدت عليه السلطة السياسية عليه سواء في البلاط داخل أسوار القصر ، أوفي الإدارة أو في القوات العسكرية أو في أداء مهام ذات أبعاد سياسية ، وسبق ورأينا الدور الذي لعبه الأعلاج سياسيا[4] كما أن الأسرى غير المسترقين نشطوا أيضا في مختلف المجالات ، إذ عمل أمراء المغرب الأوسط على إشراكهم في إنجاز بعض المشاريع[5] ، كبناء التحصينات والمساهمة في بناء المرافق العامة[6] ، هذا ولا يمكننا إغفال الدور الذي لعبته المرأة المسيحية الأسيرة في بلاد المغرب الأوسط ، حيث قدم العديد من السبايا والجاريات الروميات إما عن طريق الأسر أو بواسطة تجارة الرقيق[7] ، وقد كان لهن دور في تحديد السياسة العامة للدولة فمنهن من أصبحت أم ولد وحظية لدى الخلفاء المرابطين والموحدين...، وبذلك توسع نفوذهم السياسي حتى أصبحن يتدخلن في اختيار أولياء العهد[8]، وقد برز في هذا الشأن حبابة زوجة الأمير الموحدي المأمون التي لعبت دورا طلائعيا ، واستخدمت النفوذ والرشوة من أجل

---

[1] – المعيار المعرب،197/2

[2] – مجموعة مؤلفين: نظام الرق عبر العصور، د.ط، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، دولة الإمارات العربية المتحدة، سبتمبر ،2001،ص34

[3] – محمد تيتاو : المرجع السابق،ص337

[4] – عبد الإله بنمليح: المرجع السابق،ص475

[5] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص157

[6] – إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المتوسطية،ص100

[7] – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث،ص69

[8] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص74

ترشيح ابنها الصغير الأمير الرشيد الموحدي[1] وبرز دورهم سياسيا أيضا كاستعمالهم للجوسسة والاستخبارات ، فقد كان للزيانين في البلاط المريني جارية رومية تزودهم بأخبار المرينيين[2] ،وبالتالي فإن الأسرى والأرقاء المسيحين كانت لهم مساهمات مختلفة في مجتمع المغرب الأوسط وبرزت أدوارهم في مختلف المجالات وهذا بطبيعة الحال يجعلنا نتساءل عن أوضاعم وأحوالهم التي يعيشونها؟ أي بمعنى آخر المعاملة التي كانوا يحضون بها؟.

الواقع أن الرقيق والأسرى في المجتمعات الإسلامية بصفة عامة كانوا يعاملون معاملة طيبة ، فقد عمل الإسلام على مساواة الرقيق بالأحرار في أكثر الشؤون[3]، إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعمل على رعايتهم واحترام انسانيتهم، فكان يعفو عن الأسرى ويقبل فيهم الفداء ويوصي أصحابه بألا يكلفوا عبيدهم فوق طاقاتهم من الأعمال ، وأن يرحموهم إذا كلفوهم بها، كما أمرهم أن يطعموهم مما يطعمون ويكسوهم مما يلبسون[4]، وقد شكلت وصايا النبي صلى الله عليه وسلم مرجعية أساسية للفقهاء من بعده إذ استندوا عليها على اختلاف مشاربهم وعملوا على ضمان الحقوق لهم والعيشة الكريمة في ظل الإسلام[5]، وبهذا فإن الملوك المغاربة لم يحيدوا عن المبدأ الذي جاء به الإسلام تجاه هذه الفئة ، حيث أنهم عملوا على توفير المعاملة الطيبة لأسراهم على عكس ما كان يقوم به النصارى تجاه الأسرى المسلمين من تعذيب وتنكيل[6]، وما ذكرناه سابقا عن نشاطاتهم السياسية والاقتصادية وأدوراهم الاجتماعية ماهي إلا دلائل تشير إلى العيش الهانئ الذي وفر لهم ، فالأعمال والمشاريع التي اختصوا بها كان الهدف منها أن ينسوهم جو الأسر[7]، كما أنه توفر لهم

---

[1] – إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المتوسطية،ص98

[2] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان،26/1

[3] – مجموعة مؤلفين: المرجع السابق،ص37

[4] – فتحي زغروت: المرجع السابق،ص270

[5] – عبد الإله بنمليح: المرجع السابق،ص321

[6] – فتحي زغروت: المرجع السابق،ص272–273

[7] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص158

مختلف الحريات الدينية فيذكر أن سجون الأسرى كانت تحتوي على كنائس متواضعة[1]، والواضح أن حكام المغرب الأوسط كانوا يتمتعون بروح التسامح إزاء هذه الفئة ومختلف الفئات من الجاليات المسيحية المتوسطية[2].

وعليه فإن الأقلية المسيحية عرفت حضورا سياسيا في المغرب الأوسط على مختلف أركانه وجهاته حيث برزوا كقادة عسكريين وكمحنكين سياسين اعتلوا مناصب الإدارة والسياسة مأثرين ومتأثرين في الوقت نفسه وبذلك خلقوا تعددا وظائفيا بالبلاد وبرزت إسهاماتهم في مختلف مجالات السياسة ، ومما لاشك فيه فإن كل هذا راجع لطبيعة الدولة الإسلامية في المغرب الأوسط التي عملت على توفير مختلف سبل الراحة والأمان لهاته العناصر وفق ما تقتضيه العهود والمواثيق.

---

[1] – روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص482

[2] – عبد العزيز فيلالي: دراسات،ص63

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية

رغم تعاقب الدول الإسلامية وفترات الحروب التي شهدها المغرب الأوسط سواء على المستوى الداخلي من حروب قبلية وعصبية ،أو على الخارجي من صراع مع النصارى...، فإن هذا لم يؤثر بشكل فاعل على النظام الاقتصادي للبلاد خصوصا وأنه يمثل عصب الحياة للأمم، بل على العكس فنجد أنه في كثير من الأحايين عرف عجلة تطور ساهمت في إثراء المنطقة وخلقت نوعا من الترابط الاقتصادي والاجتماعي ،حيث فرضت طبيعة التعاملات بروز فئة جديدة من الجالية النصرانية ساهمت في مجال الحرف والصنائع وبدرجة متفاوتة في الحركة التجارية.

1/**التجارة والتجار:**

تمثل التجارة شريان الحياة الاقتصادية للدول وأهم ممول لعائداتها، فهي محاولة تنمية المال بشراء البضائع أو محاولة بيعها بأغلى من ثمن الشراء مهما كانت السلع من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش ، ويكون المحصل النامي عن ذلك ربحا ،فهي إذا حسب ابن خلدون اشتراء الرخيص وبيع الغالي[1] ، والحاصل عنهما الربح معتمدا في ذلك على ممهدات وآليات قائمة على اختزان السلع حتى ترتفع أثمانها، أو بنقل سلعة من بلد إلى آخر، أو بيعها بالغلاء على الآجال[2] وبالتالي فهي كما عرفها المناوي: تقليب المال بالتصرف فيه لغرض الربح[3] ، والتجارة قديمة قدم المجتمع البشري وهي خاضعة لتطور المجتمعات، حيث انتقلت من صورها البدائية من مبادلة أو مقايضة إلى اتخاذ النقد من ذهب وفضة ...، كما توسعت من أسواق محلية إلى نطاق الأسواق العالمية ، وبمدلول أكثر معنى فهي حركة المبادلات التي قوامها إنتقال السلع والأموال من يد ليد ، ومن قطر لقطر[4]، ومن هنا نصل إلى أن التجارة

---

1 – المقدمة، ص 310-311

2 – الكبير البزاوي :التجارة من خلال كتابات ابن خلدون ،أعمال الندوة التجارية ،ص36-37

3 – التعاريف160/1،

4 – حسن ظاظا، محمد عاشور: اليهود ليسوا تجارا بالنشأة ، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر،1975 ،التقديم

استندت على نوعين تجارة داخلية ، وتجارة خارجية والتي لها الأهمية الكبرى لما لها من إسهامات في السير بنمو اقتصاد البلاد نظرا للمعاملات التجارية القائمة بين الأقطار ،فبماذا امتازت طبيعة العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والدول الأوروبية المسيحية؟

أ/طبيعة العلاقات التجارية:

لقد كان للتجارة الخارجية دور بارز في نشوء الدول وارتقائها فالدول المغربية في أساسها قامت على عدة أسباب من بينها احتكار التجارة الخارجية بشكل أو بآخر بواسطة التحكم في الطرق ،حيث أن الوضع الجغرافي جعل من المغرب الأوسط ممرا حيويا للمبادلات الدولية طيلة القرون الوسطى الإسلامية[1] ،فعلى الرغم من المواجهات والصراعات التي جمعت دول المغرب الأوسط وبعض البلدان المتوسطية المسيحية فإن هذا لم يمنع من خلق جو من التعايش فيما بينهما خصوصا وأن المنطقتين سعت إلى تغليب مصالحهما المشتركة قصد المنفعة العامة والخاصة على حد السواء، فنجد أن بعض المغاربة عبروا البحر الأبيض المتوسط ليقيموا في عدد من البلدان الأوروبية المسيحية[2]، ومع العلم فإن الإسلام نهى عن المتاجرة مع أهل الحرب والكفر، وكره استقرارهم بدار الكفر، إذ جاء في المدونة أنه قيل لابن القاسم: هل كان مالك يكره أن يتجر الرجل إلى أرض الحرب؟، قال نعم ، كان يكرهه مالك كراهية شديدة، ويقول لا يخرج إلا بلادهم حيث تجري أحكام الشرك عليه، وقال أيضا: "إني لا أعظم أن يعمد إلى دارهم فيها ذكر الله وكتابه ويعطاها نجس، وأعظم ذلك إعظاما شديدا وكرهه"[3]، وبالتالي فإن العلماء المسلمين كرهوا ذلك لما تجري على المسلمين في البلاد المسيحية من أحكام الكفر والشرك حتى ولو قضت الحاجة بذلك:"... أن الحاجة إذا قضت للدخول لدار الحرب لأجل جلب الأقوات مع جريان أحكام الكفر على الداخل، فإن الدخول لا يباح لذلك"[4]، وفي المقابل نجد أن الشعوب المتوسطية المختلفة من إيطاليين وفرنسيين وإسبانيين وبرتغاليين ،فقد وجدوا في بلاد المغرب الأوسط القبلة الملائمة والمكان المناسب

---

[1] – محمد القبلي :مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر والتوزيع، مكتبة عالم الفكر ، الدار البيضاء،1986 ،ص59

[2] – إبراهيم القادري بوتشيش :الجاليات المتوسطية، ص77–87

[3] – مالك بن أنس: المصدر السابق،394/3

[4] – جعفر بن إدريس الكتاني: أجوبة عن حكم صابون الشرق والشمع وصندوق النار المجلوب من الكفار أو ما خاطه أهل الذمة، مخطوطات المكتبة الوطنية ، الرباط، ورقة 13، ظهر

لتنشيط حركتهم التجارية[1] ومن الواضح أن السلطات الحاكمة دعمت ذلك وسعت لربط العلاقات وتقويتها فيما بينها وقد يكون الدافع وراء تنميتها دبلوماسيا- عن طريق السفراء والهدايا- هو خدمة للعلاقة التجارية بين الطرفين[2] ، أما عن البدايات الأولى في العصر الوسيط لهذه العلاقات فالمصادر التاريخية لا تلي جانبا من الاهتمام لهذا الأمر إلا أنه من المرجح أن بداية الاحتكاك المسيحي (بعض المدن الإيطالية) بالمسلمين برز منذ القرن 4هـ/10م في المدن الساحلية بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ليعرف كثافة أكثر ابتداء من القرن 5هـ/11م حيث كان التجار من مختلف الأديان والمناطق يلتقون بالمغرب الأوسط مكونين بذلك ديناميكية جديدة في الحوض الغربي للبحر المتوسط خصوصا بعد النشاط الذي عرفته مختلف الجاليات المسيحية بالمنطقة من إيطاليين وبروفنسيين (الفرنسيين) والقطلانيين...[3]،وهذا راجع إلى انتعاش الحياة الاقتصادية بهذه البلدان المتوسطية ،حيث أصبحت التجارة ولا سيما الخارجية تمثل حجر الزاوية عندهم والتي خلقت طبقة من التجار المحترفين والذين شكلوا بدورهم العامل الرئيسي لنشاط القرنين 5هـ/11م و6هـ/12م الاقتصادي[4] وهذا بطبيعة الأمر أفضى إلى تكوين فائض وجب البحث عن أماكن لتسويقه ، ولما كان المغرب الإسلامي عامة أقرب المناطق إلى المدن الأوروبية (المسيحية) التجارية ، إضافة إلى وجوده في طريق الذهب فهذا دعا بالتجار المسيحيين إلى توجيه الأنظار إليه والعمل على المبادرة لعقد المعاهدات السلمية والتجارية مع حكامه[5] ، فقد شكلت معظم مدنه موقعا بين مفترق الطرق المتجهة لمختلف الأقطار ،إذ كان للقلعة وبجاية واجهة بحرية سمحت لهما بالترويج الواسع لمنتجاتهما[6] فالإدريسي وصف بجاية (460هـ/1067م):"...عين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة

---

[1] - إبراهيم القادري بوتشيش :الجاليات المتوسطية، ص77-87

[2] - جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق،ص235

[3] - لطيفة بشاري :نشاط البحرية الإيطالية، ص71

[4] - هنري بيرين: المرجع السابق،ص137

[5] - إبراهيم القادري بوتشيش : الجاليات المتوسطية ، ص80

[6] - موسى هيصام: المرجع السابق،ص39

إليها برا وبحرا مجلوبة ،والبضائع بها نافقة..."[1] وصف البكري القلعة على أنها مقصد للتجار وبها تحل الرحال من مختلف البقاع[2] وتعتبر هاتان المدينتان من أهم المراكز التجارية التي شهدت حركة تجارية واسعة منذ تشيديهما من طرف الحماديين إلى نهاية الدولة الحفصية والزيانية ،هذا ويضاف إليهما كل من تيهرت والمسيلة ،والجزائر ،ووهران ،وبونة ،وتلمسان وحتى قسنطينة...[3]،حيث اتسمت هاته الأخيرة في القرن 5هـ/11م بنهضة اقتصادية ونشاط تجاري دؤوب ساعدها في ذلك شبكة الطرق التي تربطها مع مختلف الاتجاهات والموانئ البحرية[4] ومع هذا فإنه لم يرد ذكرها في الوثائق الأوروبية إلا في القرن 8هـ/14م، حيث تعرضت البعض منها لتجار قسنطينة وطبيعة العلاقات التي جمعتهم مع المناطق المجاورة لها والدول الأوروبية على حد السواء، ففي سنة 753هـ/1354م توافد عليها مجموعة من تجار بيزة[5] وعموما فكما ذكر البكري "...وبها أسواق جامعة ومتاجر رابحة"[6] وبالتالي فإن توفر عامل القوة الاقتصادية للطرفين (المغرب الأوسط ودول أوروبا) ساهم في تطوير التعاملات بينهما فكان دافعا لاستقرار الجاليات الإيطالية والفرنسية والأراغونية والقطلانية بأرض المغرب الأوسط ،وقد كان لجمهوريات إيطاليا حصة الأسد من ذلك ليليهم الفرنسيون الذين عاصروا تقريبا المرحلة الأولى من ازدهار الحركة التجارية، ومن بعدهم القطلانيون الأراغونيون الذين شهد الحوض الغربي للبحر المتوسط في وقت متأخر سيطرتهم[7] ، ومن جانب المغرب الأوسط فمنذ القرن 5هـ/11م سعى الحماديون إلى الاهتمام بالبناء الحضاري للدولة عن طريق الانفتاح بشكل أوسع على العالم الخارجي موسعين بذلك حركتهم التجارية[8] ، حيث كان لهم مع الدول الأوروبية معاملات تجارية وقنصلية ونشطت

---

[1] – المصدر السابق ،ص 78

[2] – المغرب ،ص64

[3] – عبد الحميد حاجيات وآخرون: المرجع السابق،ص150

[4] – عبد العزيز فيلالي :مدينة قسنطينة ،ص46

[5] – مختار حساني :الموسوعة، 96/2

[6] – أبو عبيد الله البكري :المصدر السابق ،ص62

[7] – لطيفة بشاري :نشأة البحرية الإيطالية ،ص72

[8] – عبد الحليم عويس: المرجع السابق،ص120

بينهما حركة التصدير والاستيراد[1] إلا أنها كانت في معظمها تبدو ضعيفة بسبب الهجومات المتبادلة بينها وبين الجمهوريات الإيطالية[2] ،وقد برز التأثير السياسي على ذلك في الجهة الغربية للمغرب الأوسط إذ تحكمت علاقات المرابطين السياسية بالممالك النصرانية خاصة الإسبانية (الحروب) بالعلاقات التجارية ، حيث لم تعرف ازدهارا إلا في أوقات الهدنة ، وهذا ما جعلهم حسب باربور Barbour يتوجهون إلى التعامل مع صقلية والمدن الإيطالية إلا أن ذلك كان يشوبه بعض المخاطر[3] ،ولعل ما يفند قيام العلاقات بين المرابطين وأوروبا هو ما ذكرته الحوليات القشتالية حول العملات كالدينار المرابطي El Moravidi de ore، والدرهم الفضي El dinero de plata [4]،وقد تم تداولها كوحدة للتعامل في أوروبا المسيحية في سنة 558هـ/1162م ووصلت حتى أوروبا الغربية حيث عثر على دنانير مرابطية في حفائر De conp جنوب مدينة تولوز (Toulouse)، وفي فيرنو (Vernoux) وفي سانت رمان (Saint Roman)[5] ،وقد يرجع ذلك إلى ما امتازت به من الجودة وجمال النقوش واستخدام الذهب الخالص في الغالب الذي كان يتدفق للبلاد بواسطة الطرق التجارية الصحراوية[6]، ومنذ القرن 6هـ/12م زادت العلاقات التجارية ازدهارا وقوة بعد توحد المغرب السياسي عهد الموحدين الذين أصبحوا يملكون أسطولا قويا في البحر المتوسط يحمي القوافل البحرية ويدافع عن الموانئ التي كانت تستقبل السفن الأجنبية المحملة بالبضائع المختلفة وتعود محملة ببضائع المغرب المتنوعة وساد التعامل مع كل من جنوة وبيزا وصقلية وفلورنسا وإنجلترا وفرنسا[7] والملاحظ أن المغرب الأوسط في العصر الوسيط لم يعرف كثافة في التعامل التجاري مع الدول الأوروبية وإبرام معاهدات تجارية معها بمثل الكثافة التي شهدها

---

[1] – أحمد توفيق المدني :المرجع السابق ،ص196

[2] – رشيد بوروبية: المرجع السابق ،ص 150

[3] – عيسى بن الذيب :المرجع السابق، ص 396-397

[4] – Mas Latirie .op-cit. p90

[5] – عيسى بن الذيب : المرجع السابق ،ص397

[6] – صالح بن قربة :المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1986،ص ص589،531

[7] – حسن علي حسن :المرجع السابق ،ص287

في عصر الدويلات الثلاث (أي من القرن 7هـ/13م إلى القرن 9هـ/15م) ، ويرجع ذلك إلى القفزة النوعية التي عرفتها أوروبا في القرنين 7و8هـ/13و14م على المستوى التقني والاقتصادي[1] ،وقد أصبحت العاصمة الزيانية في هاته الفترة تمثل رواقا للبحر المتوسط وازدهرت التجارة بمدينة تلمسان فكانت سوقا كبيرة تستقبل السلع المستوردة لتموين سكان المنطقة وما زاد عن ذلك يذهب إلى مناطق أخرى[2] ،ونظرا لموقعها توفرت لها الأسباب لخوض غمار التجارة على جبهتيها الجنوبية الصحراوية والشمالية مع بلدان أوروبا خصوصا وأنها من أهم طرق التجارة[3] فالقوافل التي كانت تأتي من المغرب الأقصى قاصدة المغرب الأوسط والأدنى لابد من المرور بها والوقوف عندها وكذلك القوافل الآتية من إفريقية والمغرب الأوسط قاصدة المغرب الأقصى ،والآتية من السودان أيضا للمتاجرة مع أوروبا...[4] ،وبالنسبة للناحية الشرقية من المغرب الأوسط فقد مثل موقع بجاية هو الآخر أهمية كبرى في سهولة اتصال مدن المغرب الأوسط وموانئ البحر المتوسط خاصة خلال القرنين 7و8هـ/13و14م وكانت محطا للسفن الأوروبية[5] ،ويبرز صاحب الاستبصار ذلك بوصفه:" بجاية مرسى عظيمة تحط بها سفن الروم القادمة من الشام وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها"[6]،وما تلمسان وبجاية إلا مثال من بقية المدن باعتبارهما أهم المراكز التي تتبعها المدن الأخرى ،وعلى العموم فإن تعزز التواجد الأوروبي بالمغرب الأوسط خلال هاته الفترة كان إحدى اللبنات الأولى التي أرساها الأوروبيون للهيمنة فيما بعد على موانئ المغرب الأوسط[7] والجدير بالذكر أنه في ظل هاته الظروف التجارية للمغرب الأوسط فقد كانت المنافسة قائمة على أشدها بين الدول الأوروبية

---

[1] – مصطفى نشاط : ملاحظات حول المعاهدات التجارية المغربية في العصر المريني ،أعمال الندوة التجارية، 156/2

[2] – لطيفة بشاري : مكانة تلمسان التجارية ،ص26

[3] – عمر بلوط :المرجع السابق،ص47

[4] – محمد بن رمضان شاوش :المرجع السابق 21/2

[5] – مختار حساني :الموسوعة، 282/2

[6] – مؤلف مجهول :الإستبصار ،ص130

[7] – مصطفى نشاط :المرجع السابق، 166/2

المسيحية فيما بينها قصد الاحتكار التجاري بالمنطقة حيث تعددت الحوادث والخلافات بين الأطراف لاسيما بين الإسبان والجمهوريات الإيطالية[1] فبتتبع الوضعية التجارية لأهم الدول الأوروبية الجنوبية بغرب الحوض المتوسطي نلحظ تعزز الوجود التجاري الأراغوني بالمغرب الأوسط في فترات لاحقة من القرن (7هـ/13م) خاصة بعد تمكنها من السيطرة على بعض النقط الهامة على المستوى التجاري والاستراتيجي بالمنطقة مثل جزر البليار وصقلية ،وقد دفع هذا ببرنشفيك إلى الحديث عما أسماه "بالإمبريالية الأراغونية"[2] ،وقد اشتهرت من أقاليمها برشلونة منذ القرن 7هـ/13م بروحها الجريئة وبملاحيها الشجعان ، في حين نجد أن هذا الصراع تعدى حتى إلى النوع الداخلي إذ حاربت المدن الإيطالية بعضها البعض في البحر المتوسط بشراسة[3] ،ففي بداية القرن 7هـ/13م اشتد التنافس بين بيزة وجنوة والبندقية ونتج عن ذلك تقلص نشاطها التجاري مع مدن المغرب الإسلامي بشكل عام خاصة أثناء حملة لويس التاسع(623هـ-669هـ/1226م-1270م) الصليبية على تونس(669هـ/1270م)، والملاحظ أن الجمهوريات البحرية الإيطالية كانت مستقلة بعضها عن بعض وكانت لكل منها سياستها الخارجية، وعلاقاتها الخاصة مع بلاد المغرب الأوسط ،فقد اختلفت علاقات كل منها بحسب الظروف السياسية[4] ،كما أنه لا يمكننا إغفال حقيقة المتاجرة المغربية مع فرنسا التي ترجع إلى عهد علي بن يوسف المرابطي(500هـ -537هـ/ 1106م-1143م) حيث سعت مرسيليا وغيرها من المقاطعات إلى عقد صلات تجارية مع المغرب الأوسط[5] لتعرف في العصر الموحدي مستوى رفيعا حيث أن تجار مرسيليا رصدوا أموالا كثيرة في حقل التجارة والنقل[6]، إلا أنها تراجعت فيما بعد، ويرجع ذلك إلى الاهتمام بالأسطول العسكري والعمليات الحربية على حساب الأسطول التجاري عهد شارل دانجو

---

[1] – لطيفة بشاري :نشاط البحرية الإيطالية ،ص79

[2] – مصطفى نشاط: المرجع السابق 160/2

[3] – هنري بيرين :المرجع السابق،ص150

[4] – لطيفة بشاري :نشاط البحرية الإيطالية ،ص ص 13،15

[5] – إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص99

[6] – شارل أندري جوليان :المرجع السابق،ص161

ومن بين ماساهم أيضا ، Charles d'Anjou(665هـ -684هـ/1266م -1285م) بإضعاف التجارة المارسيلية بالمغرب الأوسط والحوض الغربي للمتوسط الهزيمة التي تلقتها الجيوش المارسيلية من طرف الأراغون سنة656هـ/ 1258م بلاس هارميغاس Las Harmigas بعرض السواحل الكاتالونية[1] ومن هنا نصل إلى أن التفوق الأراغوني الإسباني كان له دور بارز في تراجع تجارة بعض الدول الأوروبية بالمغرب الإسلامي عامة ليحتل بذلك صدارة المعاملات التجارية بدءا من القرن 7هـ/13م على الرغم من توتر العلاقات السياسية نتيجة التضامن الزياني مع مسلمي إسبانيا ،إذ كانت لغة الحرب تتغلب على لغة السلم والتعامل[2] التجاري وبصفة عامة فإن منتصف القرن 7هـ/13م شهد بداية تحول عميق في الجناح الغربي من البحر المتوسط ، حيث بدا واضحا التفوق المسيحي العسكري والتجاري خصوصا بعد استردادهم للقواعد البحرية الأمامية كسردينية وصقلية ،ومالطة...[3]،وقد ذكر ابن خلدون عظمة متاجرهم وأحوالهم "... فالذي نشاهده لهذا العهد من أحوال تجار الأمم النصرانية الواردين على المسلمين بالمغرب ،في رفههم واتساع أحوالهم أكثر من أن يحيط به الوصف"[4] ، وبالتالي فإن المغرب الأوسط القريب من أوروبا جغرافيا شكل مجالا اقتصاديا حيويا أمام بدايات التوسع التجاري الأوروبي نحو الأسواق العالمية [5].

أما عن حكم المتاجرة مع الدول النصرانية ، فيبدو أن النواهي الفقهية عن التعامل مع النصارى لم تشمل فقط عمليات الشراء، حيث كرهت البيع لهم أيضا، فجاء عن مالك أنه سؤل: عن التجار الذين ينزلون بالساحل ، هل يصح أن يشترى منهم بالدنانير والدراهم ، فقال مالكك أكره ذلك، فقيل له : إن في أسواقنا صيارفة منهم أ فنصرف منهم؟، قال أكره ذلك[6]،

1- مصطفى نشاط: المرجع السابق،160/2

2 – خالد بلعربي :المرجع السابق،ص265

3 – عبد العزيز العلوي :المرجع السابق ،263/2

4 – المقدمة ،ص288

5 – محمد المهناوي: دور التجارة الأوروبية في تعزيز الهياكل السياسية بمغرب القرن 16م من خلال نموذج السلاح الناري ،أعمال الندوة التجارية، 177/2

6- المدونة، 394/3

وقد نهى ابن الحاج عن معاملة المسلم للكافر"... فلا يمكن الاطلاع على صدقهم (أي النصارى)..."[1]، ويقول المغيلي في هذا الشأن: " والحاصل أنه لا يقرب كافرا من نفسه أو عياله، أو يستعمله في أعماله، أو يجعل بيده شيئا من ماله، إلا من لادين له، ولاعقل له، ولا مرؤة له ..."[2]، والأرجح أن الفقهاء تحرزوا من التعامل مع النصارى في بعض السلع التجارية التي قد تعود بالسلب على دول المغرب الأوسط، إذ ورد عن الونشريسي: "أن آلة الحرب وعدة الفرس وكل ما يستعان به على حرب المسلمين لا يجوز أن يبيعه سقطي ولا صقالي، ولا حدادي، ولا تاجر، ولا تجوز التجارة في شيء من ذلك ولا بيعه من أحد المسلمين"[3]، وهو ما جاء عن مالك:" أما مل ما هو قوة على أهل الإسلام مما يتقوون به في حروبهم من كراع أو سلاح أو خرثي ، أو شيئا مما يعلم أنه قوة في الحرب من نحاس أو غيره، فإنهم لا يباعون ذلك"[4].

إلا أن الأوضاع التجارية وطبيعة العلاقات التي جمعت المغرب الأوسط مع الدول المتوسطية تبين عكس ما جاءت به كتب الفقه.

وأمام هذا الواقع التجاري المغربي المسيحي، ماهي أهم المظاهر التي اتسمت بها هاته العلاقات؟

---

[1] – المدخل إلى تنمية الأعمال، 164/4

[2] – محمد بن عبد الكريم المغيلي: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح: عبد المجيد الخيالي، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت،1421هـ/2001م، ص23

[3] – المعيار المعرب، 67/6

[4] – المدونة، 394/3

أ-1/المعاهدات التجارية:

شهدت القرون الوسطى كثيرا من المعاهدات التجارية التي ربطت بين ساحل البحر الأبيض المتوسط وشماله وجنوبه ،ولم يقف اختلاف الدين بين الشاطئين حائلا دون عقد الصلات التجارية[1]، رغم أن المصادر الإسلامية لم توفر لنا المادة اللازمة لدراسة هذا الجانب ،وقد يرجع هذا إلى الموقف الذي كان يمليه مجرد التعامل مع أوروبا باعتبارها طرفا مسيحيا لا ينتمي إلى دار الإسلام[2]، وعلى عكس ذلك فقد زودتنا الكتابات الأجنبية بما يخدم هذا الجانب من الموضوع ،فالمطلع على الوثائق الأوروبية يجد مجموعة من الرسائل والتقارير التي تتعلق بالمبادلات التجارية والمراسلات الدبلوماسية على حد السواء.

المعاهدات مع الجمهوريات الإيطالية:

عمل أمراء المغرب الأوسط على إبرام معاهدات تجارية مع ملوك دول أوروبا[3] ،فنجد أنه على الرغم من الهجوم الذي شنته جنوة على بجاية في سنة 530هـ -531هـ/1136م إلا أن الأمور عادت بينهما إلى الاستتباب وتجسد ذلك في إبرام جنوة لمعاهدة مع بني حماد حيث أشارت المصادر لوجود تجار جنويين بالمنطقة اعتبارا من سنة 546هـ -547هـ/1152م[4] ، وكما ذكرنا سابقا فإن القوة التي عرفتها المدن البحرية الإيطالية في القرن 5هـ/11م ،وبصفة خاصة جنوة وبيزة وإلى حد ما البندقية ساهمت في ربط المعاهدات التجارية مع المغرب الأوسط خصوصا بعد النشاط الذي عرفه بني حماد أصحاب بجاية في هذا الجانب[5]، إضافة لهذا فإن الرعاية الخاصة التي حظي بها التجار النصارى بالمنطقة ساهمت في تدعيم الأواصر بين الطرفين ،فقد جمعت الناصر بن علناس الحمادي عدة مراسلات مع بابا روما

[1] - عبد الرحمن جيلالي :المرجع السابق،242/2

[2] - مصطفى نشاط :المرجع السابق،157/2

[3] - مختار حساني :موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية،294/2،286

[4] - الهادي روجيه ادريس: تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن10إلى القرن12م،ت:حمادي الساحلي،ط1،دار الغرب الإسلامي،لبنان ،1992 ،ص296-297

[5] - ممدوح حسين :المرجع السابق ،ص653-654

غريغوار السابع GrégoireVII تؤكد في مجملها على ضرورة استمرار العلاقة الطيبة بين بجاية وروما (إيطاليا)[1]، وهذا ما ساعد على تعميق الاتفاق الودي بين الحماديين والمركز البابوي ومدن الساحل الإيطالي ويرى غوتيه أن ذلك منح الرعايا المسيحين أمانا كاملا ومبالغة في تعميق الود[2] ، كما أن الناصر الحمادي أبرم أيضا معاهدة مع بيزا وخول لتجارها حق المتاجرة مع بلاده[3] ، وعموما فقد كانت إيطاليا بمدنها المختلفة أبرز الدول الأوروبية التي عقد معها الحماديون معاهدات تجارية دقيقة[4]، وقد ازداد إقبال أوروبا على تجارة المغرب الأوسط في النصف الثاني من القرن 5هـ/11م ،والقرن 6هـ/12م خاصة بعد نمو البحرية المرابطية وظهورها في حوض البحر الأبيض المتوسط حيث أصبحت تنافس النورمان والجمهوريات الإيطالية[5] ،ووصلت التعاملات مع الأخيرة إلى توقيع إتفاقيات وعلى وجه الخصوص بيزا وجنوة سنة 528هـ/1133م،533هـ/1138م، كان لها دور بارز في تطوير الحركة التجارية بين الطرفين ولا سيما بعد أن اكتفى المرابطون بأخذ العشر من تجار تلك المدن[6] ،ففي ظرف بضع سنوات أبرمت كل من بيزة وجنوة معاهدة مع المرابطين لمدة 10سنوات[7]، وبشكل عام فإن الحركة التجارية الإيطالية أصبحت أكثر انتظاما منذ النصف الأول من القرن 6هـ/12م بفضل المنشآت التجارية، وأكثر رسمية بفضل المعاهدات التجارية[8]، فقد عمل عبد المؤمن بن علي (الأمير الموحدي) على تنشيط التجارة الخارجية

---

1 – عبد العزيز فيلالي :دراسات ،ص60

2 – عبد الحليم عويس :المرجع السابق ،ص187

3 – يحي بوعزيز : موضوعات وقضايا، ص55

4 – أحمد توفيق المدني :المرجع السابق،ص184

5 – حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة،ص ص403،400

6 – Mas Latirie. Op-cit. p67-70

7 – الهادي روجيه إدريس :المرجع السابق،ص296

8 – لطيفة بشاري : نشاط البحرية الإيطالية ،ص73

ووضع لها أنظمة خاصة مدعما ذلك بعقد المعاهدات مع البندقية وجنوة...[1]، ومن أهم هذه المعاهدات:

. معاهدة سنة 552هـ/1157م مع بيزة ،قدمت فيها ضمانات تحمي حقوق الرعايا البيزين في بلاد المغرب الأوسط[2]

. معاهدة سنة 556هـ/1161م وقعتها مع جنوة وكانت تجديدا للمعاهدة المبرمة بين الطرفين في سنة 548هـ/1153م[3] ،وفيها تحددت الرسوم الجمركية على البضائع الواردة من جنوة فأصبحت 10% لواردات بجاية ،و 8%بالنسبة لغيرها[4].

. معاهدة سنة 563هـ/1168م كانت مع بيزا في عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف مدتها عشرون عاما[5].

. معاهدة سنة 581هـ/1186م وكانت تجديدا للمعاهدة السابقة عهد أبو يوسف المنصور لمدة 25سنة تضمن حرية الإتجار لبيزا في كل من وهران وبجاية[6]، وبموجبها استقبلت موانئ بجاية ووهران السفن التجارية الإيطالية ، كما تم وضع مكاتب خاصة بالديوانة لأخذ الضريبة على السلع الواردة والصادرة والتي قدرت بـ 10%[7] .

. معاهدة سنة 608هـ/1211م، وعقدت مع جنوة أيضا عهد الناصر الموحدي[8] ،وبفضل هذا تمتع الإيطاليون بحرية المتاجرة بالمنطقة بل ووصل بهم الأمر إلى حد الاستعانة بالخلفاء لحل ما يعترضهم من صعوبات مثلما حدث عام 577هـ/1181م في عهد أبي يعقوب يوسف

---

[1] – عبد الله علي علام: المرجع السابق ،ص255

[2] – نوارة شرقي :المرجع السابق،ص79

[3] – ممدوح حسين : المرجع السابق،ص654

[4] – حسن علي حسن :المرجع السابق،ص288

[5] – ممدوح حسين : المرجع السابق،ص654

[6] – Mas Latrie.op-cit p28

[7] – مختار حساني :موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ،267/2

[8] – عبد الله العروي : مجمل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، 1995م، ج1،ص187

حيث استصعب على عدد من تجار بيزا استخلاص جلود بجاية[1] ، وبالتالي فإن بجاية شكلت محطة هامة للتبادل التجاري بالإضافة إلى وهران وقسنطينة اللتين استطاعتا أن تستأثرا بالمعاهدات التجارية مع المدن الإيطالية ومارسيليا في القرن 6هـ/12م[2] .

مع مقاطعات فرنسا:

ومن جهة أخرى فقد سعت مارسيليا إلى عقد صفقات تجارية مع المغرب الأوسط منذ عهد علي بن يوسف المرابطي مستعينة في ذلك بجمهورية جنوة بعد أن عقدت معها معاهدة تجارية تقرر فيها : تأدية المرسيليون للجنويين تعويضات لمدة 10سنوات عن كل الخسائر التي قد تحل بهم (جنوة) إذا هم تمكنوا من عقد معاهدة سلمية لصالحهم مع علي بن يوسف[3] ومن جانبهم تعهد الجنويون بمساعدة تجار مارسيليا على الاستقرار في أرض المغرب[4]، غير أن علاقتهم بأرض المغرب الأوسط تعززت ابتداء من النصف الثاني للقرن 6هـ/12م حيث بدأ تجار مارسيليا وروسيلون Roussillon ومونبيليه بعقد معاهدات تجارية مع مدن المغرب الأوسط[5] ،وهذا ما تؤكده وثائق قانون بلدية مرسيليا المتعلق بتنظيم التجارة مع الضفة الجنوبية بالبحر الأبيض المتوسط ولاسيما تجارة الخمور مع مدينتي وهران وبجاية ،كما يوجد أيضا فصل من قانون بلدية مرسيليا صدر سنة 625هـ/1228م يقنن وينظم تجارة الخمور وبيعها في بجاية بالجملة وتباع للمسيحين فقط في دكاكين مخصصة لذلك[6] ،كما وقع آل مندوال Manduel بين609هـ -644هـ/1212م إلى 1246م عقدا بمرسيليا تضمن بيع بعض النقود العربية التي كانوا يضربونها في مونبيليه Montpellier إلى بجاية ووهران

---

1 – إبراهيم القادري بوتشيش :الجاليات المتوسطية ،ص89

2 – نوارة شرقي :المرجع السابق،ص80

3 – إبراهيم حركات :المرجع السابق،ص99

4 – الهادي روجيه إدريس :المرجع السابق،ص296

5 – إبراهيم القادري بوتشيش :الجاليات المتوسطية ،ص80

6 – عبد العزيز فيلالي :دراسات ،المرجع السابق،ص62

وتلمسان واستعانوا في ذلك ببعض اليهود[1] ، وهذا يدل على المكانة المتميزة التي تبوأتها مقاطعات فرنسا في المتاجرة مع مدن المغرب الأوسط[2]

<u>مع مدن إسبانيا:</u>

ومن الدول النصرانية التي جمعتها معاهدات أيضا مع المغرب في القرن 6هـ/12م دويلات إسبانيا ،حيث عقدت معاهدة مع النافار وليون عهد المنصور سنة 592هـ/1195م ،وذلك ما حذا بقشتالة إلى عقد هدنة مع المنصور[3] ، وبوجه عام فقد وصل عدد المعاهدات الموقعة خلال هذا القرن بين الموحدين والدويلات النصرانية إلى أكثر من 20 معاهدة خصوصا في الفترة الممتدة ما بين (609هـ - 638هـ/1212م -1240م)[4] .

أما إذا ما تعرضنا للقرون الموالية 7هـ/13م و8هـ/14م، و9هـ/15م فنجد أن البلاد عرفت ازدهارا كبيرا في عهد الدويلات الثلاث بمختلف أقطارها ومنها تلمسان التي ظلت مدة عدة قرون محطة ذات شأن كبير في الحركة التجارية[5] ،حيث استمرت العلاقات التجارية بين أوروبا ومملكة تلمسان والتي كانت تحددها معاهدات ذات نصوص واضحة ونذكر منها:

. معاهدة سنة 685هـ/1286م في عهد الأمير أبو سعيد عثمان والتي أبرمت مع مملكة أراغون[6] تعتبر من أهم المحاور التي أعادت تجديد العلاقات بين الطرفين بعد أن شهدت الفترة الممتدة ما بين 661هـ -663هـ/1262م -1264م توترات حادة على مستوى حوض البحر المتوسط جراء تزايد عمليات القرصنة المستهدفة للملاحة المغربية[7]، وهذا ما عبر عنه

---

[1] – شارل أندري جوليان :المرجع السابق،ص161

[2] – رضا رافع :العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى والعالم الخارجي في العهد الموحدي ، مجلة دراسات تراثية، العدد03 ،ص160

[3] – إبراهيم حركات :المغرب عبر التاريخ ،ص305

[4] – نوارة شرقي :المرجع السابق،ص80

[5] – محمود بوعياد :المرجع السابق ،ص34

[6] – رشيد بوروبية: المرجع السابق ،ص478

[7] – خالد بلعربي: المرجع السابق،ص266

ديفورك Dufourcq بأن حركة المد والجزر بين ربط الصلات التجارية وقطعها كان خاضعا للظروف الحتمية للمنطقة وطبيعة المصالح لا أكثر ولا أقل[1] .

. معاهدة سنة 740هـ/1339م في عهد أبي الحسن المريني وتم ذلك بمدينة تلمسان مع وفد ملك ميورقة ،وكذا مع ممثلي ملكي مونتبليه ورسيون ،وهي معاهدة ذات حدين أحدهما سياسي والآخر تجاري ، وقد نص الاتفاق بينهما على وجوب عدم التعرض بسوء من الجانبين لرعايا الطرفين وللبواخر الغريقة التي يملكها أحد الطرفين ،وفوض لرعايا ميورقة بالمتاجرة في أرض المغرب الأوسط ولكن منع عليهم أن يصدروا منه القمح والسلاح والخيل والجلود المملحة والمدبوغة[2] ،إضافة لهذا فإن السلطان المريني أبو عنان فارس عقد معاهدات صلحية مع دول البرتغال وقشتالة وأراغون وميورقة وصقلية وجنوة ،وقد كان من أثر المعاهدة مع جنوة خاصة أن تدفقت تجارتها على المغرب الأوسط وامتلأت بتجارهم دواوين أقطارهم ، وكما هو معروف فقد كانت تلمسان في تلك الفترة تحت سلطة المرينين لبعض من الزمن[3].

. معاهدة سنة 764هـ/1362م والمبرمة مع مملكة أرغونة في 25جوان 1362م بمدينة بيربينيون بين ملك أرغونة بطرس لوسير يمونيون (Pierre Le Cerémonieux) وسفيرين مفوضين يمثلان الملك أبا حمو موسى الثاني ، وكانت لمدة خمس سنوات ،وقد اشتملت المعاهدة على التزامات اتخذها كل من الملك الأراغوني وأبو حمو الزياني مرتبطة بصلاحياتهما[4]، وقد ركزت مضامينها على:

. حرية التجارة والإقامة والتنقل عبر البحر بكل أمان وحرية .

---

1 – Dufourcq Espagne. Op-cit. p147

2 – ابراهيم حركات :سياسة المغرب الخارجية في عهد بني مرين ، مجلة دعوة الحق، العدد 7،السنة 7،1383هـ/1964م،ص51

3 – محمد المنوني: ورقات من حضارة المرينين، ط3، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات ، المغرب،1420هـ/2000م ،ص143

4 – رشيد بورويبة وآخرون :المرجع السابق ،ص478

.عدم تقديم معونة من قبل الطرف المتعاقد إلى أعداء الطرف الآخر[1] .

وتجدر الإشارة هنا أنه كانت هناك مراسلة جمعت بين أبي حمو موسى الثاني وحاكم ميورقة سنة 791هـ/1389م إذ كان هذا الأخير يتلقى من التجار المسيحيين واليهود الميورقيين القماش ،إلا أن التبادل تم بواسطة السلطان المريني أبو العباس أحمد (784هـ – 795هـ/1387م–1393م)[2] حيث اشتراه ودفع ثمنه عينا بإعطائهم بضائع أخرى من مخازن بني زيان ،غير أنه بعودة السلطان أبو حمو لسدة الحكم طلب التعويض من الميورقيين بتسديد ثمن البضائع وهذا ما آثار حفيظة التجار الميورقيين الذين قاموا بالاحتجاج ويوجد بيانه في مستندات بالما(Archives Palama)[3] ولم تكن المعاهدات التجارية للدولة الزيانية خاصة بالسلاطين فقط بل كانت تتم حتى بين شيوخ القبائل حيث جمعت المبادلات بين إسبانيا والقبائل المتواجدة بأراضي الدولة حددتها بعض هاته المعاهدات ،وقد أكدت ذلك الوثيقة التي يعود تاريخها إلى سنة 900هـ/1494م التي تتعرض إلى توافد تجار إسبانيا على القبائل المجاورة لكل من هنين ،وهران والمرسى الكبير وتنس[4].

أما فيما يخص الأقاليم الشرقية للمغرب الأوسط والتي كانت خاضعة لحكم الحفصيين، فقد انتظمت فيها العلاقات التي جمعتها بالدول الأوروبية بمقتضى اتفاقيات عمومية صريحة واتسع نطاقها أكثر عما كان عليه إذ أنها بلغت أوجها خلال القرن 7هـ/13م[5] ،ولعل من أبرز المدن الأوسطية التي أبرمت المعاهدات بونة، مرسى الخرز (القالة)، قسنطينة وبالدرجة الأولى بجاية التي شملتها أغلب الاتفاقيات المبرمة للدولة الحفصية ،نذكر منها:

---

[1] – عمر بلوط: المرجع السابق ،ص45

[2] – بوزياني الدراجي: المرجع السابق،ص223

[3] – رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق ،ص480

[4] – مختار حساني :موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية،269/1

[5] – روبار برنشفيك :المرجع السابق،ص54

مع الجمهوريات الإيطالية:

. معاهدة سنة 629هـ/1231م مع البندقية في عهد أبو زكريا الحفصي وكانت مدتها أربعين سنة.

. معاهدة سنة 631هـ/1234م مع بيزا وكانت مدتها ثلاثين سنة .

. معاهدة سنة 633هـ/1236م مع جنوة مدتها عشر سنوات، وتضمنت في مجملها تنظيم العلاقات التجارية مع الجمهوريات الإيطالية[1].

. معاهدة سنة 648هـ/1250م مع جنوة أيضا وتضمنت السماح لتجارها بمزاولة عملهم مقابل دفع ضريبة سواء كانت ذهبية أو فضية في كل من تونس وبجاية، لكن الأمور اتخذت منحى آخر بعد الحرب الصليبية الثامنة ضد تونس 669هـ/1270م بقيادة لويس التاسع حيث أدى إلى سوء العلاقات بين الحفصيين والعالم المسيحي ومنع تجار جنوة من ممارسة نشاطهم التجاري ،كما منعت البندقية سفنها من التوافد على موانئ المغرب الأوسط[2] ،إلا أنها سرعان ما استؤنفت حيث أن أهالي بيزة الذين غادروا بجاية رجعوا إليها في ربيع 670هـ/1271م ،وعقدت معاهدتين :

. الأولى: سنة 670هـ/1271م مع البندقية بواسطة سفيرها داندولووسفير مدتها أربع سنوات .

. الثانية : سنة671هـ/1272م مع جنوة بواسطة سفيرها أوبيزون أدالاودو، مدتها عشر سنوات ، وقد حافظتا على البنود السابقة مع بعض التعديلات أو الزيادات الطفيفة[3] ،ولعل هذا كان تطبيقا لبنود معاهدة الصلح التي جمعت المستنصر الحفصي مع لويس التاسع بعد

---

1 – مختار حساني :الموسوعة،295/2

2 – المرجع نفسه،296/2

3 – روبار برنشفيك :المرجع السابق، ص ص 96،97

الحملة الصليبية إذ جاء من بين شروطها أن يكون للتجار النصارى المقيمين في كافة أقاليم الدولة دون استثناء حق معاودة مزاولة أعمالهم التجارية كما كانوا يمارسونها من قبل[1] .

. معاهدة سنة 713هـ/14سبتمبر1313م بين أبي زكرياء اللحياني والبيزيين ضمنها بجاية.

. معاهدة سنة 760هـ/9أفريل 1358م بين البيزيين وأمراء المغرب الإسلامي وشملت بجاية ،نصت على حرية المبادلات التجارية[2] ، ويبدو أن النشاط التجاري الإيطالي في أواخر القرن 7هـ/13م بدأ بالتراجع في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ،ويعود ذلك إلى ظهور القوة القطلانية في المنطقة وما سعى إليه ملوكها من توطيد علاقاتهم مع أمراء المغرب الأوسط[3].

المعاهدات مع إسبانيا:

عملت مملكة أرغونة على توطيد علاقاتها مع الدولة الحفصية حيث تعددت الوثائق التي تدل على الاتفاق التام بين الطرفين منذ سنة 757هـ/1256م([4])

. معاهدة سنة658هـ/4جوان 1259م بين الملك جانوا غيوم وإمارة بجاية.

. معاهدة سنة659هـ/30أوت 1260 مع برشلونة عهد الملك جاكوا الأول Jaques I،نصت على ربط العلاقات الدبلوماسية، وأن تدفع إمارة قطالونة لأمير بجاية 1200بيستاس bestaus فضية .

---

1 – ممدوح حسين :المرجع السابق ،ص338

2 – مختار حساني :الموسوعة ، 297/2

3 – لطيفة بشاري :نشاط البحرية الإيطالية ،ص76

4 – روبار برنشفيك : المرجع السابق ،ص 74-75

. معاهدة سنة672هـ /30أوت 1273م بين إمارة بجاية وبلنسية لمدة خمس سنوات وتضمنت دفع ضريبة جمركية خاصة بالتجار القطالونيين المتوافدين على بجاية وقسنطينة والجزائر ،وقدرت الأموال بـ 1300 regaux sauls بلنسي.

. معاهدة سنة673هـ/1309/05/08م بين أمير بجاية أبو زكرياء وجاكوا الثاني ملك أرغون وبلنسية وسردينيا وكورسيكا نافذة لمدة خمس سنوات.

. معاهدة سنة713هـ/28جويلية 1313م بين بجاية وبرشلونة([1])

. معاهدة سنة 714هـ/1314/01/17م بين جاكوا الثاني وأمير بجاية أبي يحي.

. معاهدة سنة 715هـ/1315/06/11م بين بجاية وبرشلونة ، وأمام كثرة هاته المعاهدات التي جمعت الطرفان نصل إلى أن عملية التبادل التجاري عرفت تحولا في الربع الأخير من القرن 7هـ/13م والقرنين اللاحقين ونتج عنه بروز طرف جديد وهم التجار القطلان[2].

مع مقاطعات فرنسا:

بالإضافة إلى هاته الدويلات المسيحية فقد كان للبروفنسيين (الفرنسين) أيضا –ولاسيما أهل مرسيليا– معاملات مع موانئ الدولة الحفصية[3] ،ولعل أهم معاهدة جمعتهم مع بني حفص هي:

. معاهدة سنة 669هـ/1270م وتعرف بمعاهدة الصلح بعد الحرب الصليبية على تونس والمقاطعات التابعة لها مدتها خمسة عشر عاما ،اهتم شقها الاقتصادي :باحترام رعايا

---

[1] – مختار حساني :الموسوعة، 2/295–296

[2] –ممدوح حسين :المرجع السابق ،ص257

[3] – جميلة مبطي المسعودي: المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621هـ وحتى سنة 893م، رسالة لنيل درجة الماجستير ، محمد المنسي محمود عاصي ، جامعة أم القرى ،المملكة العربية السعودية ،1461هـ/200م ،ص129

الطرفين وضمان المصالح التجارية الأوروبية بالأقاليم الحفصية[1]، وتعهد المستنصر بتوفير الحماية والأمن للتجار النصارى سواء المقيمين منهم أو الوافدين قصد التجارة ،وشرطت لهم المعاهدة ما لملوكهم من الحقوق والواجبات[2]، كما تحدثت الوثائق الفرنسية عن وجود مجموعة من المراسلات بين بجاية ومرسيليا كتلك المؤرخة بـ 693هـ/1293م[3]، والملاحظ أن العلاقات الإقتصادية مع فرنسا عرفت فتورا في النصف الثاني من القرن 8هـ/14م ، لكنها استؤنفت في أواخره ،وخلال القرن 9هـ/15م حيث عثر على نص رسالة وجهها شارل السابع إلى مدينتي بجاية ووهران سنة 861هـ/1456م وفيها طلب منهما عقد صلات تجارية والسماح للموانئ المغربية باستقبال البواخر الفرنسية مع ضمان سلامة الرعايا الفرنسيين[4]، وفي سنة 887هـ/1482م راسل الملك لويس الحادي عشر صاحب بجاية راغبا في ربط معاهدة تجارية بين البلدين فأجابه الملك الحفصي لذلك وضمن له أمن الأقلية الفرنسية المقيمة ببجاية[5]، وبصفة عامة فإن كل الامتيازات التي سمحت بها المعاهدات لكل طرف يظهر أن معظم البنود جاءت لتخدم الطرف الأوروبي المسيحي ، وتترجم ذلك التفوق الذي كان يميل لصالح التجار الأوروبيين ولا سيما عهد الدويلات الثلاث، كما تبرز مدى تمتع فئة التجار النصارى بحريتهم والحصول على مختلف حقوقهم[6].

---

[1] – محمد العروسي المطوي: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان،1406هـ/1982م ،ص210

[2] – ممدوح حسين :المرجع السابق ،ص336

[3] – مختار حساني :الموسوعة،294/2

[4] – إبراهيم حركات :المغرب عبر التاريخ،ص100

[5] – عبد الرحمن الجيلالي :المرجع السابق،74/2

[6] – مصطفى نشاط :المرجع السابق،163/2

أ -2/الموانئ البحرية :

وهي المواضع التي ترفأ فيها السفن, أي تجمع وتربط[1], وتعرف أيضا باسم المراسي ,وقد لعبت دورا كبيرا في ازدهار التجارة الخارجية, ولاسيما في تصدير واستيراد البضائع ذات القيمة الاستراتيجية[2], ومن أهم مراسي المغرب الأوسط ,التي كان يتم فيها التعامل مع الدول الأوروبية نذكر :

بجاية : تقع مدينة بجاية ما بين جبال شامخة تحيط بها , ويطل البحر عليها من ثلاث جهات في الشرق والغرب والجوف[3], فكما ذكر صاحب الاستبصار :"... البحر يضرب في سورها, وهذا الموقع الساحلي هو ما هيئ لها أن تكون موضعا لميناء ترسوا به السفن البحرية ",وهي مرسى عظيمة تحط فيها السفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم [4], وقد قال عنها العمري :"وبجاية حصانة عظيمة ومنعة ولها رفق كثير بمدخل السفن إليها من البحر[5]، كما ذكرها الإدريسي: "السفن إليها مقلعة, وبها القوافل منحطة, والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة ,والبضائع بها نافقة, وأهلها مياسير تجار[6], وتميز ميناء بجاية بحصانته الطبيعية, وقدرته على استقبال عدد كبير من السفن بالإضافة إلى وجود الوادي الكبير على مقربة من المدينة الأمر الذي ساهم في حماية السفن, كما ساهم وقوع بجاية على مقربة من جنوب أوروبا بتمتعها بحركة تجارية واسعة, سواء داخلية أو خارجية بالمدن المحيطة بها[7], فقد لعبت بمنفذها البحري دور الوسيط بين المغرب الأوسط و أوروبا وسائر مناطق العالم[8],وذكر الإدريسي ذلك بقوله " ولها أقاليم وأعمال ومزارع وبها الحنطة وسائر الحبوب

---

1 - محمد مكرم ابن منظور : المصدر السابق 425/13

2 - عبد الحميد حاجيات وآخرون : المرجع السابق ص 153

3 - محمد عبد المنعم الحميري : المصدر السابق ص 81

4 - مؤلف مجهول : الاستبصار ،ص 130

5 - المصدر السابق 174/4

6 - المصدر السابق : ص 97

7 - مريم محمد عبد الله جبودة : المرجع السابق ،ص 91

8 - موسى هيصام : المرجع السابق ص 86

موجودة وتخرج منها الى كل الأفاق في المواكب[1] وبذلك فإن بجاية شكلت ميناء رئيسيا لتوافد التجار المسيحيين[2] خصوصا وأن الرحلات القادمة إليها لم تكن بالطويلة وكمثال على ذلك صقلية التي تذكر المصادر الجغرافية أنه تربط بينهما مسافة ثلاث بحار :"...وبينها وبين صقلية ثلاث مجار وهي مرسى عظيم تحط فيه السفن من كل جهة "[3] وعند صاحب الاستبصار " بين بجاية وصقلية ثلاث بحار[4] وبصفة عامة فإن الموقع الهام لبجاية وما وفره من سهولة اتصال بمدن المغرب الاسلامي وموانئ البحر المتوسط قد ساهم في ازدهار الحياة التجارية بمنطقة الغرب الأوسط وساهم في تحسين العلاقات التجارية بين العالم الاسلامي والمسيحي خلال الفترة الممتدة بين القرن 6 هـ /12 م و 10 هـ /16 م[5] وليبرز الميناء ذا قيمة تجارية خاصة في العهد الحفصي باعتبار أن المدينة كانت ثاني أكبر مدينة حفصية بعد تونس وبالضرورة هذا ما جعل منها ميناء آمنا طبيعيا وبشريا مفتوحا على البحر متصلا بالبر[6]، ليصبح بذلك أكبر الموانئ البحرية بعد ميناء الاسكندرية على الضفة الجنوبية للبحر الابيض المتوسط[7].

القل : وهي مدينة قديمة فيها آثار كثيرة تقع على ضفة البحر المتوسط وهي مرسى مدينة قسنطينة [8] ، فقد كان تجارها يأخذون سلعهم ومنتوجاتهم المختلفة من زراعية وصناعية اليها والى غيرها من موانئ المغرب الأوسط [9] يصفها الوزان على أنها أغنى مدينة على ساحل مملكة تونس إذ أنها تحقق في تجارتها مع الجنويين أضعاف ما تعطيهم إياهم فتجارتهم رابحة

---

1 – المصدر السابق ص96

2 – زينب عبد الله أحمد كرير : المرجع السابق ص 136

3 – محمد عبد المنعم الحميري : المصدر السابق ص 81

4 – المصدر السابق ص 130

5 – مختار حساني: الموسوعة،282/2

6 – مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق، ص91-92

7– عبد الكريم عزوق: المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراة دولة، إشراف: عبد العزيز لعرج، جامعة الجزائر،2008/2007م ،ص7

8 – مؤلف مجهول: الإستبصار ، ص127

9 – فيلالي عبد العزيز: قسنطينة ،ص60

نظير ما يمتلكه أهلها من شمع وجلود كسلعة رئيسية للتبادل التجاري[1] وقد ذكرها الادريسي بقوله " والقل قرية عامرة وكانت في سالف الدهر مدينة صغيرة عامرة وهي الآن مرسى وعليه عمارات..."[2].

سكيكدة : مثلت هي الأخرى واجهة بحرية رئيسية بمدينة قسنطينة[3] والتي تبعد عنها بنحو خمس وثلاثين ميلا وكان ميناؤها أحسن الموانئ البحرية حيث يتوفر على منازل ومخازن للتجار المسيحيين ويمتد بينه وبين قسنطينة طريق مبلط بحجارة سوداء وحسب الوزان فقد أنشأت قرية أعلى جبل مجاور للمدينة يقيم بها حارس مهمته الاخبار بالسفن المتجهة الى الميناء[4] وقد برز الدور التجاري للميناء بفاعلية أكثر في القرن 9 هـ/15 جراء ما مثله من مستودع لمختلف السلع[5].

جيجل : مدينة قديمة على البحر لها سور قديم يضرب البحر فيه وعلى هذه المدينة جبل كتامة (زلدوي)[6] تقع على بعد 12 فرسخا من بجاية وموقعها ممتاز غير أن كل تحصينها أسوار قديمة[7] ،ويقول البكري (القرن 5 هـ /11م)عن مرساها :" ثم مرسى جيجل فيه آثار للأول وهو معمور اليوم... "[8] ، وكما ذكر الادريسي فإننا نجد بالمدينة مرسيين " لها مرسيان : مرسى منهما من جهة جنوبها وهو مرسى وعر الدخول إليه صعب لا يدخل إلا بدليل حاذق وأما مرساها من جهة الشمال ويسمى مرسى الشعراء فهو ساكن كالحوض حسن الإرساء به لكنه لا يحتمل الكثير من المراكب لصغره وهو رمل [9]

---

1 – وصف افريقيا،54/2

2 – الشريف الإدريسي: المصدر السابق،ص269

3 – مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق،ص39

4 – الحسن الوزان: المصدر السابق،54/2-55

5 – مختار حساني: الموسوعة ،44/2

6 – مؤلف مجهول: الإستبصار ،ص128

7 – مارمول كربخال: المصدر السابق،82/2،80

8 – أبو عبيد الله البكري: المصدر السابق،ص82

9 – الإدريسي: المصدر السابق،ص269، الحميري: المصدر السابق،ص184

بونة(*): مرسى ومدينة , وهي مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ومقدارها في رفعتها كالأربس(**)[1] وهي على ربوة مشرفة على فحوصها وقراها والبحر يضرب في سورها ويصفها صاحب نخبة الدهر بـ "بونة وهي في سن جبل ينبت بعد الخمسين وأربع مائة ولها نهر يجري من غربها ويصب في البحر..."[2] ، أما مرساها فهو من المراسي المشهورة يعرف باسم الأزقاق "وبونة في جون البحر يسمى جون الازقاق وهو صغير ربما عطبت فيه المراكب..." [3] ومن هنا فإن مرسى بونة على ما يمتاز به من الصغر إلا ان شهرته وصلت الافاق وهو غير مستور من ريح الشمال[4]، فقد ساهم موقع المدينة الهام واتصالها المباشر بتونس وقسنطينة في جعل مينائها يستقطب قسما كبيرا من التجار وبشكل خاص في عهد بني حفص [5] ولعل ما يستدل به على ذلك هو العلاقات والمعاهدات التجارية التي ربطتها بالجمهورية الايطالية وبجنوب فرنسا[6] وكان لهذا الميناء دور فاعل في تزويد خزينة الدولة بالمال فقد وصل مستخلصه في عهد بني حماد إلى ما يقارب العشرين ألف دينار (20 الف دينار) [7].

مرسى الخرز : غير بعيد عن بونة[8] بينه وبينها مسيرة ثلاثة أيام والخرز بفتح الخاء المعجمة والراء ثم الزاي مفرده خرزه يذكره الحموي بأنه موضع معمور على ساحل إفريقية [1]

---

* – مشهورة عند الكثير من الناس باسم بلد العناب لكثرته في ذلك المكان (وصف إفريقيا،61/2)، أما عن تسمية بونة فيقال أن المسيحيون هم من أطلقوا عليها ذلك بمعنى الجدية، لأن بها أجود الأراضي في بلاد البربر وأكثرها خصبا وأنقاهاهواءا، غير أن هذا الإسم عرفت به منذ القرن 5هـ/11م (موسوعة المدن ،11/2)

** – مدينة وكورة بإفريقية ، بينها وبين القيروان 3أيام من جهة المغرب، أكثر غلتها الزعفران(معجم البلدان، 136/1)

1– عبد الحميد حاجيات وآخرون: المرجع السابق،ص157

2– شمس الدين الأنصاري الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، مدينة بطربورغ،1281هـ/1865م،ص235

3– محمد بن عبد المنعم الحميري: المرجع السابق، ص105

4– مختار حساني: الموسوعة ،10/2

5– مريم محمد عبد الله جبودة : المرجع السابق،ص92

6 – سعيد دحماني: المرجع السابق،ص119

7 – عبد الحليم عويس: المرجع السابق،ص42، أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق،ص55

8 – الحسن الوزان : المصدر السابق،62/2

سمي بذلك لوجود المرجان في بحرها وهي مدينة مسورة[2] ، وأعتبر المرجان من خصائص هذا الاقليم اذ لا معدن به غيره[3]، ويذكر البكري أنه في القرن 5هـ/11م صنع بها مرفأ للسفن , حيث أنه فيها تنشأ السفن والمراكب الحربية التي تغزى بها الى بلاد الروم[4]، وقد كانت هاته المدينة خلال العصور الوسطى مشيدة على شبه جزيرة يحيط بها البحر من ثلاث جهات ويفصلها عن اليابس ممر صغير يتعطل المرور عليه خلال فصل الشتاء في حال اضطراب البحر الأبيض المتوسط[5] ولعل هذا ما يقصده البكري بقوله " وهي مدينة قد أحاط بها البحر إلا مسلك لطيف ربما قطعه البحر في الشتاء..."[6] و بالإضافة الى اعتبار هذا الميناء منطقة صناعية للمراكب الحربية والسفن فقد عرف بصيد المرجان وهو شجر في البحر مستحجر يخرج منه أبيض اللون فإذا ضربه الهواء أحمر وصلب أما عن استخراجه[*] فكان يتم في أغلب الاحيان بواسطة خمسون قاربا أو أكثر يعمل في كل منهما ما يقارب العشرين رجلا[7] ، حيث كان يجتمع التجار ويستأجرون أهل تلك المواضع على استخراجه من قعر البحر[8] ، إذ أنه ليس لأحد الحق في صيده من البحر أو التقاطه من الشاطئ[9] وكان مرسى الخرز يمد بيت المال الحمادي جراء عملياته التسويقية عشرة ألف دينار[10]، هذا ولم تكن أهمية المرسى مقتصرة فقط على استخراج المرجان فقط بل كانت من ضمن المدن

---

1 – معجم البلدان،106/5

2 – شمس الدين الأنصاري الدمشقي: المصدر السابق،ص235

3 – محمد بن أحمد المقديسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،دمشق، 1980، ص208

4– أبو عبيد الله البكري: المصدر السابق،ص55

5 – مختار حساني: الموسوعة ،23/2

6 – أبو عبيد الله البكري: المصدر السابق، ص55

* – يتخذ لاستخراجه صليب من خشب طوله قدر الذراع ويشد في طوله حجر يتراوح وزنه ما بين 50 و60 رطلا ، ويشد في حبل ، وعند اصطياده يبتعد عن الساحل قدر نصف فرسخ ، ليستقر ذلك الصليب في موضع المرجان (معجم البلدان،106/5)

7– عبد الحميد حاجيات وآخرون: المرجع السابق،ص157

8 – ياقوت الحموي: المصدر السابق،106/5

9 – الحسن الوزان : المصدر السابق،62/2

10 – عبد الحليم عويس: المرجع السابق،ص42

التجارية التي يتوافد عليه تجار أوروبا وعلى الخصوص عهد بني حفص الذين تسامحوا مع الدول الأوربية وعقدوا معها اتفاقيات تجارية[1]، فقد تحصل الجنويون على بناء حصن في موقع مرسى ابن الالبيري 804 هـ/1401 م بغرض الوقاية من غزوات منافسيهم المتوسطيين[2]ومن هنا فان هاته المدن شكلت أهم المراسي الشرقية للمغرب الأوسط في حين نجد أن الجهة الغربية من البلاد ارتبطت معظم مرافئها بمدينة تلمسان باعتبارها النقطة التي تلتقي فيها الطرق التجارية الرئيسية التي تربط افريقية بالمغرب الاقصى من جهة وبين البحر الابيض المتوسط والصحراء من جهة أخرى فقد شكل موقعها المنتهى والمنطلق في نفس الوقت لطرق التجارة مكانة قيادية في التجارة بالمنطقة ولا سيما اذا ما تعلق الامر بالدولة الزيانية[3] ومن أهم موانئها :

ميناء هنين: يقع على بعد 45 كلم من تلمسان[4]، وهو ميناء صغير محروس ببرجين كل واحد منهما في جهة وتحيط بها أسوار عالية متينة لا سيما من جهة البحر[5] وقد وصفه البكري "بالجيد المقصود" لما يتوفر عليه من بساتين وضروب ثمر[6] ومرساه مقصود وله بساتين كثيرة[7] وقد كان في البداية عبارة عن حصن ثم تحول فيما بعد الى ميناء حتى أصبح في القرن 6 هـ/12 م مدينة بها أسواق مزدهرة ومركز الصناعة السفن[8] ليتطور أكثر عهد بني عبد الواد حيث يتوافد عليه مجموعة من تجار أوروبا قصد المعاملات الاقتصادية وكانت لهم فنادق بالمدينة [9] كما أن تجار تلمسان كانوا يقصدونه بغية التعامل مع تجار

---

1 – مختار حساني: الموسوعة،1/27–28

2 – سعيد دحماني: المرجع السابق،ص120

3– رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق،ص 478

4 – عمر بلوط : المرجع السابق،ص47

5 – الحسن الوزان: المصدر السابق،2/15

6 – أبو عبيد الله البكري: المصدر السابق،ص80

7 – مؤلف مجهول: الإستبصار ،ص180

8 – عمر بلوط : المرجع السابق،ص47

9 – حساني مختار : الموسوعة،1/235

البندقية وهذا ما جعلها مدينة آهلة بالسكان[1]وقد ذكر الوزان أن السفن الشراعية القادمة من البندقية المتجهة نحو هنين كانت تأتي بشكل سنوي وتحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان [2] وبالتالي فقد مثل هذا الميناء أحد أهم المراسي الممولة بمدينة تلمسان .

ميناء وهران : تقع على ضفة البحر وهي ميناءان : ميناء وهران وميناء المرسى الكبير[3] ولأن ميناء وهران لم يكن محميا من الرياح والعوامل الطبيعية فقد اعتمدت مدينة وهران ميناء المرسى الكبير الذي يبعد عنها بميلين فقط وقد كانت العلاقة بين المينائين علاقة تكامل باعتبار ان مرسى وهران يعتمد ويتوفر على المياه التي يحتاجونها بكثرة[4]، ولعل ما يبرز هاته العلاقة ما ذكره كربخال عن المرسى الكبير "مرساها من أجمل مراسي إفريقيا وأعظمها كانت ترسوا به كل عام السفن الضخمة القادمة من البندقية وغيرها من بلاد أوروبا حاملة البضائع التي تنقل بعد ذلك على قوارب الى وهران حيث تتفق تجارتها"[5]، فقد كان يختلف اليهما عدد وافر من تجار جنوة والبندقية حيث يتعاطون تجارة نافقة[6] ومنذ القرن 7 هـ /13 م أصبح يستقبل سفن مدينة برشلونة وبفضل هذين المينائين (وهران والمرسى الكبير) صارت وهران المدينة تشكل مركزا هاما للتبادل التجاري بين الدولة الزيانية ومدن شمال البحر الابيض المتوسط[7]، ومما ساعدها أيضا على كونها أحد المركز الرئيسية هو موقعها، إذ أن ميناء وهران كان يتوسط موانئ الغرب الجزائري مثل تنس ومستغانم وأرزيو وأرشجول و وهنين

---

[1] – مارمول كربخال: المصدر السابق،296/2

[2] – الحسن الوزان: المصدر السابق،15/2

[3] – مؤلف مجهول: الإستبصار ، ص133

[4] – عمر بلوط: المرجع السابق،ص48

[5] – المصدر السابق،327/2

[6] – الحسن الوزان: المصدر السابق،9/2

[7] – عمر بلوط: المرجع السابق،ص48

وغيرها ولذا كانت السفن القادمة من الغرب و الشرق تتوقف بها[1]، وقد حافظت على مكانتها الى أواخر القرن 10 هـ / 15 م حيث سقطت في يد الملك الكاثوليكي فرناندو[2].

تنس : مدينة بقرب مليانة بينها وبين البحر ميلان وهي مسورة حصينة ويخرج عنها في كل الأفاق في المراكب[3]، ويذكر صاحب الاستبصار في القرن 6 هـ / 12 م أن بها أسواقا حفيلة وكثيرة فهي كثيرة الزروع رخيصة السلع [4]، وكانت بها تجارة واسعة مع الأجانب إذ كان ميناؤها يستقبل السفن الأوروبية[5]، وقد ازدهرت بها التجارة البحرية وأدى ذلك الى تطور المدينة في كل المجالات[6].

_ مينائي برشك وأرزيو : برشك مدينة قديمة على ساحل البحر المتوسط[7]، تقع على بعد 36 ميلا من مدينة تنس وأحيانا ما يستقبل ميناءها سفن من الدول الأوروبية[8].

أما ميناء أرزيو فهو صغير وقد اشتهر بنشاط تجارة الحبوب[9]، ويذكر كربخال أنه كان يقابله مرسى آخر يعرف بأرزيو الجديدة كان يرسو بها عدد من سفن النصارى محملة ببضائع أوروبا على عهد بني زيان[10]

أرشجول[*] : وهي على نهر تافنى وهو نهر كبير فيه السفن و المدينة قريبة من البحر وهي ساحل تلمسان[1] ويذكر البكري أنها كانت تدخلها السفن اللطاف وكانت آهلة بالسكان منهم التجار [2]

---

1 – مختار حساني: الموسوعة،237/1

2 – الحسن الوزان: المصدر السابق،9/2

3 – محمد بن عبد المنعم الحميري: المصدر السابق،ص138

4 – المصدر السابق،ص134

5 – مارمول كربخال : المصدر السابق،354/2

6 – عمر بلوط: المرجع السابق،ص49

7 – الحسن الوزان : المصدر السابق،32/2

8 – الإدريسي: المصدر السابق،ص57

9 – عمر بلوط: المرجع السابق،ص49

10– مارمول كربخال: المصدر السابق،349/2

جزائر بني مزغنة : تقع على ضفة البحر والبحر يضرب في سورها وهي قديمة البناء ويتصل بها فحص كبير يسمى فحص متيجة[3] ، سميت الجزائر لمجاورتها لجزر ميورقة ومنورقة واليابسة وهي كبيرة جدا أسوارها رائعة ومتينة[4] ، يصفها البكري بـ"...وهي مدينة جليلة قديمة البنيان " أما مرساها فهو مأمون وله عين عذبة يقصد اليها أهل السفن من مختلف الاقطار[5] ويقع بجوار متيجة كان يرتاده تجار النصارى حيث كانت أساطيل البندقية وفلورنسا ترسو فيه كل سنة وبقيت كذلك حتى القرن 9هـ/15 م وقد أكسب الميناء المدينة مكانة و أهمية بالغة[6].

شرشال: تقع في ناحية برشك ويفصل بينهما عشرون ميلا وبينها وبين الجزائر سبعون ميلا[7]، وقد ذكر البكري مرساها بـ "... ثم مرسى شرشال وعليه مدينة عظيمة للأول غير مسكونة وله أحساء ماء يكون بشرقيه وغربيه " أي بمعنى أن ميناءها يمتاز بوفرة مياهه[8] ويعتبر من أهم الموانئ التي كان لها دورا بارزا في العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط ودول أوروبا لا سيما عهد الزيانيين، وقد كانت تقصده ولاية مليانة بمنتجاتها لتصدر بواسطته وقد زادت أهميته أكثر بعد أن استقل أحمد بن يوسف بمدينة مليانة عهد السلطان أبو حمو موسى الأول[9].

---

* – تقع على بعد نحو 14ميلا من تلمسان ، وصف إفريقيا، 16/2

[1] – مؤلف مجهول : الإستبصار ،ص134

[2] – المصدر السابق،ص77

[3]– مؤلف مجهول : الإستبصار ،ص132

[4] – الحسن الوزان: المصدر السابق،37/2

[5] – المصدر السابق،ص66

[6]– عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، المدية، مليانة، دراسات وأبحاث،ط2، مطبعة صاري بدر الدين وأبنائه، الجزائر ،1392هـ/1972 ، ص127

[7]– محمد بن عبد المنعم الحميري: المصدر السابق،ص340

[8] – المصدر السابق،ص81

[9]– مختار حساني: الموسوعة117/3

وبداية الموانئ المغربية في العصور الوسطى كانت عبارة عن أساطيل قوية ابتناها السكان لحماية سواحلهم الممتدة من غارات الفرنجة والروم[1] ، وقد ذكر ذلك ابن خلدون بقوله "...والساكنون بسيف هذا البحر وسواحله من عدوتيه يعانون من أحواله ما لا تعانيه أمة من أمم البحار. فقد كانت الروم والإفرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي، وكانت أكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن، فكانوا مهرة في ركوبه والحرب في أساطيله. ولما أسف من أسف منهم إلى ملك العدوة الجنوبية، مثل الروم إلى إفريقية والقوط إلى المغرب، أجازوا في الأساطيل وملكوها وتغلبوا على البربر بها، وانتزعوا من أيديهم أمرها"[2]، أما عن تجهيز ميناء العصور الوسطى فقد كان يتكون من أرصفة خشبية متواضعة مزودة برافعة أو رافعتين بجانبها تستطيع ان ترسو سفن تتراوح حمولتها من 200 الى 600 طن[3]، وقد يرجع ذلك بالدرجة الاولى الى حجم الميناء وسعته وتوضع في الموانئ زناجير كبيرة تشد بها السفن وتثبت إما على أطراف الاعمدة أو في وسط السارية[4].

أما عن الدور الريادي للموانئ المغربية فكان يكمن في سير عمليات التصدير والاستيراد وهذا ما نصت عليه الاتفاقيات والمعاهدات وكانت هذه المبادلات في الغالب تتم على عاتق التجار الأوربيين بحكم تفوق أسطولهم التجاري[5].

وبعد أن كان الوجود التجاري المسيحي خلال القرنيين 5هـ و6 و7 هـ / 11م و12 م و13 م يقتصر على الموانئ أصبح يتغلغل نحو الداخل منذ بداية القرن 8هـ / 14 م وعموما فإن

---

[1] – أنور عبد العليم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،1979،ص77

[2] – المقدمة ، ص193

[3] – هنري بيرين: المرجع السابق،ص138

[4] – أنور عبد العليم: المرجع السابق ،ص78

[5] – مصطفى نشاط: المرجع السابق،164/2

أهم ما ميز التجارة المسيحية في المغرب الأوسط هو ارتكازها واعتمادها على الموانئ البحرية خصوصا وأنه كانت على اتصال بالمدن القوافلية الداخلية[1]

1 – عبد العزيز العلوي: المرجع السابق،267/2

أ-3/المبادلات التجارية :

إذا ما رجعنا إلى تعريف التجارة فنجد أنها قائمة على شراء السلع وبيعها وهو ما نسميه بالتبادل التجاري ، وبالتالي فإن حركة الاستيراد والتصدير تمثل أهم أساسيات التجارة ولاسيما الخارجية منها .

وقد بدأت تجارة العصور الوسطى كتجارة في السلع الكمالية المرتفعة القيمة أي أنها تجارة تجلب ربحا كبيرا لحمولات خفيفة، وظل هذا المظهر الغالب عليها[1] ، ونلاحظ أن المبادلات في البداية كانت خاضعة للمبادرات الفردية التي شجعتها السلطات المحلية غير أنها عرفت نشاطا أكثر نتيجة بعض الحوافز كالحروب الصليبية ،وظهور القومونات[2].

الصادرات: كان المغرب الأوسط يصدر منتجات متنوعة نحو البلاد الأوروبية وغيرها من الأقطار، ولا سيما أن الغرب المسيحي مثل أكبر مستفيد من الحركة التجارية ،حيث أن التجار الأجانب أصبحوا يستحوذون على مختلف السلع وموارد المغرب الأوسط ،ووصل الأمر إلى أن لعبوا دور الوسيط بين المغرب الأوسط وغيره من البلدان[3]، أما عن أهم السلع التي كانت تأخذها الدول الأوروبية من أرض المغرب الأوسط فقد ارتكزت على المنتوجات الفلاحية والصناعات التقليدية[4] ،ومنها زيت الزيتون التي اشتهرت به بجاية ،والحبوب على مختلف أنواعها أهمها القمح والشعير [5]، حيث كانت الدول المسيحية تستورد كمية هامة منها، ومثلت مدينة مليانة أحد أهم المدن المنتجة لها وكان يتم نقلها عن طريق ميناء شرشال إلى ميورقة وأرغون وغيرها من المناطق الأوروبية[6]، وتذكر الوثائق الأجنبية أن تجار البندقية كانوا يأخذون الحبوب من ميناء هنين نحو الأندلس والدول الأوروبية ،كما كان يؤخذ منها

[1] – هيرين بيرين: المرجع السابق،ص138

[2] – لطيفة بشاري: نشاط البحرية الإيطالية ، ص82

[3] – عبد العزيز العلوي :المرجع السابق،264/2

[4] – مختار حساني: الموسوعة،97/2

[5] – عبد الحميد حاجيات وآخرون: المرجع السابق،ص151

[6] – مختار حساني: الموسوعة، 123/3

مختلف الثمار[1]، فقد تحدث الوزان عما تنتجه من كميات وافرة من غراسة الثمار كالكرز والمشمش والتفاح والإجاص والخوخ وما لا يحصى من التين والزيتون[2] ، إضافة لهذا شكل العسل والزيوت بأنواعها أحد أهم صادرات المغرب الأوسط طيلة العصور الوسطى[3]، كما تم كذلك تصدير التمور ومادة الشمع التي تأتي من بونة وقسنطينة وبجاية إلى جنوة وبيزا والبندقية[4]، والثروة البحرية من أسماك مجففة وأسماك التونة المتواجدة بالمدن الساحلية، وقد كان للجنويين السبق في احتكار تجارتها[5] ،إذن فإن هاته المنتجات تمثلت في السلع الغذائية اليومية وبالتالي فهي صادرات كمالية وكما يذكرها صاحب الإشارة في محاسن التجارة :بالأقوات وما يجري مجراها الحنطة ،وقد يرجع السبب في استيراد الدول المسيحية لهاته الأقوات نظرا لما تتميز به المنتوجات الفلاحية من عناية وصيانة ،حيث امتازت في ذلك كل منطقة عن الأخرى قدر ما جربوه وعرفوه[6]، هذا وقد كانت المواد الأولية تمثل أحد أهم صادرات المغرب الأوسط كالقطن[*] الذي ظل يعتبر من المحاصيل الرئيسية بالمغرب الأوسط حتى القرن10هـ/16م وكان أهل البندقية يستوردون منه كميات كبيرة ولا سيما من وهران[7] و اشتهرت بإنتاجه أيضا النواحي الجنوبية من المنطقة وكان جزء هام منه يباع لتجار برشلونة الذين كانوا يتوافدون على قسنطينة وغيرها من المدن الأوسطية[8]، وكما سبق الذكر فقد تخصصت بعض الموانئ الساحلية كمرسى الخرز وبونة في تصدير المرجان منذ القرن 7هـ/13م ، وكان يباع بالقناطير بأنواعه المختلفة[9] ، ضف إلى ذلك فإن السفن

---

1 – المرجع نفسه، مدن الغرب،ص236

2 – الحسن الوزان :المصدر السابق،15،16/2

3 – بوزياني الدراجي: المرجع السابق،ص215

4 – Mas Latrie. Op-cit. p218

5 – مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق ،ص146

6 – جعفربن علي الدمشقي :الإشارة إلى محاسن التجارة، مكتبة جامعة الرياض، قسم المخطوطات ،ورقة 16،ظهر

* – تعرف جودته في العدل عند وزنه ، فكلما كان أخف دل على قلة الحب فيه ، ويتميز بالبياض والنقاء واللين، المخطوط نفسه،

7 – عبد الرحمن حاجيات وآخرون :المرجع السابق،ص151

8 – مختار حساني: الموسوعة،97/2

9 – عبد الحميد حاجيات وآخرون: المرجع السابق، ص152

الأجنبية كانت ترجع إلى بلدانها من الجمهوريات الإيطالية و صقلية وإنجلترا وفرنسا محملة بالغنم والأصواف[1] واللتان تعرف جودتهما بالنقاء واللين[2] حيث أن السلع الحيوانية هي الأخر تصدر إلى الخارج مثل الحرير والأكسية[*] والجباب الصوفية وغيرها[3] ، فنجد أن سكان البلاد اعتنوا بتربية المواشي جراء اشتداد الطلب على أصوافها وأوبارها وجلودها من قبل التجار الأجانب ، وقد اشتهرت في ذلك بشكل خاص وهران وتنس وشرشال ومستغانم أما أسعارها فتختلف حسب النوعية والجودة ، وقد اشتهرت الدولة الزيانية بتصدير جلودها[4] إذ وصلت لميناء شرشال سنة 661هـ/1262م سفن برشلونية تم بواسطتها نقل الأصواف والجلود لبرشلونة[5] .

ونظرا لما كانت تكتسيه الصناعات التقليدية من إقبال لدى أهالي البلاد ولا سيما منها النسيج ، فإن التجارة فيها نافقة رائجة[6] فقد وصف الوزان مدينة وهران بأن معظم سكانها من الصناع والحاكة جمعتهم مبادلات مع التجار القطلونيين والجنويين[7] وقد اشتد إقبال التجار الأوروبيين على الأغطية والزرابي والبرانس والحنابل التي امتازت بألوانها الزاهية وعلى الخصوص ذات اللون الأحمر واشتهرت بنسجها قسنطينة والقبائل المجاورة لها[8] والمقاطعات التابعة لتلمسان عهد بني عبد الواد حيث كان تجار البرتغال يتوافدون على وهران بغرض الحصول عليها وقد شجع الخلفاء الزيانيون ذلك[9] ومن جملة الصادرات المغربية أيضا

---

1 – حسن علي حسن :المرجع السابق،ص287

2 –جعفرين علي الدمشقي: المصدر السابق، ورقة 14، وجه

* – امتاز القماش بالرقة والجمال سواء المصنوع من الحرير أو القطن، موسوعة المدن،97/2

3 – موسى هواري :تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين ،مذكرة لنيل درجة الماجستير، إشراف محمد بن عميرة قسم التاريخ، جامعة الجزائر ،2008–2009م،ص180

4 – مختار حساني :الموسوعة، 268/1،236

5 – المرجع نفسه،117/3

6 – عبد الرحمن الجيلالي :تاريخ الجزائر العام ،242/2

7 – المصدر السابق،30/2

8 – مختار حساني: الموسوعة،297/2

9 – المرجع نفسه،268/1

الأعشاب المستعملة كأدوية كزهر شقائق النعمان(*) الذي يلتقط ويجفف ثم يباع للعشابين وتصدر كمية منه للدول المتوسطية ، ومن ذلك أيضا الدواء المعروف باسم تيفنصدص وهو عبارة عن أعواد صغيرة يميل لونها للبياض ، يستعمل في معالجة داء المفاصل[1] ومن هنا فإن صادرات المغرب الأوسط كانت قائمة على ما ينتجه صناع وفلاحو القطر من مواد زراعية ومعدنية وصناعية ، ويضاف لها البضائع التي كانوا يستوردونها من الأقاليم الصحراوية (من بلاد السودان) وكان الذهب في مقدمتها[2] إذ أنه مثل أهم السلع التي جلبت التجار المسيحيين عامة والإيطاليين خاصة لموانئ البلاد والتي يصدر منها لمختلف أسواق إيطاليا[3] فبتعاظم القوة الاقتصادية لأوروبا في حدود القرن 7هـ/13م ، وبفضل استئناف الذهب في إيطاليا، وفيما بعد دول أوروبية أخرى (صك العملة)(**)، كان من الطبيعي أن يتجه الإهتمام المسيحي نحو أرض المغرب التي تمثل سوقا رائجة لمجموعة من السلع التي تفتقر لها أوروبا وتحتاج إليها بإلحاح وخاصة تلك القادمة عبر الصحراء ولم تقتصر على الذهب فقط، بل الصمغ والشب والعاج والعبيد[4]، وبالتالي فقد كان للمغرب الأوسط في مد أوروبا الغربية بحاجياتها من الذهب السوداني في القرنين 7هـ/13م و 8هـ/14م وكان هذا الأخير يصدر على هيئة تبر أكياس كبيرة وصغيرة محددة السعة وكذا على شكل سبائك وأحيانا ضعف دنانير، وضف لذلك أيضا العملات والمنسوجات المطرزة بالذهب، وبذلك صار بإمكان كل البلدان التي كانت على علاقة مباشرة بالمغرب الأوسط والدول المتعاملة معه (إيطاليا، إسبانيا، البرتغال) العودة إلى ضرب نقود الذهب[5] خصوصا بعد أن أصبح الأوروبيون عامة والإيطاليون خاصة طيلة القرن 9هـ/15م يراقبون جزءا كبيرا من هاته التجارة

---

* – يستعمل كدواء للسعال المزمن وللداء المعروف بأبي حمرون (الحصباء)

[1] – محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق ،ص23

[2] – محمد بوعياد: المرجع السابق،ص35

[3] – لطيفة بشاري: نشاط البحرية الإيطالية،ص74

** – عام 650هـ/1252م استأنفت كل من جنوة وفلورنسا سك عملة الذهب بعد أن كان متوقفا منذ القرن 3هـ/9 م في مجموع الغرب المسيحي ، عبد العزيز العلوي: المرجع السابق، 277/2

[4] – عبد العزيز العلوي: المرجع السابق،265/2

[5] – مختار حساني: الموسوعة،279/2

في تلمسان وميناءها ،وهران وهنين وغيرها من المناطق[1]، وتعدى الأمر إلى أن أصبح الجند المرتزقة في حد ذاتهم يتعاطون تجارة الذهب نظرا لما شكلته تلمسان من نقاط جذب للتجارة الصحراوية[2] فالسلطان الزياني أبو حمو موسى كان يقول: " لولا الشناعة لم أنزل بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كان أمر الدنيا له تبع ومن سواهم يحمل منها الذهب ويأتي إلينا بما يضمحل عن قريب ويذهب منه ما يغير من الفوائد ويجر السفهاء للمفاسد"[3]، وعموما فإن تجارة الذهب قد عادت على المغرب الأوسط بثروة عظيمة ،ونلمس ذلك من الرسالة التي كتبها الأمير الزياني أبو تاشفين الأول إلى جاك الثاني Jacques2 ملك أرغونة وجاء فيها: "إذا قبلتم بشروطنا سوف ينعقد السلام بيننا وبينكم وإذا كنتم في حاجة إلى أن نقرضكم الذهب سنفعل شرط أن تمنحونا ضمانات على ذلك وإن لم تقبلوا شروطنا فإن المعاملات بيننا ستتوقف"[4] ،وإضافة للذهب فقد اكتست الجلود والتوابل السودانية أهمية كبيرة في الواردات الأوروبية ، فقد عدت التوابل مادة جديدة بدأ التجار المسيحيون يستوردونها من المغرب في القرن 8هـ/14م ، وقد كان الأخوان المقري في ولاتة يرسلان كميات منها إلى شقيقيهما في تلمسان ومنها كانت تصدر إلى أوروبا حتى فلاندرا[5]، ويذكر أنه سنة784هـ -785هـ/ 1382م- 1383م قايض السلطان المريني أبو العباس أحمد حين استيلائه على تلمسان ،أزارا وأغطية بفلفل غينيا[6] ، كما مثل الشب[*] مادة مهمة من البضائع التقليدية التي تقتنيها أوروبا، ففي سنة 647هـ/1249م صدر يغمراسن ما

---

1 – لطيفة بشاري: نشاط البحرية الإيطالية ،ص74

2 – Dufourcqe. L'Espagne. Op-cit. p371

3 – أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، 5،206/1968

4 – رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق،ص487

5 – عبد العزيز العلوي: المرجع السابق، 2070،272/2

6 – Dufourcqe .Commerce du Magreb médiéval avec L'Europe Chrétienne et marine musulmane .données connues et problèmes en suspens extrait du cahier d histoire .T.I .actes du congrès histoire et de civilisation du Maghreb.Tunis.1974.p165.183

* – يستعمل في صناعة النسيج، إذ أنه كان لزاما لتثبيت الصناعة في الأقمشة

يقارب طنين منه لبرشلونة، وفي سنة648هـ/1250م عقد أحد التلمسانين صفقة تجارية باسم المخزن الزياني باع خلالها ما يقارب 500 قنطار من حجر الشب[1]، ضف إلى ذلك كانت تصدر من أرض المغرب الأوسط كميات متواضعة من العاج لمختلف دول أوروبا[2] والعاج هو أنياب الفيلة ولاسيما غير الناب عاجا[3] ،وقد كان الحرفيون في أوروبا يستخدمونه لصناعة التحف ويحولونه بالخصوص إلى صلبان، هذا وقد كانت الدرق اللمطية تحظى برواج كبير في مجموع المغرب الإسلامي وما نلمسه هنا أن المصادر لم تشر إلى تصديرها إلى البلدان المسيحية ،غير أن المؤرخF.Buttin أكد استعمالها من قبل الجيوش الإسبانية والبرتغالية والفرنسية والإيطالية مستندا في ذلك على عدة وثائق فنية ،ويبدو أن استخدامه استمر حتى حدود القرن 10هـ/16م وكان يعرف في تلك الدول باسم L adarga[4] ، ومن السلع الواردة أيضا على المغرب الأوسط والمصدرة إلى أوروبا ريش النعام والعبيد[5]، إذ أن مدن المغرب الأوسط عدت من بين أهم أسواق النخاسة كمدينة الجزائر سنة 700هـ /1300م، وبجاية...[6]، وقد كانت تجارة الرقيق الأسود مربحة وأعدادهم وفيرة[7]، وذكر الإدريسي أنه كان يباع منهم في كل سنة أمم وأعداد لا تحصى[8].

ومن خلال هذا العرض نجد أن أرض المغرب الأوسط كانت أرضا خصبة للمتاجرة ونقطة جذب للتجار المسيحين نظرا لما تتوفر عليه من منتجات محلية وأخرى مستوردة شكلت حجر الأساس في المعاملات بين الطرفين ، وهذا ما يطلق عليه اقتصاديا اسم التجارة بالواسطة، فمن منطلق هذا الثراء في التصدير، هل كان المغرب الأوسط في حاجة إلى مواد أوروبية؟

---

1 - مختار حساني :الموسوعة،18/1

2 - مريم محمد عبد الله مجبودة: المرجع السابق،ص146

3 - أبو الحسن بن علي بن سيده المرسي: المصدر السابق،283/2

4 - عبد العزيز العلوي: المرجع السابق،271/2-272

5 - بوزياني الدراجي :المرجع السابق،ص215

6 - عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ المدن الثلاث ،ص105

7 - عبد الإله بنمليح : المرجع السابق،ص201

8 - المصدر السابق،ص110

الواردات: نتيجة التفوق العسكري واليقظة السياسية التي عرفها الغرب المسيحي وأمام تزايد الإنتاج الحرفي به كان لزاما على الدول الأوروبية البحث عن أسواق خارجية قصد استهلاك سلعها وتوسيع تجارتها(1)، فقد كانت السفن الأجنبية تصل إلى الموانئ البحرية محملة بالبضائع المختلفة(2)، وفي مقدمتها بعض المواد المعدنية كالنحاس الذي كان يأتي من بيزا وجنوة بكميات كبيرة وبدورها بلاد المغرب الأوسط تقوم بتصديره للسودان(3) ، ويأتي بعد ذلك الحديد والقصدير وإضافة إلى المواد الخام نجد المواد المصنعة المختلفة من أواني وأثاث وأحذية وآلات وأدوات بمختلف أنواعها تأتي بشكل خاص من الجمهوريات الإيطالية والمقاطعات الفرنسية(4)، إذن فإن التجار المسيحيون كانوا يحملون إلى المغرب الأوسط مختلف البضائع ومن بينها تلك التي يقبل عليها السودانيون مثل الودع ومصنوعات الزجاج والمنسوجات والعطور التي كانت تشتمل على المسك ولبان(*) جاوة(**)(5) ، ويظهر في ذلك أن التجار المسيحيون كانوا يجلبونها من الشرق ،في حين أن الزجاجيات كانت صناعتها متقدمة بكيفية ملحوظة في الغرب المسيحي وبشكل خاص في البندقية ، حيث كانت أوراش ميراريو Murario تصنع الأقداح والكؤوس واللؤلؤ المحلي وكلها كانت تصدر لأرض المغرب الأوسط(6) ، أما المنسوجات فقد ارتكزت على الأقمشة من حرير وجوخ وكتان(***)(1)، وكانت

---

1 – عبد العزيز العلوي: المرجع السابق،265/2

2 – حسن علي حسن :المرجع السابق،ص287

3 – Mas Latrie.op-cit. p210

4 – هيرين بيرين : المرجع السابق، ص ص151،147

* – اللبان شجرة صغيرة ، أغصانها كأغصان الخرشف، وأوراقها صغار رقاق، واللبان صمغية تكون في أغصانها، وهي في بلد المسلمين أكثر منها في بلاد الكفار.

** – جاوة: يذكرها ابن بطوطة بما جاوة، وقد صنفها من بلاد الكفار، وهي ما يعرف اليوم بإندونيسيا، ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح : محمد عبد الرحيم، ط1، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ، لبنان، د.س. ،ص340

5 – Mas Latrie.op-cit. p368

6 – عبد العزيز العلوي : المرجع السابق،268/2

*** – تعرف جودته في العدل عند وزنه ، وهو على أنواع منه المورق النقي، والمشبر اللين الرطب، يعتبر أفضل أنواع الكتان، الإشارة لمحاسن التجارة ، ورقة 14

يأتي بشكل فاعل من جنوة وبيزا[2] ، كما اشتهرت فرنسا بملبوسات الفلاندرز، وكان لفلورنسا الصدارة في هاته المنتوجات التجارية[3] ، وقد قدمت لنا كتب النوازل مادة وافرة من ناحية استيراد الملابس النصرانية ، حيث يذكر الونشريسي لباس الملف الذي هو من نسج النصارى ووارد من عندهم[4]، وقد كانت دول المغرب الأوسط من فترة لأخرى تسعى لجلب العديد من الوسائل والأدوات الحربية حيث كانت ترد لها الدروع والخوذات والحراب من لمبارديا ، وبعض أنواع السيوف وغيرها من الإمارات الجرمانية[5] ، ومن الجمهوريات الإيطالية وبالضبط من بيزة[6] ، وكانت السلع هذه النوعية من السلع من المواد المحرم تصديرها للمسلمين المغاربة ،فقد منعهم البابوات من المتاجرة بمثل هاته المواد[7] باعتبارها أنه من شأنها مساعدة الكفار في حربهم الضروس ضد حماة المسيحية – حسبهم–، غير أنها كانت غير نافذة فنجد أن جنوة ساعدت السلطان الموحدي المأمون بحوالي 18 سفينة حربية[8] ،ضف إلى ذلك أن تلمسان في القرن 7هـ/13م كانت من أكبر أسواق السلاح الوارد من أوروبا عن طريق ممالك إسبانيا وبشكل خاص من قطلونية ،ثم من الجمهوريات الإيطالية وموانئ فرنسا الجنوبية[9] كما أن الصفقة التي عقدت عام 648هـ/1250م باسم المخزن الزياني كانت تسعى لاستثمار 2000 دينار بيزنطي في الأسلحة[10]، ومن المنتجات التي كانت ممنوعة كنسيا أيضا الأخشاب والمراكب إلا أنها كانت تأتي من قطلونية ومن جنوب إيطاليا ، وتواجد

---

[1] – محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق،23/2

[2] – مريم محمد عبد الله جبودة :المرجع السابق،ص49

[3] – هيرين بيرين: المرجع السابق، ص ص151،147

[4] – المصدر السابق،3/1–7

[5] – عبد الحليم عويس : المرجع السابق،ص49

[6] – عيسى بن الذيب : المرجع السابق،ص400

[7] – عمر بلوط : المرجع السابق،ص50

[8] – زيغرد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية على أوروبة) ، تر: فاروق بيضون، كمال الدسوقي، مراجعة: مارون عيسى الخوري،ط8 ،دار الجيل ، بيروت، دار الآفاق الجديدة ،بيروت،1413هـ/1993،ص 38

[9] – ابن الأحمر : تاريخ الدولة الزيانية ، ،ص16

[10] – مختار حساني : الموسوعة،18/1

الخشب بالمغرب الأوسط على نوعيه سواء الخام أو المنشور[1]، فكان خشب الصنوبر يستورد عن طريق ميناء أمالقي وميناء البندقية أما استخداماته فكانت من أجل صناعة وتصليح السفن[2]، هذا وكانت الموانئ المغربية تزود أيضا بما تحتاج له السفن من عتاد من طلاء (صمغ ، كبريت ...)[3] وحبال السفن ...ففي سنة 647 هـ/1249م اشترى يغمراسن بن زيان من مونبلييه الفرنسية عتاد لصنع السفن يقدر ثمنه بـ 30 كغ فضة[4] ، وغير بعيد عن السفن تجدر الإشارة إلى أن الكثير من المعاهدات التجارية بين الطرفين نصت على كراء الأوروبيين سفهم للمغاربة أو بيعها لهم[5]، وهذا ما أورده الونشريسي في أحد نوازله : " السفر في البحر في مراكب النصارى ويكرونها للمسلمين من إفريقيا إلى الإسكندرية إلى ناحية بلاد المغرب كذلك..."[6].

أما عن المواد الغذائية فقد كانت تصل إمدادات من التوابل الشرقية والملح والسمك وغيرها من المقاطعات الفرنسية[7] ، ويصلنا من صقلية الجوز واللوز والقصطل والفستق والسكر وكذلك القمح الذي اعتبرت بلاد المغرب عامة المنفذ الطبيعي له[8] ، ومثل الجبن أيضا أحد أهم الموارد الغذائية الأوروبية بأرض المغرب الأوسط، وقد أوردت ذلك كتب النوازل والحسبة وعن ما يترتب من أكله من جواز أو عدمه " ولا بأس بأكل جبن النصارى الذي بين أظهرنا"[9] ، ومن الواردات المتوسطية أيضا الخمور حيث كانت تستورد بكميات كبيرة من جنوة وبيزة إلى بجاية وغيرها من المدن التي تتوفر على فنادق المسيحيين والتي يسمح فيها

---

1 – مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق، ص ص146،164

2 – Mas Latrie.op-cit p209

3 – عبد الحليم عويس : المرجع السابق، ص53

4 – مختار حساني : الموسوعة،18/1

5 – ممصطفى نشاط : المرجع السابق،164/2

6 – المعيار المعرب،436/1

7 – هنري بيرين : المرجع السابق، ص151

8 – مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق ،ص156

9 – أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف :رسالة ابن عبد الرؤوف ، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال،د .ط، مطبعة المعد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة،1955،ص101

بشرب الخمر[1] ، على الرغم من أن الفقهاء المسلمين حرموا التعامل في ذلك ووصل الأمر إلى إصدار فتوى تمنع حتى بيع أصول الكرم للنصارى بسبب صنعهم الخمر من ثمارها[2] .

وإضافة إلى السلع التي يتم تبادلها بين المغرب الأوسط وأوروبا ، فقد عرفت فترة العصور الوسطى تدفقا بشريا بينهما ،وعن طريق مسالك التجارة الأوروبية نحو البحر المتوسط انتقل الرقيق الأبيض إلى بلاد المغرب الأوسط وكانوا يعرفون بنسبتهم إلى مواطنهم كالعبيد الصقالبة والإفرنج والجيليقيون والروم وغيرهم[3]، وقد مثلت بجاية أحد أهم أسواق تجارة العبيد بالمنطقة إذ كان يقام بحومة المذبح من ربضها ، وكما ذكر الغبريني فقد بلغ الحال أن يباع بيضاوان من الروم بسوداء من الوخش[4]، والدليل على ازدهار هذا النوع من التجارة بالمدينة أنه حين هاجم ابن غانية بجاية فتح مكانها الأبواب اعتقادا منهم أن السفن محملة بالرقيق وليس بالعساكر ، وقد كان لتجار ميورقة صدارة في هذا النوع من السلع[5]، كما أن المدن الإيطالية أيضا تاجرت في ذلك حيث أنها كانت تتلقى الرقيق الصقلبي الآتي من أعالي الدانوب عن طريق ممرات جبال الآلب أو من جبال الآلب الشرقية و أيستري و ألمانيا وبدورهم التجار يقومون بنقلهم للبلاد الإسلامية[6] عامة فالمبادلات التجارية المغربية الإسلامية والأوربية المسيحية كانت قائمة على مبدأ الكيل بمكيالين أي الأخذ و العطاء فعلى قدر ما كان المغرب الأوسط يزود الدول المتوسطية بالمواد الخام والسلع السودانية ، فقد كانت هي الأخرى تزوده بالمواد المصنعة والمستوردة من الشرق من الهند والصين وما إلى ذلك ، ويبقى السؤال المطروح هنا هو كيفية التعامل بين الطرفين ؟

---

1 – Mas Latrie.op-cit. p213

2 – كمال السيد أبو مصطفى : المرجع السابق،ص116

3 – عبد الإله بنمليح : المرجع السابق،ص214

4 – أبو العباس الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،ط1،دار البصائر ، الجزائر، 2007،ص21

5 – مختار حساني: الموسوعة،196/2

6 – جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق،ص235

كانت العلاقات التجارية بين دول المغرب الأوسط وبلدان أوروبا تحددها المعاهدات ذات الشروط الواضحة[1] فقد كانت السلع التجارية الواردة والصادرة تخضع للرسوم أو الضرائب الجمركية[2] التي تمثل أهم الموارد المالية لخزينة الدولة وغالبا ما ساعدت في ثراء الخزانة لا سيما في العهد الموحدي والزياني[3] وهاته الضريبة تؤخذ من التجار غير المسلمين الذين يفدون ببضائعهم إلى دار الإسلام[4] ، يؤخذ من جميع أهل الذمة نصف العشر[*] ولا يؤخذ منهم في السنة إلا مرة ، ولا يؤخذ من أقل من مائتي درهم في حين أن أهل الحرب يؤخد منهم العشر ولم تكن ضريبة العشر[5] من الموارد التي ذكرها القرآن الكريم ولكن أحدثها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والجدير بالذكر أن ضريبة العشر لم تكن حكرا على أهل الذمة فقط بل كانت تفرض على المسلمين أيضا وحددها عمر بن الخطاب بربع العشر أي من كل مائتي درهم يؤخذ أربعين درهما[6] ، وبالتالي فإن الرسوم على البضائع الواردة حددت 10 % من قيمتها ، غير أن تلك النسبة لم تكن ثابتة وموحدة بالمغرب الأوسط لكل الدول المسيحية فقد تمنح امتيازات لدولة دون الأخرى حسب الاتفاقيات[7] وعلى ذلك فهي تتراوح بين 8 % و 10%و11 %و12%، حيث أنه في سنة557 هـ/1161 م خفضت المعاهدة المنعقدة بين جنوة و الموحدين المكوس المدفوعة من التجار الجنويين إلى 8 % في حين ظل البيزيون يدفعون 10%([8]) ويصف الوزان بعض الرسوم التجارية في القرن 9 هـ/15م على رأسها العشر أو القبالة و تفرض على البضائع بنسب مختلفة حسب الديانة : المسلمون 2أو 2.5%

---

[1] – عمر بلوط: المرجع السابق،ص51

[2] – مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق،ص164

[3] – رشيد بورويبة وآخرون : المرجع السابق،ص487

[4] – بوزياني الدراجي: المرجع السابق،ص221

[*] – لم تكن تطبق على كل السلع بأرض المغرب الأوسط ، فقد كان البعض منها يستفيد من التخفيض بنسبة النصف أي 5% مثل الذهب والفضة، مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق، ص165

[5] – يحي بن آدم القرشي: كتاب الخراج، تح: حسين مؤنس،ط1،دار الشروق،القاهرة،1987،ص66

[6] – حسن الممي: أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، تقديم: الشاذلي القليبي، ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1998،ص69

[7] – مريم محمد عبد الله جبودة : المرجع السابق، ص 165

[8] – نوارة شرقي : المرجع السابق،ص157

، الذميون 5%،الأجانب من اليهود والمسيحين من 8%إلى 12% ،ويحصل ذلك عن كل عملية تجارية[1] ، فالقيمة التي قررها سلاطين بني عبد الواد كضريبة جمركية على البواخر الأجنبية هي عشر قيمة السلع ، وقد التزم السلطان عثمان بن يغمراسن بالتنازل عن نصف العشر لملك أراغون في حين ثبت عن أبو حمو موسى الثاني كان يأخذ 10 % بواسطة جماركه من التجار الأجانب[2] وهذا ما سبقه فيه يغمراسن بن زيان سنة 760 هـ/1358م أثناء عقده لمعاهدة سلمية مع ملك أراغون وجاء فيها :"وعلى التجار الواصلين من إحدى الجهتين إلى الأخرى بمتاجرهم ألا يؤخذ منهم إلا العشر ،والمخزن المعلوم في سلعهم لا زائد في ذلك عليهم"[3] ،وقد كان يسلم للتجار الأجانب بالموانئ المغربية بشكل عام وصل للخلاص يطلق عليه اسم "البراء"، وإذا لم يستطيعوا بيع بضائعهم يحق لهم في ميناء آخر شريطة أن يكون تابع للدولة المتفق معها[4] وقد كانت مصلحة الجمارك هي الواسطة بين الملك من جهة والتجار المسيحين من جهة أخرى ومن مهامها قبض المبالغ المفروضة على التجار المسيحين في الآجال المحددة ، وتعتبر من أهم الإدارات الرئيسية نظرا لتميزها بالتنظيم الدقيق[5]، وقد ارتبطت بها مجموعة من الموظفين منهم:

. صاحب الديوان: ويسمى كذلك المشرف والقابض، وله سلطات إدارية واسعة إذ أنه يدير كل العمليات التجارية والإدارية ،ويتولى قبض العشر[6] ،وقد يتسلم هاته الوظيفة شخص من المسيحين ، فقد عمل والد ليوناردو فيتشي كرئيس للمركز التجاري البيزي في بجاية[7].

---

1 – مصدر سابق،79/2

2 – بوزياني الدراجي: المرجع السابق،ص222

3 – عمر سعيدان : المرجع السابق،ص ص156،158

4 – Dufourcqe. Commerce.op-cit. p164

5 – عمر بلوط : المرجع السابق،ص51

6 – محمد حسن : التجار والحرفيون بافريقية بين القرنين السادس والتاسع هجري 15/12م،المغيبون في تاريخ تونس الإجتماعي ، تنسيق: الهادي التيمومي،ط1 ،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة ، قرطاج، 1999م،ص63

7 – زيغرد هونكه : المرجع السابق،ص89

. عدول الديوان وكتبته: يتولون كتابة عقود التجارة بين الطرفين وتأمين سلع الأجانب وأموالهم، والشهادة على العقود المشتركة...

. التراجمة : يقومون بترجمة الوثائق ،ويشرفون أحيانا على عملية البيع ، وقد تنوعت أصولهم من عرب وأوروبيين، وعلى الغالب أن أكثرهم من أهل السبي الذين يحسنون اللغتين منهم: عثمان الترجمان، عصمت دفركا ،جيوفاني قطران...[1]، ويأتي بعدهم موظفون صغار وأصحاب الأعمال المتعبة كالحمالين الذين يقومون بشحن وتفريغ البضائع تحت رقابة شديدة من مصلحة الجمارك[2]، وقد كان يخصص كل واحد منهم لكل طائفة مسيحية مقابل مبلغ من المال[3]، إذن فطبيعة الضرائب والرسوم الجمركية المفروضة على التجار النصارى كانت مبنية على أساس شرعي ،غير أنها امتازت بثقل ضرائبي بشكل عام منذ العهد الموحدي[4]، فقد وصف ابن خلدون[5] وابن أبي زرع عصر المرابطين بالعصر الذهبي حيث أعيدت المكوس والضرائب إلى حدودها الشرعية[6].

وبالنسبة لعمليات البيع والشراء فقد كانت تتم على طريقتين:

بالمزايدة: وتكون بحضور مفتشي الجمارك أو بواسطة المترجمين[7] ، أما عن طريقة الدفع فتكون في الغالب بالبيع لأجل أي يقتصر التاجر على دفع مبلغ زهيد يتراوح بين 5و 15دينار، وفي بعض الحالات لا يستلم البائع شيئا ،إلا أن هؤلاء التجار الأجانب يودعون أرصدة بالديوان لدفع ما عليهم من ديون[8] ، ولم يقتصر الأمر على النقد فقط بل كان التعامل التجاري أيضا يتم بواسطة المقايضة أي مبادلة سلعة بسلعة أخرى كالطعام بالزيت أو

---

[1] – محمد حسن : التجار والحرفيون ، ص64
[2] – عمر بلوط: المرجع السابق،ص51
[3] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان ، 137/1
[4] – مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق،ص167
[5] – عبد الرحمن ابن خلدون :المقدمة، ص218
[6] – ابن أبي زرع: المصدر السابق،ص326
[7] – عمر بلوط :المرجع السابق،ص52
[8] – محمد حسن: التجار والحرفيون، ص62

التوت بالحرير مثلا...[1]، وهي عملية مركبة من البيع والشراء في نفس الوقت ، وغالبا ما تكون بين التجار في الأسواق البعيدة[2]، وبالجملة فإن هاته العمليات كانت تأطر داخل مصلحة الجمارك والتي تتخذ من الفنادق والقياسير مقرا لها[3].

الفنادق : ارتبط بناء الفنادق بالحركة التجارية حيث قامت بدور كبير في الحياة الاقتصادية ببلاد المغرب الأوسط، فبالإضافة إلى وظيفتها الأساسية في إيواء الغرباء والتجار الوافدين على البلاد كانت مخزنا ومكانا لبيع السلع والمواد التجارية المختلفة[4] ، فقد جرت العادة حين وصول التجار المسيحين لمدن المغرب الأوسط يقومون بالنزول في فنادقها ،فيودعون بضائعهم في مستودعاتها، وتسجل في دفاتر خاصة وتضرب عليها المكوس الديوانية، و تنظم الدولة عرضها للبيع بالمزاد العلني ، وبواسطة هذا يتم تقدير ما يفرض عليها من ضرائب[5]، وكانت تنظم عملية البيع في الساحة بواسطة رجال متخصصين يعرفون بالسماسرة ، وبحضور مفتش الجمارك ، وكان أصحاب الدكاكين والمحلات يبتاعون هذه السلع وينقلونها إلى دكاكينهم[6]، إذن فالفندق عبارة عن مؤسسة متعددة الصلاحيات تضم بداخلها عدة منشآت، ومهمتها بالدرجة تسيير الشؤون العامة للجالية[7]، والجدير بالذكر أن هاته المؤسسة كانت ملكية خاصة قد تكون فردية أو جماعية ، جهز لأن يكون مقرا للتبادل التجاري سواء مع المسلمين أو المسيحين[8].

القيسارية: بفتح أوله ، وإسكان ثانية ومن بعده سين مهملة ، وألف وراء مهملة مكسورة ،ثم ياء مخففة ، وهاء التأنيث ،وهي من ثغور الشام ،حاصرها معاوية بن أبي سفيان سبع سنين

---

1 – الونشريسي: المصدر السابق،238/5

2 – مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق،ص217

3 – عمر بلوط: المرجع السابق،ص52

4 – حسن علي حسن : المرجع السابق،ص403

5 – جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق،ص243

6 – فيلالي عبد العزيز : تلمسان، 136/1

7 – مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق،ص233

8 – عمر بلوط: المرجع السابق،ص140

إلا شهرا وفتحها ، وبعث بفتحها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام ونادى في الناس:" ألا إن قيسارية قد فتحت قسرا"[1]، أما القيسارية فهو الطابق المسقوف ، يستعمل كسوق وعلى الأغلب أنها مأخوذة من اليونانية أو اللاتينية ، ومن الناحية الأثرية فهي نمط من أنماط الأبنية التجارية في العمارة الإسلامية عامة، وعلى الأرجح أنها مستقاة من القيصرية بمعنى سوق القيصر ، أو السوق الإمبراطوري الذي استخدم خلال العصر اليوناني كمخازن ومساكن تحت إشراف ملكي ثم انتقلت للعمارة الإسلامية ،حيث غلب عليها الطابع التجاري[2]، وأقدم القيساريات الإسلامية (أي الشارع التجاري) هي قيسرية العسل وقيسارية البز (المنسوجات) والقناديل...، وارتبطت بداياتها بازدهار الحركة التجارية اذ انتشرت في عدة مدن إسلامية كالفسطاط عهد عبد العزيز بن مروان...، وأصبحت في الفترات اللاحقة من أهم العناصر التخطيطية في المدينة الإسلامية[3] ، وقد اعتبرت بمدن المغرب الأوسط مظهرا من مظاهر تنظيم الأسواق ، وكانت متخصصة في عرض الأثواب والمنسوجات الحريرية أو الكتانية والعطور وأنواع التوابل وكما رأينا قبل فأغلبها واردات أوروبية[4]، وبالتالي فهي عبارة عن مركز تجاري يضم مجموعة من البنايات العمومية المبنية على شكل رواق دير ، توجد بها محلات تجارية وورشات ومخازن ، وفي الغالب مساكن أيضا، أما عن أوجه الإختلاف بينها وبين السوق فيكمن في أن القيسارية امتازت بسعتها واحتوائها على عدة أروقة مغطاة حول الساحة ،غير أن السوق يشمل رواقا واحدا ، وفيه تتجمع السلع ويتم عقد الصفقات بين التجار المسلمين والمسيحين[5]، وقد اشتهرت في المغرب الأوسط قيسارية تلمسان في العهد الزياني التي كانت في حد ذاتها تمثل مدينة صغيرة في وسط العاصمة تحيط بها الأسوار ولا ينفذ إلى

---

[1] – البلاذري :معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع،ج3،،ص1106

[2] – عمر بلوط: المرجع السابق،ص79

[3] – عبد الباقي إبراهيم: تأصيل القيم الحضارية من بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر ،ص36

[4] – خالد بلعربي: الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، مجلة كان التاريخية، العدد السادس،ديسمبر 2009،ص36

[5] – لطيفة بشاري: مكانة تلمسان التجارية، ص36

داخلها إلا بواسطة الأبواب التي كانت تغلق ليلا، وقد كان ينزلها التجار النصارى مصحوبين ببضائعهم المختلفة ويجعلونها بدكاكين وحوانيت خاصة بهم ، وكانت أعلام دولهم ترفرف فوق أبوابها التي يتكفلون بدورهم بحراستها[1] ، وقد ذكرها ابن مريم وذكر بابها ومالها من مدارج[2]، وكانت هذه القيسارية ملكية عمومية للتجار بهدف توفير مقرات العمل، والملاحظ أن رعايا مملكة أراغون الإسبانية استطاعوا السيطرة على رعايا باقي الدول ، وكانوا يقيمون بها بصفة دائمة ، وعموما فقد لعبت دورا اقتصاديا هاما من خلال عمليات التبادل التي تتم بداخلها من جهة ، ومن خلال المداخيل الجمركية التي توفرها من جهة أخرى[3] ، هذا ولا يمكننا إغفال أمر أحد ما تميزت به قيسارية تلمسان ولايزال محفوظا لليوم بمتحف تلمسان "مسجد سيدي أبي الحسن" وهو الذراع الملكي الذي يرجع إليه تجار الأقمشة عند الاختلاف[4]، وذراع القياس ستة قبضات معتدلة ، ومنهم قولهم درعت الثوب ، يعني قاسته بالذراع([5]) ،ومنه قوله تعالى:" ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فأسلكوه"[6]، فهو "إذن وحدة قياس، ويساوي طوله في القياس المشتري 47سم، في حين عرف عن الذراع الهاشمي الذي يرجع للعهد العباسي أن طوله يساوي 61.1سم ، وقد كتبت على هذا الذراع عبارة:" الحمدلله والشكر لله هذا قياس آلة الذراع بالقيسارية عمرها الله في شهر ربيع الثاني عام ثمانية وعشرين وسبع مائة"[7] .

وفي الأخير فإن النظام الاقتصادي الذي فرضه ملوك وسلاطين المغرب الأوسط والذي لم يحد في مجمله عن مقررات الدولة الإسلامية ساهم إسهاما فاعلا في تطوير الحركة التجارية

---

[1] – محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق،22/2

[2] – المصدر السابق، ص ص93،91

[3] –عمر بلوط: المرجع السابق،ص82

[4] – محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق،195/1

[5] – خليل الجز: المعجم العربي الحديث، باريس ،1973،ص460

[6] – سورة الحاقة، الآية32

[7] – عمر بلوط: المرجع السابق،ص83

بالمنطقة وكان له دور في إثراء حركة الصادرات الواردات وفتح الأفق للتعاملات مع مختلف الدول حتى ولو اختلفت في العرف والدين.

ب /التجار وظروف إقامتهم:

من خلال المعاملات التي ربطت المغرب الأوسط بالدول المتوسطية المسيحية فإنه كان لزاما على الفئة الناشطة في هذا المجال أن تستقر بالمنطقة بغية النظر في أحوالها ، فكيف كان تعامل الدولة الإسلامية مع هذا؟،وبماذا امتازت الظروف المعيشية لهاته الفئة بالمنطقة ؟

وقبل التعرض للتجار المسيحيين وظروف إقامتهم بالمغرب الأوسط ينبغي لنا أولا أن نحدد من يكون التاجر ، وهو الذي يمارس الأعمال التجارية على وجه الاحتراف بشرط أن تكون له أهلية الاشتغال بالتجارة ، فعلى التاجر إذا أن يتمتع بالمهارة والحذاقة[1]، ويرى ابن خلدون أن التجار أصناف متفاوتة تختلف باختلاف أطوارهم فمنهم السافل المستعمل للغش و الخديعة يسعى للكسب وكفى ، ومنهم من يكون صاحب شرف وكرم ومروءة إلا أنه – حسبه – نادر الوجود فالتاجر الناجح عنده لا بد أن تتوفر فيه صفات المكايسة من غش وخداع وتعاهد الأيمان الكاذبة "ولذلك تجد أهل الرئاسة يتحامون الاحتراف بهذه الحرفة"[2]، إذن فالتجارة مقترنة بتخلي التاجر عن خلقه واتباع كل ما هو وثيق بترك الفضائل .

وفي المقابل نجد أن الوزان في الغالب يصف التجار بالعدول المخلصين والمستقيمين في تجارتهم[3]، وقد كان التجار ومنهم المسيحيون في بداية الأمر يمارسون التجارة في شكل أعمال حرة بعيدة عن رقابة الدولة وسيطرتها غير أنها بمرور الوقت تطورت وأصبح النشاط التجاري يقوم تحت مراقبة وسيطرة الدولة[4] وأغلب التجار النصارى الذي كانوا يقيمون في مدن المغرب الأوسط يمثلون الشركات الأوروبية[5] ، والتي تقوم بعملية التصدير والاستيراد والإشراف على التجارة وتنظيمها ، ويبدو أنها كانت لها صلاحيات وتتمتع بحصانة تشبه في

---

1 – إبراهيم مصطفى وآخرون: المرجع السابق،ص82

2 – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة ، ص ص311،314

3 المصدر السابق،18/2

4 – مريم محمد عبد الله جبودة :المرجع السابق،ص238

5 – لطيفة بشاري :مكانة تلمسان التجارية ،ص27

هذا الأمر البعثات الديبلوماسية والسفارات[1]، وقد كانوا يمثلون جاليات تجارية مستقرة في بعض المدن انتشرت شيئا فشيئا منذ القرن 5 هـ/11م و6هـ/12م لتبرز بشكل أقوى مما كانت عليه في القرن 7هـ/13م إذ أنها ازدادت من حيث العدد والأهمية والتنظيم[2] خصوصا وأنهم كانوا ذوي سعة حال كبيرة وذلك لامتلاكهم رؤوس أموال ضخمة[3] ، وكانت إقامة التاجر النصراني بالمغرب الأوسط محددة بأجل أي أنها كانت بصفة مؤقتة غير دائمة ، وفي حال ما إذا أراد البقاء في المدينة يتحول إلى معاهد أو ذمي من أهل الكتاب يدفع الجزية مقابل الحماية[4]، وهناك من التجار المسيحيين من كان يستقر بالبلاد لسنوات طوال ويكون داخلا في عهد الأمان الذي تمنحه الدولة للمستأمن محدد لمدة معينة[5] ، فالمستأمن خاضع في كل شيء للسيادة المحلية ، وعهد الأمان الممنوح لهم لم يكن سوى ضمان غير ثابت ومحدود للغاية في غرضه ومدته وقد كانت وضعية أولئك الأوروبيين ماهي إلا تطبيق للنظرية الإسلامية المتعلقة بالأمان والواردة في الفقه[6]، وقد اختلف في ذلك من مذهب لآخر، فالإمام بن حنبل يقول: إذا أمنه الإمام ،فهو على أمانه حتى يرد لمأمنه، أما الشافعي فورد عنه: أنه إن كان من أهل الكتاب ، قيل له ،إن أردت المقام فأد الجزية ، وإن لم ترد فارجع إلى مأمنك، فإن استظهر فأحب الي ألا ينظر إلا أربعة أشهر وأكثر، وأكثر ذلك أن لا يبلغ به الحول، لأن الجزية في حول، فلا يقيم في دار الإسلام مقام من يؤدي الجزية ثم لا يؤديها[7]، وبذلك فقد كان التجار الأجانب المقيمين في المغرب الأوسط يتمتعون بالحرية الدينية وحافظ جميعهم

---

1 - Dufourcq. L'Espagne.op-cit. p521

2 - روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص462

3 - بان علي محمد البياتي: النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن 3هـ -5هـ/9-11م ، رسالة مقدمة لنيل الماجستير، إشراف: صباح إبراهيم الشيخلي، مجلس كلية التربية للبنات، جامعة بغداد،1425هـ/2004م،ص108

4 - عبد العزيز فيلالي: دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي ،ص66

5 - مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق،ص49

6 - روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص462

7 - أبي عبد الله محمد الأزدي القرطبي (ابن المناصف): الإنجاد في أبواب الجهاد وتفصيل فرائضه وسننه وذكر جمل من آدابه ولواحق أحكامه، تح: مشهور بن حسن آل سلمان، محمد بن زكريا أبو غازي، د.ط، دار الإمام مالك، مؤسسة الريان، السعودية، د.س،ص336

على جنسياتهم[1]، حيث استطاعوا الحفاظ على معتقداتهم الدينية ، وكفلت لهم الدولة الحرية في بناء كنائسهم ومعابدهم لأداء الشعائر الدينية ، وكانت إقامتهم وتنقلهم في مدن المغرب الأوسط تخضع للمعاهدات التي تجمع دولهم مع سلاطين البلاد[2] ، في حين أن الفئة التي لا يمكنها الانتفاع من أي اتفاق رسمي مبرم مع دولهم فقد كانوا يضعون أنفسهم تحت لواء دولة صديقة ، فقد يجد التاجر النصراني نفسه أمام مشكلة عدم تجديد المعاهدات أو أي أمر من شأنه أن يقطع العلاقات بين الأطراف المتعاملة ، إلا أن ذلك لا يؤثر على طبيعة عمله حيث كفلت لهم دول القرنين 7هـ و8هـ/13م،14م الحماية ومواصلة الإقامة بالبلاد وتعاطي تجارتهم[3]، فالملاحظ بتلمسان الزيانية أنها كانت تضمن حقوقهم وحرياتهم ووفرت لهم سبل الإقامة والاحتكاك بأهل المدينة وبجاليات مسيحية أخرى على الرغم من عدم وجود معاهدات محددة تنص على واجب الحماية لهم ، وهذا يدل على مدى التطور الذي عرفته التجارة الخارجية آنذاك والنمو الاقتصادي الذي كانت تعيشه منطقة المغرب الأوسط[4] ، ولعل أهم ما يثبته هذا الأمر هو سماحة الإسلام في التعامل مع أهل الذمة عامة، إذ كان لكل فرد منهم حق في أن يعتقد ما يراه، وخولت لهم مختلف الحريات خاضعين بذلك لمبدأ التسامح الديني[5]، ومن مظاهر هذا التسامح والمرونة في التعامل هو قانون مرسيليا سنة 625هـ/1228م حيث سمح الأمير الموحدي بموجبه بتقنين تجارة الخمور وبيعها في بجاية بالجملة وتباع للمسيحين فقط في دكاكين مخصصة لهذا الغرض[6] على الرغم من الاحترازات التي كان يقدمها الفقهاء بهذا الشأن[7] وكما نرى فالقانون يعود للعهد الموحدي الذي يصفه الغربيون بأنه كان من أشد الفترات التي مرت على أهل الذمة بشكل عام ، إلا أن المصالح

---

[1] – لطيفة بشاري: مكانة تلمسان ،ص27

[2] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان ،ص190

[3] – روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص463

[4] – سامي سلطان : الجاليات الإيطالية في الدولة الزيانية، مجلة سيرتا ،العدد10،الجزائر،أفريل،1988،ص90

[5] – علي حسني الخربوطلي: الإسلام وأهل الذمة، سلسلة يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الكتاب 49،القاهرة،1389هـ/1969م،ص95

[6] – عبد العزيز فيلالي: دراسات ،ص62

[7] – الونشريسي: المصدر السابق،197/5

التي جمعت الموحدين بالدول النصرانية والتي بموجبها وفرت الحماية للرعايا المسيحين القاطنين بأراضي المغرب الأوسط يثبت عكس ذلك[1]، ولعل هذا ما برز بشكل أكثر فعالية بعد نهاية حكم الناصر (ت:610هـ)، فابتداء من عهد المأمون أصبح للنصارى شأن أكبر في المنطقة مما كان عليه في السابق ولا سيما في أيام عبد المؤمن[2] ، ومهما يكن فإن هاته الحقوق التي تمتع بها التجار الأجانب في دار الإسلام تعتبر من مقتضيات الأمان والوفاء بالعهد[3] ، ويرى برنشفيك أن عدد التجار المقيمين بالمغرب الأوسط لم يكن بالمرتفع ، إذ أنه لا يتجاوز بعض العشرات على أقصى تقدير بالنسبة إلى كل جنسية ومدينة، ولم يكن كلهم مقيمين بصفة قارة، بل كان بعضهم يقتصر على المجيء بالصيف ، وقد يرجع ذلك إلى منعهم اصطحاب نسائهم، وتعذر التزوج بنساء من أهل البلاد[4]، إذن فقد كان لا يطول بهم المقام فبمجرد تسويق بضاعتهم وموادهم التجارية يعودون إلى أوطانهم وعائلاتهم[5]، أما عن مقر إقامة هؤلاء التجار، فقد وفرت لهم أحياء خاصة للسكن وهي ما تعرف بالفندق وقد أمدتنا الوثائق اللاتينية بالكثير من المعلومات التي تفيد هذا المقر على عكس المصادر العربية[6]، وإن كانت تلمح لبعض الإشارات فابن عذارى يذكرها في حديثه عن تجار جنوة الذين أحدثوا فتنة بسبتة"... وانتهبت أموالهم التي في فنادقهم أي انتهاب، والتهبت النار في سلعهم وسلاحهم كل التهاب..."،"...لما وصلوا إلى سبتة في مراكبهم برسم محاولات تجاراتهم فاجتمع منهم في ديوانها وربضها عدد كثير ..." وكان ذلك سنة636هـ/1238م[7] ، ومن هنا فابن عذارى أعطانا صورة ولو كانت بالشحيحة عن شساعة الفندق وعن بعض مهامه ألا وهي

---

1 – نوارة شرقي: المرجع السابق،ص80-81

2 – عبد الله علي علام : المرجع السابق،ص ص 242،239

3 – عبد الكريم زيدان : أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، مكتبة القدس، بغداد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا،1402هـ/1982م،ص 83-84

4 – المرجع السابق،ص463

5 – عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة، ص50

6 – إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المتوسطية، ص89

7 – ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، قسم الموحدين،ص350

تخزين السلع ، وما ينطبق على سبتة ينطبق على مدن المغرب الأوسط ولا سيما أن المغرب الإسلامي قطر سياسي واحد عهد بني عبد المؤمن.

أما عن انتشار الفنادق بأراضي المغرب الأوسط ،فقد اقترن بالازدهار التجاري ، وقد يرجع إلى القرن3هـ/9م ، واقترن وجود أعداد منها في مختلف مدن المغرب الأوسط بقدوم التجار من مختلف البلدان وبقائهم لفترات طويلة ، وذلك بالضرورة استدعى خلق مكان لإيوائهم وبضائعهم[1]، وتميزت بتعميميها على مختلف أنحاء المدن المغاربية، فقد حرص الأمراء المغاربة على توفير الراحة للتجار، فكان بناء الفنادق أحد اهتماماتهم حيث حرصوا على إقامتها والإكثار منها خاصة في المدن الساحلية باعتبارها مقصدا للتجار الأجانب[2] ، كبجاية وبونة، الجزائر، تلمسان وقسنطينة...، وعدت بحوالي 15 مركزا لإقامة هاته الجاليات بالمغرب الإسلامي كشكل عام[3] ،وكما سبق الذكر فقد أشارت كتب النوازل لهذا العدد الكبير، وكانت هذه الفنادق تتوزع حسب الجنسيات إذ كان لكل جنسية فندق خاص لا يشاركها فيها أحد، فهناك فندق خاص بتجار مرسيليا ،وآخر بتجار الممالك الإسبانية، وآخر لتجار جنوة والبندقية...،وهذا ما ذكره الوزان حيث كان بتلمسان عدة فنادق منها إثنان لمقام تجار جنوة والبندقية[4]، ومن فنادق تلمسان في العهد الزياني نذكر: فندق الرمانة الذي يقع بجوار القيسرية وكان مقرا لعدة حرف ومخزنا للعديد من السلع، فندق المامي يقع في الحي الاقتصادي للمدينة، وفندق أبو علي الذي يصنف من أكبر فنادق الفترة الزيانية حيث تبلغ مساحته الكلية 200م^2[5] ، كما يذكر ابن مريم فندق آخر يقع بالقرب من مسجد سيدي ابن البناء وهو المعروف بفندق المجاري[6]، وقد اختلفت تسميات هاته المؤسسات كل حسب ما تمليه الضرورة، حيث كانت أحيانا تسمى باسم البضائع التي تخزن فيها كفندق الصوف

---

[1] – بان علي محمد البياتي: المرجع السابق،ص102

[2] – إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المتوسطية، ص90

[3] – Mas Latrie.op-cit. p80.90

[4] – الحسن الوزان : المصدر السابق،20/2

[5] – عمر بلوط : المرجع السابق، ص ص102،98-103

[6] – ابن مريم التلمساني: المصدر السابق،275

،وفندق القمح، والملح وغير ذلك...، وفي الغالب يعرف الفندق باسم النازلين فيه[1] بما أنها كانت مخصصة لهم للسكن والإقامة بها، وقد كانت عملية البيع والشراء تتم تحت رقابتهم – أي التجار المسيحين- ، أما عن الطبيعة العمرانية لهاته الفنادق فقد كانت على شكل أحياء في وسط المدينة أو خارجها ، وغالبا ما كانوا يفضلون أطراف المدينة بعيدا عن المدن الآهلة بالسكان المحليين[2]، خصوصا وأنهم كانوا يحبذون الإقامة قرب البحر(أي بحذاء المدن الساحلية وموانئها)[3]، وبلغ الأمر إلى أن أصبحوا مشكلين بذلك أحياء بكاملها يطلق عليها اسم "حي التجار"، وهذا راجع لما كان يحتويه الفندق من مرافق خاصة[4] يحتاج لها التاجر المسيحي كالمتاجر الكبرى والدكاكين الصغرى، ومقر سكن ، وكنيسة، ومقبرة وفرن[5]، وإسطبلات ، وقاعة للمحاكمة ،وفي بعض الأحيان حانات لشرب الخمر ،إضافة للحمامات[6]، ففي الغالب كان يوجد حمام خاص بالمسافرين والتجار داخل الفندق، وفي حال عدم توفره فعادة ما كان يخصص للمقيمين حمام بالمدينة يغتسلون فيه مرة في الأسبوع بدون مقابل[7] ، كما أنه احتوى على مقر لإقامة موثق العهود، وتحته توجد غرف مخصصة للمال، ومقر القاضي والسجن[8]، وقد خصصت حجرات الطابق الأول وما فوقه للسكن ، وكان الفندق يطل على ساحة أو عدة ساحات داخلية تستعمل لتفريغ السلع وتعبئتها[9]، وكان يحيط بهذا البناء سور يفصل الفندق عن الخارج[10]، وكان كل فندق منفصل عن الآخر بواسطة جدران حجرية من التراب المدكوك وبتوفر كل هاته الخدمات والمرافق فقد أصبحت الفنادق

---

[1] – مريم محمد عبد الله جبودة : المرجع السابق، ص ص237،233

[2] – Mas Latrie.op-cit. p89

[3] – روبار برنشفيك : المرجع السابق، ص464

[4] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص401

[5] – نوارة شرقي: المرجع السابق،ص80

[6] – لطيفة بشاري : مكانة تلمسان التجارية ، ص28

[7] – Mas Latrie .op-cit p169

[8] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص401

[9] – لطيفة بشاري: مكانة تلمسان التجارية ، ص28

[10] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان،

تتمتع بنوع من الاستقلالية عن المدينة ، وأصبح أصحاب الجالية يمارسون حياتهم داخله دون تدخل السلطة المحلية وبذلك فقد شكل الفندق المسيحي في بلاد المغرب الأوسط شكلا من أشكال المدينة لما اشتمل عليه من خدمات تكاد تكون متكاملة[1]، أما مسؤولية العناية بهذه الفنادق وصيانتها فكانت تقع على عاتق السلطان[2]، حيث كانت نفقات البناء والإصلاحات الكبرى محملة على وجه العموم على كامل الإدارة السلطانية[3]، وقد أشارت بعض المعاهدات التي أبرمها حكام تلمسان مع الدول الأوروبية إلى أن إصلاح وتوسيع الفنادق يكون من مسؤولية دواوين الجمارك ، في حين أن البعض منها كانت ملزمة من الجالية المسيحية إذ يشرف على تسيرها وصيانتها وبناء الكنائس وترميمها ويتعلق هذا الأمر ببعض الفنادق التي كانت ملكا عقاريا لهم[4] ، فكما سبق الذكر فمعظمها عبارة عن ملكية فعلية تعود للدولة صاحبة الأرض ،فبمجرد ترك التجار الفندق فانه يعود وبجميع مرافقه للدولة المالكة[5] ، أما من الناحية الأمنية فقد وضعت الدولة شرطة خاصة وحراس للأبواب الخارجية يشترط فيهم أن يكونوا من ذوي السمعة الحسنة ولهم السلطة المخولة برفض دخول أي شخص سواء كان مسيحيا أو مسلما إلا إذا كان معه ترجمان أو دليل، ويحق للسلطان الدخول بغية التأكد من سلعة مهربة أو لمتابعة قضية مدنية أو جريمة قام بها مسيحي، وفيما يخص النفقات فقد كان يتحملها أهل الحي الذي يوجد به الفندق، وكانت إيراداته تذهب إلى بيت المال بواسطة موظفين مهمتهم الإشراف على قبض الإيراد[6] ، والجدير بالذكر أن مهمة الإشراف على الفندق وتنظيم حركة التجارة به كانت تتم بواسطة موظف يعرف بالفندقي[7] ، وأمام كل هذه الإجراءات والظروف المتوفرة للتجار المسيحين بمنطقة المغرب الأوسط ، فقد تمكنوا من

---

[1] – مريم محمد عبد الله جبودة :المرجع السابق، ص234

[2] – رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق،ص484

[3] – روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص464

[4] – سامي سلطان : المرجع السابق،ص91

[5] – مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق،ص237

[6] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص401

[7] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان ، 138/1

الإقامة والعيش على أحسن ما يرام خصوصا أن الدولة الإسلامية عملت على حمايتهم باعتبارهم عنصرا ضروريا في ازدهار البلاد والخزينة[1]، ومع هذا نجد أن المؤرخين الغربيين يذهبون بالتعريض بالسلط الإسلامية واتهامها بالسعي للانتقام من مواطني بعض النصارى ووصفهم للعقوبات التي قد يتعرض لها المسيحي جراء خطيئة ما بالتعسفية وهذا ما يعتبر بالمخاطر التي قد تواجه التاجر الأجنبي بالمنطقة والتي ترجع أسبابها بالدرجة الأولى إلى النزاعات التي قد تكون مع إدارة الجمارك[2]، وفي هذا السياق ينبغي الإشارة إلى بعض الموانع التي كانت تَحضرُها الدول الإسلامية على التجار بمكان إقامتهم كمنع تربية الخنازير داخل الفندق، وعدم السماح بالأعمال التي فيها مفسدة للأخلاق[3]، حيث أشار ماس لاتيري لذلك وهذا فيه دلالة على تفشي سلوكيات دخيلة ومنافية للدين والأخلاق[4]، ومن الموانع أيضا فإنه على الرغم من تجاور فنادق الطوائف المسيحية المختلفة ، إلا أنه كان محرما على تجار كل طائفة من الانتقال إلى فنادق الطوائف الأخرى[5] ، ومهما يكن فإن التجار المسيحيون كانوا يتمتعون بالأمن والحماية في ظل الدولة الإسلامية بالمغرب الأوسط ، فقد كانوا أحرارا في عقائدهم ، ومنحت لهم الحرية التجارية ببيع أو عدم بيع سلعهم ، كما وفرت لهم مختلف سبل الحياة المعيشية بالفنادق التي اعتبرت مقرا لممثليهم[6] ، وارتبط وجود التجار ارتباطا وثيقا بممثلين لهم من طرف الدولة وهم القناصل ،فقد كان النشاط التجاري يقوم تحت مراقبة وسيطرة الدولة عن طريق التمثيل القنصلي[7]، فقد كان القنصل يدير شؤون جاليته ، ويرعي مصالح التجار ويسهر على مصالح الغائبين منهم لدى الديوان "الجمارك" والسلطات المحلية، ويحمي الأفراد وممتلكات الذين يموتون منهم ثم يسلمها لأهاليهم[8]، فهو يعتبر

---

[1] – روبار برنشفيك : المرجع السابق،ص464

[2] – المرجع نفسه،ص464

[3] – مريم محمد عبد الله جبودة : المرجع السابق،ص234

[4] – Mas Latrie. Op-cit. p90

[5] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان ، 138/1

[6] – رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ص484

[7] – مريم محمد عبد الله جبودة : المرجع السابق،ص 238

[8] – لطيفة بشاري : مكانة تلمسان التجارية، ص29-30

الممثل الرسمي للسلطة في العاصمة ويمارس سلطته على كافة التجار الذين يحملون نفس جنسيته ، كما أنه كان يلعب دور الوسيط بين التجار وبلادهم وبين السلطة الحاكمة في البلد الذي يقيمون فيه وهذا ما تدعمه المراسلات التي كانوا يبعثونها إلى بلدانهم لإخبار سلاطينهم ببعض المشكلات التي يتعرض لها تجارهم ، ومنها رسالة قنصل مرسيليا والتجار عام 693هـ/1293م التي جاء فيها سوء معاملة أمير بجاية لهم[1] ، إضافة لهذا فقد خول لهم جرد البضائع بعد موت مالكها وتجميع الميراث والوقوف في موقف المدافع عن السياسة العامة للموارد المنتظرة ، أو الحاضرة أمام الجمارك والسلطات المحلية (المسلمة)[2] ، ولم يكن مسموحا له بالتجارة لحسابه أو لحساب غيره ، وفي حال غيابه فإنه ينوب عنه أحد نوابه الذي يقوم هو بتعيينهم، ومن المحتمل أن يقوم مقامه مشرف تجاري يسمى بالقائد، كما أن القائد العسكري له الصلاحية في هذا المنصب حيث أن جاك الفاتح Jacques le Conquerant عين القائد الأرغوني مسؤولا عن التجار المسيحين في إمارة بني عبد الواد ، وكان يراقب حسابات الفندق ويرسل عائداتها إلى ملك أرغونة[3].

أما عن الوضعية المادية للقناصل فقد تميزت بالترف وكانت رواتبهم تقتطع من إيرادات الفندق ، وكان للبعض منهم نسبة مئوية أو مبلغ ثابت من أداءات الجمارك والموانئ[4].

---

[1] – مريم محمد عبد الله جبودة : المرجع السابق،ص239

[2] – Mas Latrie. Op-cit. p86

[3] – لطيفة بشاري : مكانة تلمسان التجارية،ص29-30

[4] – روبار برنشفيك : المرجع السابق، ص 466

2/:الصناع والحرفيون :

لم تكن التجارة فقط من شكلت مجالا حيويا للجالية المسيحية بالمغرب الأوسط بل وصل حضورها الاقتصادي أيضا في مجال الصنائع والحرف ، وقبل التطرق لأهم الصنائع التي امتهنها النصارى ينبغي بداية معرفة مدلول الصناعة وأنواعها ...،فالصناعة ملكة نفسانية تصدر عنها الأفعال الاختيارية من غير روية وقيل العلم المتعلق بكيفية العمل والصنع إجادة الفعل(1)، فهي إذن كما يصفها ابن خلدون ملكة في أمر عملي فكري وهذا يتطلب حراكا جسمانيا محسوسا ، وهذه الملكة تتطور بالتكرار و التعليم وبقدر إعمال الفكر "ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها من القوة إلى الفعل بالاستنباط شيئا فشيئا على التدريج حتى تكمل ، ولا يحصل ذلك دفعة واحدة و إنما يحصل في أزمان و أجيال "وترتبط تنمية الصنائع وتطورها ارتباط وثيقا بالنهوض الحضاري، " فكلما تزايدت حضارة الأمصار ودعت أمور الترف فيها إلى استعمال الصنائع(2)، وهي مختلفة ولها درجات متباينة فطبيعة الحرفة في العصر الوسيط تحدد المكانة الاجتماعية لصاحبها وقد تصنفه في أعلى الهرم أو أسفله " منها ما يرفع أهله ويشرفهم ويعينهم عن المساجلة والمكاثرة عن كريم النسب وشريف المناصب ومنها ما يصنع للمحترفين به ابتداء الصنعة و يخملهم أقبح الخمول حتى لا يكون لأحد ممن سواهم نظر في منزلة ولا أكفأ في مناكحة و إن كان لبعضهم قديم يذكر به ..."(3)، وقد كانت الحرف والصناعات بالمغرب الأوسط مختلفة ومتنوعة تعددت معها أصناف الحرفيين والعاملين في المجال الصناعي والحرفي وما إليهم(4)، وقد عدد ابن خلدون أمهات الصنائع فمنها ما هو ضروري كالفلاحة والبناء والخياطة والتجارة والحياكة وهي التي توفر مستلزمات الحياة الوسيطية ...ومنها ما تتطلب ظروف المعاش وجودها وهي ما أطلق عليها " شريف بالموضوع " كالتوليد والكتابة والغناء والطب ...، أما النوع الثالث فهو الكمالي الذي يمتهن

---

[1] – المناوي: المصدر السابق ،ص483

[2] – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة ،ص315

[3] – جعفر بن علي الدمشقي: المخطوط السابق،ورقة23 ظهر

[4] – عبد العزيز فيلالي :تلمسان في العهد الزياني، 220/1

في الغالب بقدر و اختلاف الأغراض والدواعي[1] وعمليا فإن الصناعة بما تحمله من معانيها هي : تصنيع الإنتاج الزراعي وما يتصل به بالإضافة إلى الإنتاج الحيواني كالجلود والصوف ، و استنباط المعادن وتصنيعها والإفادة من ذلك كله في سد احتياجات الأهالي في مجال البيع والشراء والاستفادة من فائض تلك الصناعات في تصديرها إلى خارج البلاد[2]، وباعتبار أن المهن والحرف كانت تمثل مصدر عيش لسكان المغرب الأوسط فقد نشطت به حركة الصنائع بشكل فاعل ، وقد وصل تعداد الحرف بالمدينة العربية الإسلامية وعامة إلى ما يفوق في الجملة الثلاثمائة منها ثلثان مخصصان للأعمال اليدوية ، غير أن العدد الحقيقي يتجاوز هذا المعدل ، إذ أن الكثير منها أهملت بسبب غياب العقود و الوثائق الكتابية الخاصة بها[3]، وقد انتمت في الغالب إلى الفئات الحضرية ولا سيما الوسطى منها التي كانت تكد كثيرا لكسب قوت يومها ولم يكن دوما في وسعها توفير الأموال اللازمة[4]، لذا كان التنافس مشتعلا بينهما وهذا ما وصفه البرزلي بقوله: " إن الصناع وأهل الحرف شأنهم في ذلك شأن أهل القرى والعلماء من أشد الناس تنافسا وتحاسدا "[5]، أما النظام الذي كانت قائمة عليه الصنائع والحرف، فقد تميز بالطوائف الحرفية المتخصصة وهو تنظيم شعبي يعرف بنظام النقابات أو الاتحادات المهنية تتجمع كل طائفة في مكان واحد وتتسمى بنوع الحرفة أو التجارة التي تمارسها لأن أصحاب الحرف هم تجار في نفس الوقت ولذلك نجد أن الأسواق قسمت حسب هذه الطوائف المختلفة كسوق العطارين والقبابين والإسكافيين والسراجين والنجارين والدرازين والحدادين والدباغين، والصباغين ...إضافة إلى السوق التي انتشرت في أحياء المدن وحاراتها[6] ، وقد ذكر الوزان ذلك في وصفه لتلمسان " وجميع الصنائع

---

[1] – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، ص319

[2] – مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق،ص73

[3] – محمد حسن: المدينة والبادية، ص ص459،409

[4] – المرجع نفسه، ص469

[5] – أحمد البلوي البرزلي: الجامع مسائل الأحكام لما نزل بالقضايا من المفتين والحكام ، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب الهيلة،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،2002،ج2، ص235

[6] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان ، 220/1

والتجارات بتلمسان موزعة على مختلف الساحات والأزقة[1]، وقد أولى سلاطين المغرب الأوسط اهتمامهم لأهل التجارات والحرف والصناعات وأكرمهم أيما إكرام وقد صنفهم أبو حمو الزياني في المنزلة بعد الفقهاء و الأشراف وعمل على تشجيعهم وإنزالهم مراتب عليا "...ولتكن معاملتك معهم بما يليق من إكرامهم وحفظهم واحترامهم ..."[2] وعليه فإن الصناعة بأرض المغرب لاقت رواجا كبيرا وجد فيه الكثير من الأهالي متنفسا للحصول على أقواتهم اليومية مشكلين بذلك فئة هامة في المجتمع المغاربي.

وفي ظل هاته الظروف من امتهان لهاته الحرف مع كثرتها ،ومن موالاة للدولة لها وتشجيع نشاطاتها المختلفة ،هل كانت للجالية المسيحية حضور في هذا؟

لقد امتازت المدينة العربية الإسلامية عامة بتعدد الأجناس واختلافها وهو ما يطلق عليه "النزعة الكوسموبولوتية" ونجد أن هدا لم يحد من نشاط الأقليات الدينية من أهل الذمة، بل نجد أنهم احترفوا العديد من المهن[3] ،وإن كان هذا ينطبق بدرجة أكبر على اليهود دون النصارى الذي نجد أن نشاطهم الحرفي محدود مقارنة بهم (اليهود) ،غير أن تأثير هاته الجالية – أي الأوروبية المسيحية– المستقرة بالمغرب الأوسط ،كان متعدد الجوانب في ميدان المهارة الفنية ووصل حتى المسكن والغذاء واللباس[4]، فقد استفاد بنو حماد من خبرات الصقالبة والمالطين –المحصلين بالأسر– في تطوير الصناعة الحربية وتطوير ترسانتهم الملاحية إضافة إلى مساعدتهم في صناعة السفن البحرية[5] وتبعهم في ذلك كل من المرابطين وبني عبد المؤمن والدويلات الثلاث ،أي أن كل من استعان بخدمات الأسرى المسيحين استفاد من تأثيرهم في هذا الميدان[6]، فقد بلغت هاته الصناعة أوجها في القرن

---

1 – الحسن الوزان :المصدر السابق ،19/2

2 – أبو حمو موسى الزياني: المصدر السابق،ص152

3 – محمد حسن: التجار والحرفيون بإفريقية، ص72

4 – محمد حسن : المدينة والبادية ،ص460

5 – عبد الحليم عويس : المرجع السابق، ص52-53

6 – روبار برنشفيك : المرجع السابق،471/1

8هـ/14م خصوصا بعد أن أصبحت دول المغرب الأوسط تستدعي صناعا اختصاصين في صناعة الأسلحة ولاسيما بعد أن برز للعيان آلات الحرب النارية[1] ،فقد ذكرهم ابن الخطيب بـ"قادحي شعل الأنفاط وناقضي ذوايب المجانيق"[2]، وبالإضافة لهذا فقد زودتنا كتب الحسبة بتفاصيل عن مختلف الحرف وأنواعها التي امتهنها النصارى عن طريق النواهي الفقهية التي طرحتها إزاء هاته الفئة فابن عبدون يلمح إلى أنه الأولى أن يختص النصراني واليهودي على حد السواء ببلاد المسلمين بالصناعات المتدنية الخسيسة أو كما أطلق عليها هو "صنع الأرذلين "[3]، كما أن الموانع التي فرضها المحتسبون عليه تفرض علينا معرفة بعض الحرف التي امتهنوها منها تلك المتعلقة بالغذاء كعمل الخبز، وبيع الزيت والخل وغيرها من المائعات بالأسواق[4]، والجدير بالذكر أن الممارسات الفقهية القانونية كانت مطبقة على مختلف الصناع فهم ضامنون لما تلف عندهم، ولهم غرم قمة ذلك يزم القبض دون عمل في ذلك[5] ،فما بالك إذا ما تعلق الأمر بالصناع النصارى وما يقومون به من تدليس وغش ،وقد وجد من أصحاب المهن النصارى الجزارين الذين نهت كتب الحسبة عن التعامل معهم" وينهى المسلمون أن يتعمدوا شراء اللحم من مجازر أهل الذمة"، وفي هذا الأمر إختلافات كثيرة بين الجواز وعدمه ،فابن الحبيب يرى أنه لابأس أن تكون لهم مجزرة على حدة وينهون عن البيع من المسلمين[6]، وقد تحدثت كتب النوازل عن هذا وماله من تخريجات والتي تخضع لأنواع اللحوم المبتاعة وطريقة الحصول عليها فالشاة الموقوذة والمنخنقة محرم التعامل بها في ديار الإسلام ،أما ذبيحة الكتابي ففيها رخصة فيجوز للمسلم تناول ما ذبحه وصاده النصارى[7]

---

[1] – محمد المهناوي :أسرار الصناعات الحربية في المغرب، جريدة المساء، العدد 2413، المغرب ،2014

[2] – لسان الدين ابن الخطيب: نفاضة الجراب في علالة الإغتراب ، تح: السعدية فاغية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،1989،ج3،ص79

[3] – ابن عبدون: المصدر السابق،ص48

[4] – الونشريسي : المصدر السابق،68/6

[5] – أبي الوليد الباجي: فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام، تح: محمد أبو الأجفان ،ط1، مكتبة التوبة، دار ابن حزم، السعودية،1422هـ/2002م، ص171

[6] – ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق،ص94

[7] – أبو زكرياء يحي المغيلي: المصدر السابق،357/1-359

،ويستند في هذا لقوله تعالى " وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم"[1] ويذكر في الواضحة أن ما ذبحه النصارى لكنائسهم أو على اسم المسيح أو الصليب أو شبه ذلك فإنه مكروه ويفضل تركه ،فأكله من تعظيم شركهم ،وقال ابن القاسم في نصراني أوصى أن يباع شيء من ماله لكنيسة بأنه لا يحل لمسلم شراؤه والذي يشتريه مسلم سوء[2]، وبالتالي فإن النصارى امتهنوا هاته المهن غير أن الفقهاء أوصوا بالتحرز في التعامل معهم[3]، وقد أصدر ابن أبي زيد القيرواني فتوى بخصوص ذلك :"ولابأس بطعام أهل الكتاب وذبائحهم وكره أكل شحوم اليهود منهم من غير تحريم..."[4]، وعموما ففي أطعمة أهل الكتاب ثلاثة أقسام: الذبائح، وهي ما أبقاها العلماء على أنها مراعاة في الآية، ومالهم محاولة لهم فيه كالقمح والفاكهة فهو جائز بإتقان، ما فيه محاولة لهم كالخبز وتعصير الزيت، وعقر الجبن...،لما يكن استعمال النجاسة فيه، فمنع[5]، ويضاف لهذا فإن الجالية المسيحية عملت في مجال صناعة الخمور وأنواع الأنبذة التي كانت مستهلكة من أهل الذمة (يهود ونصارى) المتواجدين بأرض المغرب الأوسط خصوصا وأنها لم تكن محرمة في ديانتهم ،وقد شاع شربها حتى في بعض البيوتات الحاكمة من المسلمين ولدى البعض من العامة الذين تفننوا في صنعها من العنب والفواكه[6]، وقد نهى المحتسبون عن تعاطي المسلمين في هذا الشأن مع النصارى فابن عبدون يقول أنه "يجب أن يحد لهم أن يجوزوا أحدا بآنية لشراء الخمر من النصارى وإن ظفر بها كسرت"[7] ويقول ابن عبد الرؤوف "وإذا اشترى مسلم من نصراني خمرا كسر من وجدت بيده منها..."[8]، وقد جاء

---

[1] – سورة المائدة الآية –5–

[2] – ابن عبدالرؤوف : المصدر السابق،ص95

[3] – أبي بكر عبدالله المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوش، مراجعة : محمد العروسي المطوي،ج1،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1403هـ/1983،ص336–337

[4] – مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق،ص128

[5] – جعفر بن إدريس الكتاني: المخطوط السابق، ورقة 4، وجه

[6] – مسعود كواتي:اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين،ط2،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر،2009،ص128

[7] – محمد بن أحمد ابن عبدون: رسالة ابن عبدون ،ثلاث رسائل أندلسية،ص57

[8] – ابن عبد الرؤوف :المصدر السابق،ص95

عن الونشريسي أنه لا تجوز معاملة النصراني البائع الخمر من المسلمين ،ويكون التعامل بين بعضهم البعض فبيعه للمسلمين لم يوجد لا في كتاب ولافي سنة ،وهو نقض للعهد[1]، وبالتالي فإن صناعة الخمور كانت مسموحة فقط في إطار ما هو مباح لأهل الذمة ،ولعل ما يعكس رواج هذه الصناعة بالمنطقة هو ارتباطها بزراعة الكروم التي اشتهرت بها بجاية وغيرها من المدن[2]، كما عمل النصارى أيضا كباعة متجولون حيث كانوا يتصدرون لبيع السلع للنساء في الدور[3]، أو لتعديل الحوائج مثل المغزل وغيره ،وقد تخرج المرأة لتباشر البيع وهي مكشوفة الوجه واليدين وخصوصا زمن الحر[4]، وهذا الأمر دعا بالفقهاء المغاربة على منع الباعة من أهل الذمة من ذلك ،إلا أن هذا بقي نظريا ولم يتعد إلى التطبيق العملي[5] ، ومن أهم المهن التي مارسها النصارى في المغرب الأوسط هي مهنة التطبيب وهذه الصناعة ضرورية في المدن والأمصار نظرا للفائدة التي تنتج عنها ،فابن خلدون يقول عنها: "أن ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء ،ودفع المرض عن المرضى بالمداواة، حتى يحصل لهم البرء من أمراضهم..."[6]،ويبدوا أن الطب في العصر الوسيط كان يؤخذ عن طريق الكتب المصنفة فيه ،فابن سينا يذكر أنه لم يكن من العلوم الصعبة المنال[7] ،غير أنه لا يمكن التسليم بهذا فالشاذ لا يقاس عليه فابن سينا كان حجة في الطب وغيرها من العلوم.

وقد شكلت أرض المغرب الأوسط فضاء واسعا لهاته الصناعة ،وكان عدد الأطباء بها كبيرا ،وانتشرت بها البمارستنات (المستشفيات) ولا سيما في المدن الكبرى كبجاية والقلعة وتلمسان...[8]،وقد شكل الأطباء المسيحيون جزءا من ذلك حيث توافد عليهم الناس في مقرات

---

[1] – المصدر السابق،68/6

[2] – مريم محمد عبدالله جبودة: المرجع السابق،ص135

[3] – كمال السيد أبومصطفى: المصدر السابق،ص71

[4] – الونشريسي: المصدر السابق،197/5

[5] – مريم محمد عبدالله جبودة: المرجع السابق،ص116

[6] – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة ، ص326

[7] – ابن أبي صبيعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تح: امرؤ القيس بن الطحان ،ط1، المطبعة الوهبية،1299هـ/1882م،ج2،ص3

[8] –أحمد بن عامر :الدولة الحفصية،ص93-94

عملهم[1] ،وقد ورد في نازلة للونشريسي عن احتكام أحد العامة لطبيب نصراني قصد الكشف عن مرض البرص الذي أصاب ابنته[2]، وبالتالي فإن الضرورة الصحية قد دفعت بالمرضى المسلمين إلى الإقبال على الأطباء النصارى ولو أدى ذلك حتى إلى كشف النسوة أجسادهن أمامهم[3]، فنجد لذلك ذكر أيضا عند التادلي في سؤال طرح على أبي مدين شعيب ببجاية عن مداواة الأطباء النصارى للنساء والتكشف أمامهم[4]، ولعل هذا أحد الأسباب التي جعلت ابن عبدون يدعو لمقاطعة التداوي عندهم ،وضف إلى ذلك أن أدويتهم وطرق معالجتهم كانت من الأمور المشكوكة فيها لدى العامة[5] "... والحسن أن لا يترك طبيبا يهوديا أو نصرانيا أن يجلس ليطبب المسلمين ، فإنهم لم يرون نصيحة مسلم ،إلا أن يطببوا أهل ملتهم ، ومن لا يرى نصيحة مسلم ،كيف يوثق على المهج..."[6]، وبالنظر إلى ما جاءت به المصنفات الفقهية ومصادر الحسبة نجد أنها كانت عبارة عن محاولات لتجاوز أحداث وقعت إذ أن طبيعة وظيفة المحتسب الدينية كانت قائمة على إصلاح السلوك الاجتماعي والحفاظ على أخلاقيات العامة في التعامل[7]، ويبدو أن الجانب الذي لم يعترض عليه الفقهاء ورجال الحسبة هو عمل النصارى بالمشاريع العمرانية والبناء ويعرف ابن خلدون هذه الحرفة بـ"هو صنائع العمران الحضري وأقدمها وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للكن والمأوى للأبدان في المدن، وذلك أن الإنسان لما جبل عليه هو من الفكر في عواقب أمواله...،وقد يحتاج لهذه الصناعة أيضا عند تأسيس الملوك وأهل الدول المدن العظيمة والهياكل المرتفعة ،ويبالغون في إتقان الأوضاع وعلو الأجرام مع الإحكام لتبلغ الصناعة مبالغها"[8]، إذن فالبناء

---

1 – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الإجتماعي، ص 91

2 – المصدر السابق،312،313/3

3 – عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص74

4 – أبويعقوب يوسف التادلي المعروف بابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق ،ط2، مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ،1997،ص323

5 – إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المتوسطية، ص100

6 – ابن عبدون :المصدر السابق، ص57

7 – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الإجتماعي، ص76

8 – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة ، ص320

هو المعماري الذي يبني الجدران والأمكنة والدور والمنازل والبيوت...، وفي الغالب يكون لكل من هاته الأعمال صانع يقوم بها ،فالحجار يقوم بتكسير الأحجار والنحات ينحتها والدهان بزخرفة ونقش الجدران...[1]، ومن هنا فإن هذه الصناعة كانت عبارة عن مؤسسة قائمة بذاتها تحتوي على مختلف الصناع والحرفين والمهرة الفنين.

وبما أن المباني تدل على ما وصلت إليه الدولة من عزة وسلطان ،فقد أحضر ملوك المغرب الأوسط المهندسين من شتى البقاع لتشييد المشاريع العمومية والقصور لهم، فأسسوا الأسوار والقناطر والمدارس والمساجد، وبذلك زخرت مدن المغرب بالعمران[2]، وقد حاول الكتاب الغربيون بتاريخ الاستعانة بالبنائين المسيحين إلى وقت مبكر حيث ذهب ماس لاتيري إلى أن الفاعلين الأول للقلعة إنما هم مسيحيون وبأن مهندسا يدعى "بونياش" هو الذي قام بإنشاء جزء من استحكامات القلعة، ويتعدى الأمر إلى القول بأنه خلال العصر الوسيط كله كان حكام الشرق يستعينون في جل الأحوال تقريبا بالمهندسين المسيحين لوضع التصميمات لاستحكامات المنشآت الحربية[3] ، ويبدو أن هذا الأمر فيه نوع من المبالغة حيث أن حركة البناء المسيحية ارتبطت أكثر بالأسرى الذين زاد عددهم بالمغرب الأوسط منذ العهد المرابطي ،حيث عمل أمراء الدولة على إشراكهم في إنجاز بعض المشاريع والأعمال العمرانية ،ومن الواضح أن ملوك المغرب قاموا بهذا الإجراء بقصد إلهائهم عن الشعور بجو الأسر وللاستفادة من خدماتهم[4] ،حيث استغلت مهاراتهم أيضا في حفر الخطارات وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى الدراية والخبرات التي يمتلكونها[5]، ولم يقتصر استخدامهم في التعمير والتشيد على المرابطين ومن بعدهم الموحدين فقط ، حيث كانت تلمسان عاصمة بني عبد الواد من بين

---

[1] – وليد علي محمد محمود: فئات العمال والصناع في تصاوير المخطوطات الإسلامية من القرن 7هـ حتى القرن12هـ ،بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، إشراف: رأفت محمد النبراوي، منى محمد بدر محمد، قسم الآثار الإسلامية، جامعة القاهرة،1426هـ/2005م،ص59

[2] – محمد الطمار : المغرب في ظل صنهاجة ، ص121

[3] – عبد الحليم عويس : المرجع السابق،ص238

[4] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص157

[5] – إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المتوسطية، ص114

الحواضر الإسلامية التي اعتمدت على هؤلاء[1] فالسلطان عبد الرحمن أبو تاشفين الأول استعان بآلاف عديدة من الأسرى ،من نجارين وبنائين وزليجين، وزواقين في تشيد القصور والدور...[2]،حيث يصفه يحي ابن خلدون بـ:"...ولع ببناء الدور، وتحبير القصور ،وتشيد المصانع، واغتراس المنتزهات مستظهرا على ذلك بآلاف عديدة من فعلة أسرى الروم، بين نجارين وبنائين وزليجيين وزواقين وغير ذلك...،فخلد آثارا لم تكن قبله لملك، و لا عرف لها بمشارق الأرض ومغاربها نظير ،كدار الملك ودار السرور وأبي فهر، وسواها"[3]، إذن فإن اشتغال النصارى بحرفة البناء مهد لهم امتهان حرف أخرى ومنها النجارة والتزليج والتزويق (أي النحت، والزخرفة).

وبذلك فإن الفن المسيحي انعكس على البناء والزخرفة المغربية ليخلق بذلك امتزاجا للفن المحلي بالمغرب الأوسط بالتأثيرات المسيحية[4]، والملاحظ أن هذا لم يتوقف على التأثير فقط بل امتد إلى التأثر أيضا ،حيث انتقلت أساليب البناء والزخاريف البجائية ، والتلمسانية وغيرها إلى الدول الأوروبية، وخصوصا زخرفة التربيع الإسلامي(الزخرفة علة شكل مربعات)[5] ،وضف إلى هذا فإن ظروف الأسر التي اضطرت النصارى إلى العيش بأرض المغرب الأوسط جعلت منهم عنصرا هاما في المجتمع المغاربي إذ أن العبيد كانوا يمثلون يدا عاملة هامة في البلاد[6]، حيث تجلى دورهم في خدمة بعض المرافق العامة كإيصال المياه والسقي[7]، ويذكر برنشفيك أنهم كانوا يساعدون المقيمين في ضواحي المدن على القيام بأعمال البستنة والزراعة[8]، فقد ساهم النصارى المبعدون (التغريب) في تطوير مجال الزراعي

---

[1] – مختار حساني :الموسوعة، 16/1

[2] – أبي عبد الله التنسي: المصدر السابق،ص140

[3] – المصدر السابق،239/1

[4] – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث،ص115

[5] – عبد الحليم عويس: المرجع السابق،ص282

[6] – إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المتوسطية، ص92

[7] – عيسى بن الذيب : المرجع السابق،75

[8] – روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص479

بفضل خبرتهم وتجاربهم العميقة وتقاليهم في الزراعة ، مما أعطى دفعا قويا للإنتاج الزراعي[1] ولاسيما وأنها تمثل أحد مصادر الدولة فقد ذكر ابن عبدون:" فهي العمران ومنها العيش كله ،والصلاح جله ، وفي الحنطة تذهب النفوس والأموال، وبها تملك المدائن والرجال وببطانتها تفسد الأحوال وينحل كل نظام"[2]، وعلى صعيد آخر فنجد أن الصناع والحرفين المسيحيين امتهنوا بعض المهن الخاصة بالمغرب الأوسط ونقلوها إلى بلدانهم الأوروبية ،كصناعة الشموع الذائعة الصيت لدى الأوروبيين[3] ،فقد كان أهل بيزا الإيطاليون ينزلون مدينة بجاية للتعلم من مصانعها صنع الشمع ومنها انتقلت إلى بلادهم ثم لتنتشر فيما بعد بأوروبا ولايزال الشمع عندهم لحد الساعة يسمى "بوجي"Bougie ،وهو اسم بجاية في لغتهم[4] ، وبالتالي فإن الصنائع تنوعت واختلفت في حواضر المغرب الأوسط ،ويرجع ذلك لما جمعه السلاطين من صناع وحرفيين مسلمين ومسيحين أسرى ،وحتى يهود ،حيث تضمنت إحدى رسائل أبي تاشفين الزياني إلى ملك الأراغون معلومات تفيد بوجود أسرى فنين وصناع حرفيين بتلمسان[5].

وفي الأخير فإن الصناع والحرفيين المسيحين بالمغرب الأوسط ساهموا مساهمة فعالة في البناء الاجتماعي حيث شكلوا فئة هامة في الأوساط الشعبية على الرغم من التحرزات والتحذيرات الفقهية التي طالتهم ، وقد يرجع هذا بالدرجة الأولى إلى العناية التي طالتهم من سلاطين البلاد طيلة فترة العصور الوسطى إضافة إلى سياسة التسامح التي مورست اتجاههم والتي خولت لهم جميع حرياتهم وحقوقهم

[1] – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث ،ص92
[2] – ابن عبدون: المصدر السابق،ص195
[3] – محمد حسن: المدينة والبادية ، ص493
[4] – عبد الحليم عويس : المرجع السابق،ص282
[5] – بوزياني الدراجي: المرجع السابق،ص218

وعليه فإن هاته الجالية شكلت وحدة حيوية ساهمت في النشاط الاقتصادي على مختلف أصعدته حيث بلغت أفقا تجاريا واسعا ،وخلقت لها جوا مهنيا صنائعي وحتى الزراعة كان لها حضور فيها وإن كان بالقليل.

ثالثا: الأوضاع الثقافية

شكلت الحياة الثقافية أحد أهم مقومات دول المغرب الأوسط ، ولعل ذلك راجع إلى نمو وتطور الحضارة الإسلامية الذي شهدته فترة العصور الوسطى، حيث كانت الحواضر المغربية والمشرقية تمتاز بنهضة وازدهار ثقافي انتشر في مختلف آفاق العالم وفي المقابل فإن الغرب المسيحي كان يعيش حالة من الخمول الفكري أنداك نتج عنه تراجع وتقهقر في مجال العلوم والمعارف.

وفي هذه الحالة من التعارضات بين التطور والازدهار من جهة والتراجع الحضاري من جهة أخرى بماذا تميز الوضع الثقافي للجالية المسيحية المستقرة بالمغرب الأوسط؟ ، وهل كانت لهم إسهامات تذكر في هذا المجال ؟

لقد ظل مدلول كلمة " الثقافة" بين مد وجزر عبر العصور، خاصة وأن الباحثين في المجال تعرضوا لها بنظرة من الشمولية و الإحاطة مستندين في ذلك إلى اختلاف البيئات التي تتحكم فيها المعتقدات الدينية والمذاهب السياسية والآراء الإيديولوجية ، وأمام هذه الاختلافات والتباين في المدارس فإن النشاط الثقافي في كل عصر من العصور أصبح يعني عند العلماء كل ازدهار فكري وكل رقي حضاري ، يجمع بين المعنويات والماديات والروحيات ويشتمل على مختلف أنواع العلوم والمعارف ، وجميع أنواع النشاط الفكري[1]، فالثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها[2] وتحصل بواسطة الأخذ بالمعارف والتعلم عن طريق الأخبار والتلقي والاستنباط[3]، فالزبيدي يعرفها بسرعة التعلم حيث يقال ثَقِفْتُ العلم والصناعة في أوْحي مدة : أي بمعنى أسرعت أخذه[4] ، ويرى ابن خلدون أن العلم والتعليم أمر طبيعي في البشر لما يتميز به من فكر إنساني عن باقي الكائنات، وعن هذا الفكر تنشأ العلوم التي يكون الحذق والتفنن فيها بواسطة الإحاطة بالمبادئ والقواعد والوقوف على

---

[1] – محمد بن أحمد ابن شقرون: مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة، الدار البيضاء،1406هـ/1985،ص131

[2] – مصطفى إبراهيم وآخرون: المرجع السابق،ص98

[3] – لخضر عبدلي : المرجع السابق، ص213

[4] – المرتضى الزبيدي: المصدر السابق، 63/23

المسائل واستنباط الفروع الخاصة به[1] ، وقد كانت الثقافة تشمل ثلاث أصناف من العلوم اللسانية ، وتسمى العلوم اللغوية أو الأدبية كالنحو والصرف والعروض والبلاغة واللغة والأدب والتاريخ ، ونقلية وهي الشرعية والدينية كالتفسير والحديث والفقه والأصول وعلم الكلام والتصوف ، والعقلية :تدعى العلوم الكونية وكانت تشمل المنطق والرياضيات من حساب وهندسة وجبر والطبيعيات من فيزياء وكيمياء وطب وما يلحق به وفلسفة أو حكمة[2] و يضاف لهاته العلوم أيضا العلوم السياسية والفنون كالقصور والنحت والموسيقى[3] أما عن الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط فنجد أنها عقب الفتح الإسلامي للمنطقة مرت بمرحلة مخاض لكنها سرعان ما انتفضت مع بداية القرن 2هـ/8م إذ شهد حركة ثقافية تضاهي تلك التي كانت في المشرق و إفريقية والأندلس[4]، حيث ظهرت عدة مراكز ثقافية هامة تقاسمت فيما بينها نشر الحضارة العربية الإسلامية وترسيخها فمنها حسب التطور التاريخي: طبنة فتيهرت ثم المسيلة فالقلعة الحمادية فبجاية ، وهران وتنس، بسكرة و وارجلان ،ومدينة تلمسان[5] ويبدو أن بروز عدد كبير من الشخصيات العلمية والأدبية ووجود إنتاج فكري ضخم خلق نوعا من العبارات والأوصاف استخدمتها المصادر للتعبير عن حال البلاد في ذلك الوقت ، ويقصد بها بيان الكم والفعلية ومنها " نشاط علمي" ،"ازدهار ثقافي" ،نبوغ أدبي" ،"حركة فكرية"...[6]، فقد بلغت الدولة الحمادية في القرن 5هـ/11م أعلى مراتب الرقي والازدهار المادي والأدبي وتلألأ في سمائها عدة أسماء ، وقد شهدت القلعة ومن بعدها بجاية نهضة علمية وفكرية طيلة فترة العصور الوسطى أي إلى مطلع القرن 10هـ/16م ، وقامت بها مدارس ومعاهد علمية ذات شهرة واسعة، ونبغ بها العلماء والفقهاء وحكماء متضلعون في الفلسفة والحكمة ، ولغويون...،ورياضيون مبتكرون ، وهذا ما جعلها مقصدا لطلاب العلم من كل أنحاء العالم

---

1 – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة ،ص341

2 – محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق،61/1

3 – لخضر عبدلي: المرجع السابق،ص213

4 – محمد الطمار: تلمسان عبر العصور، ص101

5 – عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر، 248/2

6 – محمد بن احمد ابن شقرون: المرجع السابق،ص131

الإسلامي ، وحتى من بلاد أوروبا خاصة منها جنوب فرنسا وبلاد اليونان وإيطاليا[1]، ومن هنا يتبين حقيقة الوضع الثقافي للجالية المسيحية بالمغرب الأوسط ، فلم يكن المسيحيون يقصدون البلاد فقط من أجل التجارة ومناقشة أوضاعهم السياسية بل كانوا ينزلون بالمنطقة أيضا بغية إثراء ثقافتهم وتطويرها ،حيث كان أهل بيزا ينزلون مدينة بجاية للأخذ من علومها ، و النهل من علمائها ، ومن أبرزها العلوم الرياضية[2] وهي العلوم العددية والتي تعنى بمعرفة خواص الأعداد من حيث التأليف ، ويعرف أيضا بعلم الحساب الذي يصفه ابن خلدون بـ : " صناعة علمية في حسبان الأعداد بالضم والتفريق[3] " والفائدة من هذا العلم معرفة كيفية مزاولة الأعداد لاستخراج المجهولات الحسابية : من الجمع والتفريق والتناسب والضرب والقسمة وهو ضروري لضبط المعاملات وحفظ الأموال ، وقضاء الديون ، وقسمة التركات بين الشركاء وغيرها ، ويحتاج إليه في العلوم الفلكية وفي المساحة وفي الطب ، وقيل : يحتاج إليه في جميع العلوم ، وينقسم في حد ذاته إلى عدة فروع[4] وبما أن بجاية كانت تمثل أحد أهم عواصم هذا العلم ، فقد أخذ الأوروبيون عنها الأرقام العربية والجبر و المقابلة وهندسة أوقليدس[5]، ومن أبرز العلماء الذين لعبوا دورا في ذلك هو الرياضي المهندس الإيطالي الجنسية " ليوناردو فيتشي " المولود سنة 571هـ/1175م[6] والذي عرف فيما بعد باسم Leonardo Filius Bouacci وعرفه المؤرخون باسمه الأول ، وكان استقراره ببجاية منذ الصغر رفقة والده الذي كان يعمل كسكرتير في الديوان، وبذلك تلقى دروسه على يد معلم من أهل بجاية يعرف بسيدي عمر، فتعلم الضرب والقسمة ، وحساب الكسور على أحدث الطرق التي كانت تدرس في المدارس العليا ببغداد و الموصل ، و أخذ بالجذور وحل

---

[1] – يحي بوعزيز: المرجع السابق،ص55

[2] – محمد الطمار: الروابط الثقافية، ص143

[3] – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة ،ص395

[4] – طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان،1405هـ/1985م، ص368

[5] – أحمد ضيف : بلاغة العرب في الأندلس،ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة ،تونس،1998،ص26

[6] – مختار حساني: الموسوعة،206/2

المعادلات ذات المجهول الواحد وذات المجهولين وغيرها من المعادلات التي شرحها أبو كامل ، وعمر الخيام وابن سينا و البيروني...، وبرع فيها حيث ألف كتابا باللغة اللاتينية " Liber Abuci" تحدث في فصله الأول عن الأرقام العربية لتنتشر بذلك في إيطاليا ومن بعدها بقية الدول أوروبا[1]، وبالتالي فإن علوم الجبر والمقابلة ...، دخلت البلدان المتوسطية عن طريق المغرب الأوسط ، هذا وهناك من يقول أن أول من أدخل الأرقام العربية " Les Chiffres Arabes" إلى أوروبا هو البابا سيلفيسترا الثاني (999م-1003م) الذي نهل العلوم بفاس من جامع القرويين[2] غير أن الكتابات الغربية تنسب ذلك لليوناردو البيزي .

إضافة لهذا فقد نبغ أهل الذمة من يهود ونصارى بالمغرب الأوسط بالعلوم الطبية ، فالمتتبع للنصوص التاريخية طوال العصور الوسطى يجد أن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين كانت تتميز بالمودة والتعاون ويظهر ذلك من خلال أوساط العلم والطب ، حيث كان علماء المسلمين وأطباؤهم يتعاونون مع إخوانهم من علماء النصارى واليهود ، و يأخذون عنهم ويقبلون شبانهم تلاميذ لهم ، ووصل الأمر إلى التعاون فيما بينهم في تأليف الكتب وفي الأبحاث في موضوعات الطب والأدوية خاصة[3] ، والطب يصنف من العلوم الطبيعية التي تبحث في أحوال الأجسام الطبيعية بأنواعها من الأفلاك والعناصر المركبة ، كالمواليد الثلاثة ، وكائنات الجو ، وغير ذلك من الحوادث العجيبة وغرائب المزاجات من الأحجار والنباتات والحيوانات[4]، وكما سبق الذكر فإن العديد من المسيحيين امتهنوا مهنة التطبيب بالمغرب الأوسط[5] ، وضف إلى هاته العلوم ، فقد برز النصارى كمهتمين بعلم المنطق أو ما يعرف بالفلسفة و يعرفه ابن خلدون بقوله : " وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات[6] ..."وهذا العلم ابتكره علماء اليونان ثم

1 – زيغرد هونكه: المرجع السابق،ص89-95

2 – عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام،291/1

3 – حسين مؤنس: عالم الإسلام، مطابع الزهراء للإعلام العربي، القاهرة،ص254

4 – طاش كبرى زاده: المصدر السابق،ص303

5 – أنظر المطلب الثاني من الأوضاع الاقتصادية ،الصناع والحرفيون، ص179

6 – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة ،ص401

ترجمت كتبهم إلى الملة الإسلامية ، وتناوله فلاسفة الإسلام بالدراسة والشرح والتلخيص ، كالفرابي وابن سينا ، وابن رشد ، وجاء المتأخرون منهم فغيروا اصطلاح المنطق وألحقوا به الكلام والجدل[1]، وقد كان لهذا العلم انتشار كبير بالمغرب وبشكل خاص في القرن 6هـ/12م ، فقد كان الأوروبيون يرسلون بتساؤلاتهم و استفساراتهم الفلسفية لعلماء المغرب قصد الإجابة عنها ، ومن الجدير بالذكر أن أوروبا كانت أكبر مستفيد من فلسفة ابن رشد ولا سيم من ترجماته لكتب أرسطو فالمؤرخ الفرنسي أرنست رنيان (1823-1892م) يقول : أنه لولا فلسفة ابن رشد لما فهمت فلسفة أرسطو ، وذكر البعض الآخر : ترجمة ابن رشد هي معتمد أوروبا[2]، وقد كان للعديد من المغاربة تأثير في فلسفة أوروبا وتحريرها من الجمود والروحانية والخيالية غير الواقعية ، وفكرة الإلحاد ومن شخصيات المغرب الأوسط نذكر أبي حامد الصغير المسيلي الذي كان له اجتهادات في الفلسفة والحكمة والتوحيد و الفقه[3] ، ولعل هذا التأثير الغربي بالفلسفة الإسلامية هو ما دفع ببعض المؤرخين إلى القول أنه في العصور الوسطى لم يكن هناك فلسفة مسيحية قط ، وإنما كانت عبارة عن شذرات متفرقات من الفكر اليوناني تستند في معظمها على اللاهوتية المسيحية بطريقة فيها كثير من التصنع والافتعال[4] ،يبدو أن هذا الجدل القائم ما هو إلا امتداد لذلك الذي كان في العصور الوسطى ، فقد كانت المجادلات والمحاورات والأخذ والرد والقبول والرفض متواجدة على أرض المغرب الأوسط ، إذ كانت هناك مناظرات بين المسلمين والنصارى وحتى اليهود تمس هذا العلم ،ولا شك أن كل واحد يسعى إلى توضيح معتقداته ووجهات نظره أمام الخصم[5]، وعليه فإن المناظرات العلمية تشكل أحد أهم المظاهر الثقافية التي عنيت بها الجالية المسيحية بالمغرب

---

[1] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان ، 476/2

[2] – محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ،ط2،مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ،الرباط،1397هـ/1977م،ص ص100،97

[3] – يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر ،ج1،ط2،ديوان المطبوعات الجامعية ،2007،ص162

[4] – إتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة وتعليق :إمام عبد الفتاح إمام،ط3، مكتبة مدبولي ، مصر ،1996،ص29

[5] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان ، 476/2

الأوسط وهذا بطبيعة الحال يؤثر في السير الثقافي للبلاد ويؤكد لنا أن هاته الفئة كانت لها إسهاما في هذا الجانب .

وفي ظل التطور و الازدهار التجاري بين سواحل أوروبا والمغرب الأوسط كان لزاما على التجار المسيحيين إتقان اللغة العربية المتعامل بها عند أهل المغرب، وهذا ما دعا حكومة جنوة إلى إنشاء مدرسة لتعليم اللغة العربية عام 604هـ/1207م وذلك حتى يتسنى لتجار جنوة التعامل والتخاطب مع تجار المغرب[1]، وضف إلى ذلك فإن اللغة العربية كانت لغة العلم والأدب الرفيع والدبلوماسية، وكان كل من يريد أن يطلع على أحدث المخترعات وأجمل المصنفات يضطر إلى تعلمها[2]، وفي المقابل عمل أهل المغرب على تعلم اللغة الإفرنجية وهذا بالضرورة يعكس مظهر من مظاهر التأثير والتأثر المتبادل بين المسلمين والمسيحيين[3] ، وهذا ما يؤكده وجود عدة مفردات عربية في الغالب اقتصادية في اللغة الأوروبية ومنها ، الكلمة الإيطالية Zecca من الكلمة العربية دار السكة ، Cheque مشتقة من كلمة صك ، Trafic بمعنى المتاجرة مأخوذة من الكلمة العربية تفريق ، ويذكر ليفي بروفنسال أن اللغة الإسبانية تحتوي على العديد من التسميات لمناصب ذات صبغة مالية وتجارية ولا يزال البعض منها مستهلكا لليوم كـ : Almojarife المشرف ، Alcabala وفي الفرنسية Gabel من القبالة[4]، و إضافة لهذا جسدت عملية تعلم النصارى للغة العربية في نقلهم العلوم المدونة في الكتب العربية إلى اللاتينية وغيرها من اللغات وهذا ما يعرف بحركة الترجمة[5] وفي هذا وجب التنويه إلى أن هاته الحركة لقيت الدعم والمساندة من الملوك في حد ذاتهم حيث أن الملك الإسباني ألفونس الحكيم 650هـ -638هـ/ 1252-1284م أنفق ثروة طائلة

---

[1] – حسن علي حسن: المرجع السابق،ص287

[2] – أحمد علي الملا: أثر العلماء المسلمون في الحضارة الأوروبية،ط2،دا الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،1401هـ/1981م، ص214

[3] – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث، ص115

[4] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 398-399

[5] – زينب عبد الله أحمد كرير : المرجع السابق،ص132

في سبيل تعميم التراث العربي الإسلامي ، ونشره في أوروبا[1] ،وقد ذكرت لنا كتب الحسبة كيف أن النصارى كانوا ينقلون هاته العلوم إلى لغتهم ، غير أن ابن عبدون كان يحذر من هذا حيث يقول :"...فإنهم يترجمون كتب العلوم ،وينسبونها إلى أهلهم و أساقفتهم ، وهي من تواليف المسلمين "[2]، وقد استفاد المسيحيون أيضا من لغتهم العربية في اشتغالهم كمترجمين ، فقد كان لكل أمة مترجمها الخاص ولكن ليس بصفة دائمة فقد يغير بين الآونة والأخرى[3] والترجمان هو شخص يجيد لغات غير لغته الأصلية ، وكانت له عدة مهام كالترجمة أثناء السفارات ، الترجمة في المعاملات التجارية ...[4]، وقد برز في العهد الحفصي شخصية هامة في هذا المجال هو القس إنسلم تورميدا المعروف باسم عبد الله الترجمان ، إذ كان محيطا بالعديد من اللغات كالإسبانية والإيطالية والفرنسية واليونانية ، كما أنه كان متفننا في العديد من العلوم والمعارف[5]، وبالتالي فإن نبوغ المغاربة في مختلف العلوم وبلوغهم مستوى من الريادة والإبداع ساهم في تطوير المجتمع وخلق منه أفرادا مثقفين من مختلف الفئات والأجناس العرقية والدينية ، استطاعوا إيصال تأثيراتهم الثقافية إلى أوروبا في مختلف الميادين من العلوم فحتى الأدب كان له نصيب من ذلك ، حيث يذكر روسكين جب : " ولعل خير ما أسدته الآداب الإسلامية لآداب أوروبا أنها أثرت بثقافتها وفكرها العربي في شعر ونثر العصور الوسطى "[6] وكل هذا يرجع الفضل فيه إلى ما لاقاه العلماء من عناية وتبجيل من طرف الملوك ، فيذكر التنسي عن يغمراسن بن زيان مثلا :"...وله في أهل العلم رغبة عالية يبحث عليهم أينما كانوا ، ويستقدمهم إلى بلاده ويقابلهم بماهم أهله ..."[7]

---

[1] – أحمد علي الملا: المرجع السابق،ص215

[2] – ابن عبدون: المصدر السابق،ص57

[3] – رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق،ص484

[4] – سالم أبو القاسم غومة: المرجع السابق،ص47

[5] – إنسلم تورميدا: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تقديم وتحقيق: محمود علي حماية،ط3،دار المعارف ،القاهرة،1992،ص21

[6] – يحي بوعزيز: الموجز ،ص163

[7] – محمد بن عبد الله التنسي: المصدر السابق،ص126

فالجالية المسيحية إذن كانت حاضرة على مختلف الجوانب والأصعدة بالمغرب الأوسط ، فعلى الرغم من أن المصادر العربية تهمل ذكرها وذكر اسهاماتها في الجانب الثقافي للبلاد إلا أنه لا يمكن تغييب هذه الفئة فبمجرد اختلاطها وتعايشها مع أهل المنطقة يفرض عليها الوضع الأخذ بعاداتهم وثقافاتهم ، كما أن ضرورة المنفعة الاقتصادية حتمت عليهم تعلم لغات سكان المنطقة والتعامل بها ، و أمام التطور العلمي الحاصل استطاعت الثقافة الإسلامية أن تفرض نفسها حتى في أوروبا عن طريق الروافد الرابطة بين المغرب الإسلامي عامة وحوض البحر المتوسط

الفصل الثالث:

مظاهر الحياة الاجتماعية

أولا: الحياة اليومية

ثانيا: العادات والتقاليد

ثالثا: الممارسات الدينية

الفصل الثالث: مظاهر الحياة الاجتماعية :

أولا : الحياة اليومية

شكل مجتمع المغرب الأوسط كغيره من المجتمعات الإسلامية بوتقة منصهرة العناصر والأفراد على اختلاف أجناسها وعرقياتها ومذاهبها وهذا ما خلق مميزات وظواهر لبنيته الداخلية إذ خلق تعدد الأجناس والأديان والمذاهب نوعا من التعدد والاختلاف في أنماط المعيشة ولعل هذا ما يثبته مقولة " بقاء الكتل السكانية الأصلية ونظيراتها المختلفة دينيا وعرفيا متمايزة ومنفصلة ويفسر بوجه آخر الانصهار المتبادل بين الاقوام حيث نتج عن ذلك بروز بوتقات جماعات أو طوائف جديدة وفي أطر هويات إسلامية جديدة[1] ، فالجالية النصرانية بمختلف عناصرها شكلت أقلية دينية من حيث اتباعها لدين سيدنا المسيح عليه السلام وعرقية من حيث تعدد أجناسها الوافدة على البلاد من أجل المنفعة العامة وعاشت في ظل دول تطبق شرائع الاسلام، وبطبيعة الحال فإن الدين له أثره الفاعل في تكوين المجتمعات وتحسين قوامها خصوصا وأنه يعتبر من أقوى الروابط التي توحد المجتمعات، كما أنه أساس إقامة العلاقات والروابط الاجتماعية سواء كانت على نطاق الأسرة أم على مستوى الوطن أم على مستوى الأمم والدول والشعوب كل هذه الأمور التي تخص أخلاقيات وتشريعات المجتمع نظمها الإسلام وكفلها[2]، إذن فمجتمع المغرب الأوسط وكل ما يميزه من عادات وتقاليد وحياة يومية كان قائما على المنهاج الإسلامي ففي ظل هذه الظروف المعيشية لسكان البلاد هل امتازت الحياة اليومية للأقلية المسيحية بوضع مماثل أم أنها كانت مغايرة لحياة شعوب المغرب الأوسط ؟

---

[1] – أيرام لابيدس: تاريخ المجتمعات الإسلامية،ط1،دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان،ج1،2011،ص112

[2] – محمد الزحيلي ، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، طبعة خاصة، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 1401هـ/1991م، ص83-84

1/:المسكن

رأينا من خلال دراستنا لأوضاع النصارى سواء السياسية أو الاقتصادية أن ذلك خلق نوعا من الاختلاف في الفئات التي تحددت بمعيار نشاطاتها القائمة بالمنطقة وهذا مما أدى في حد ذاته إلى تمايز أنماط المعيشة بين هاته الأطراف ولعل هذا ما يبرزه بشكل فاعل طبيعة المساكن التي آوتهم، والمسكن من الفعل سكن بمعنى السكون وذهاب الحركة ومنه سكنت الريح وسكن المطر وسكن الغضب[1]، ويقال سكنت الدار وفي الدار سكنا ، والاسم السكنى فأنا ساكن والجمع سكان والمسكن بفتح الكاف وكسرها البيت[2]، وفي مختار الصحاح بكسر الكاف هو المنزل والبيت[3]، ويذهب الفراهيدي إلى أن هذا اللفظ يطلق على البيت الذي لا يكون ملكا لصاحبه فيكون إما بكراء وإما بغير ذلك[4]، ولعل ذلك ما ينطبق على البعض من النصارى وعموما فإن اللغويين كلهم اتفقوا على أنه ما سكن إليه من أهل ومال وغير ذلك[5] إذن فهو المنزل أو الدار الذي يسكنه الأقوام واقترن هذا المدلول في بعض الأحيان بأسماء الأشخاص والقبائل[6].

وإذا ما تعرضنا للمنزل النصراني بالمغرب الأوسط فنجد أن المصادر لم تعنى بهذا الأمر ولم يرد فيها أي إشارة ، وانطلاقا من أن الأقلية المستقرة بالمنطقة بشكل قار من ذميين و سكان محليين كانوا يعيشون جنبا لجنب مع الأهالي وجب الأخذ بعين الاعتبار أن منازلهم متشابهة ،وإن لم تكن مطابقة للمنزل المغربي، فقد جاء عن العقباني أن بناء دورهم مع

---

[1] – الفراهيدي: العين،312/5

[2] – أحمد بن محمد المقري الفيومي: المصدر السابق،ص283

[3] – محمد بن أبي بكر الرازي: المصدر السابق،ص129

[4] – المصدر السابق،312،313/5

[5] – محمد بن أبي بكر الرازي: المصدر السابق،ص283

[6] – محمد حسن : المدينة والبادية،ص64

المسلمين لا مانع منه ولا خلاف أنهم لا يرفعون أكثر من المسلمين لقوله عليه السلام: "الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه"[1] .

ومن هنا كان لزاما علينا التعريف بالمنزل المغربي، وعموما فقد ارتبط طابع البناء في الغرب الإسلامي بموقعه الجغرافي والظروف التي مرت بها البلاد وبدا واضحا تأثره بالطرق المختلفة في التشييد والتعمير فمنذ الفتح الإسلامي للبلاد حمل الوافدون معهم خبراتهم في طريقة البناء وبذلك ظهرت المؤثرات الشرقية وغيرها في عمليات البناء في المساجد والحمامات والمنازل وغيرها من المرافق العامة[2] ، إضافة لهذا فقد كان لتشجيع الملوك دور بارز في تطوير عجلة المباني والمنشآت العمرانية فقد كان الأمراء الزيانيون مولعون ببناء الدور وتشييد القصور[3]، وبالنسبة لشكل المنازل فقد اختلفت حسب المستوى المادي للعائلات وحسب البيئة الحضرية أو البدوية وامتاز المنزل الريفي الموسر بتألفه من حديقة بأربع مسافات مستطيلة تفصلها وتحيط بها ممرات تتفاوت في الارتفاع حسب ما تقتضيه الحاجة وتضم نافورات وبرك وتطل عليها أروقة الغرف الجانبية ويمتد بينهما بهو متسع بقسم كبير من اللون الأحمر مع زخارف من تشبيكات سداسية أو ثمانية وتوريقات بارزة[4]، أما المساكن الأخرى فكانت بسيطة تتكون فقط من الغرف وهي مبنية من الحجارة والطين والخوص أو الشجر[5]، وكما رأينا فإن عدد النصارى المستقرين بالبادية كان قليلا جدا وفي بعض الأحيان يكاد ينعدم ويبدوا أن العبيد والأسرى المسيحيين الذين خدموا بالبادية سكنوا هذا النوع من المنازل[6] وبشكل عام فإن عمران البادية كما وصفها ابن خلدون " ناقصة عن عمران

---

[1] – أبي عبد الله العقباني : تحفة الناظر وغنية الذاكر في ذكر الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوفي، د.ط، مقتطف من الدراسات الشرقية، المعهد الفرنسي ، دمشق، 1967.، ص72

[2] – حسن علي حسن : المرجع السابق، ص374

[3] – التنسي: المصدر السابق،ص140

[4] – إبراهيم القادري بوتشيش :المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع ،الذهنيات،الأولياء،ط1،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت،1993،ص 32-33

[5] – رشيد بورروبية: المرجع السابق،ص163

[6] – روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص467

الحواضر والأمصار لأن الأمور الضرورية في العمران ليس كلها موجودة لأهل البدو..."[1]، أما عن الحاضرة فقد أقيمت بمدن المغرب الأوسط أحياء خاصة للجاليات الأجنبية والمسيحية واليهودية[2]، وكان يعرف حي النصارى بالربض وهو عبارة عن حي منفصل خاص بسكنى الجند المرتزقة[3]، فكما عرفه القلقشندي: " هو المتخذ لسكنى النصارى من الفرنج المستخدمين بخدمة السلطان "[4] وقد أطلق عليه ابن خلدون اسم الملاح بالمغرب الأقصى ووصفه على أنه "المعسكر الخاص بجند النصارى "[5]، وكانت ثكناتهم في العهد الزياني تفتح خارج أسوار المدينة وقد يرجع ذلك الى حرص الملوك على إبقائهم خارج المدينة خوفا من تمردهم وعدم تأكدهم من ولائهم التام لهم[6]، والملاحظ أن الربض أساسا في معناه اللغوي هو ما حول المدينة ومسكن كل قوم ربض وجاء في قول الشاعر :

جاء الشتاء ولم اتخذ ربضا يا ريح كفي من حفر القراميص[7]

أما السكان الذميين القاطنين بالمدينة فقد سكنوا منازل عادية فلم تذكر كتب التواريخ على عزل رباع هؤلاء عن ديار المسلمين[8]، وقد شكلت دور العائلات الثرية معالم عمرانية حيث تميزت بشساعتها واحتوائها على حجرات كبيرة وقاعة مخصصة تحيط بها الحدائق تتخللها ممرات وبها نافورات وبرك وتنتشر فيها الأزهار وأنواع عديدة من الأشجار، أما العائلات الفقيرة فكانت تحتوي منازلها على حجرات صغيرة وبئر في الوسط وأحيانا "قصيبة " وهي حجرة علوية يصعد إليها بدرج[9]، وورد في كتب النوازل عن اشتراك بئر بين دار رجل مسلم

---

1 – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، ص97

2 – عبد الحليم عويس : المرجع السابق،ص275

3 – عبد العزيز فيلالي: تلمسان،189/1

4 – صبح الأعشى،149/5

5 – عبد الرحمن ابن خلدون: كتاب العبر،315/7

6 –R. Le Tourneau .Les villes musulmanes de l'Afrique du nord .Alger.1957.p47

7 –أحمد بن فارس بن زكريا: المصدر السابق،477/2-478

8 – أحمد شحلان: الحياة العامة في أندلس العصر الوسيط، مجلة الأندلس، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، الرباط،2011،ص 55

9 – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين،ص33

ودار نصراني[1]، وهذا ما يؤكد مسألة مجاورة بعض منازل النصارى لمنازل المسلمين كما أن كتب الحسبة تكشف الغطاء عن ذلك من خلال ذكرها لإشراف أهل الذمة على المسلمين في منازلهم[2]، وبصفة عامة فان المنازل امتازت بطابع متشابه في البناء وكانت غالبيتها تتكون من جزئيين أساسيين هما الجزء الداخلي والجزء الخارجي ويشكل الجزء الداخلي فرقا شاسعا عن الجزء الخارجي حيث كان الأول غالبا ما يكون ثريا بأنواع الزينة والزخرفة أما الجزء الخارجي فكان بسيطا وعاديا[3]، ويبدوا أن النصارى كانوا يستعينون ببعض الرموز الدينية الخاصة بهم لتزيين مخارج بيوتهم ومحلاتهم فقد ذكر ابن الحاج ما يفعله بعضهم من وضع الصليب على الأبواب وفي مختلف الأركان[4]، ومن المكونات الأساسية للمنزل الصحن الذي يعتبر جوهر المبنى فقد كان له مكانة كبيرة في أسلوب السكن والمعيشة حيث تطل عليه الحجرات من جميع جهاته وقد كان ذو منافع عديدة في الحياة اليومية[5]، ففيه يقضي سكان المنزل معظم أوقاتهم وفيه يمارسون حياتهم العائلية وكان في الغالب يتخذ على شكل مستطيل الذي تقع حوله غرف المنزل[6]، وكانت المساكن تتكون من طابقيين أو أكثر يكون عادة الطابق السفلي للأبويين والعلوي للأبناء، هذا وتميزت البيوت بوجود حجر في عتبتها مخصص للصعود عليه بغية الوصول للباب[7]، أما عن دعامة الطوابق العلوية فقد كانت تمثلها السلالم التي تكون إما خشبية أو عبارة عن درج مصنوع من الطوب[8]، وبالنسبة للسقوف فمنها ما هو من القرميد ومنها ما هو من التبن[9]، وكانت البعض منها مطلية

---

1 – الونشريسي: المصدر السابق،208/5

2 – ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق،ص122

3 – نوارة شرقي: المرجع السابق،ص210

4 – ابن الحاج: المصدر السابق،164/4

5 – محمد رابح فيسة: المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة دراسة تاريخية أثرية، رسالة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف: عبد العزيز محمود لعرج، جامعة الجزائر، 2004م-2005م

6 – نوارة شرقي : المرجع السابق،ص210

7 – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص32

8 – السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الأندلس،ص185

9 – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين،ص32

بالقصدير والأصباغ الملونة في حين أن الأرضية تزيين بالزليج المتعدد الألوان كاللون الأبيض والأزرق والأصفر ... ،أما عن المواد الأساسية للبناء فتمثلت في الآجر والطين والكلس والقرميد[1]، أما عن الأثاث فيبدوا أنها اختلفت من منزل لآخر حسب المستوى المعيشي الا أنه هناك البعض منه وجب توفره كالخزنة التي يخبأ فيها الحلي والأشياء[2] ، إضافة للخزانة التي تجمع فيها الملابس[3]، والظاهر أن مربط الاختلاف بين سكنى النصارى والمسلمين يكمن في اختلاف أثاثها حيث جاء ذكر بعضها في نازلة لابن رشد وهي : قنديل معلق وأثار كثيرة ألصقت فيها شموع ولوح على أربعة قوائم شبه المحمل وعصا على رأسها عود مصلب والعود فيه قدر شبر أو أكثر من ذلك و أقراص صغار من عجين قد جففت واحدة منها طابع كما كانت توجد كتب خاصة بالنصارى وشموع كثيرة ومن الواضح أن جمعيها عبارة عن وسائل تعبدية خاصة بالديانة المسيحية[4]، وعليه فإن تشابه دور النصارى مع دور المسلمين يكمن في نوع البناء وإحكاماته ويبرز الاختلاف في نوعية الأثاث الذي أثر فيه الطابع الديني، ويبدوا أن البعض من البنايات لم تخلو من التأثيرات المسيحية فقد انعكس الفن المسيحي على البناء والزخرفة المغربية[5]، وتنبغي الإشارة الى أن هذه الدور والبيوت لزم أن تكون في أرض أصحابها سواء بملكية خاصة أو أرض لأحد لهم فيها صاحبها[6] ، وبالنظر الى ما منحت من حقوق للنصارى من طرف ملوك المغرب الاوسط فنجد أن بعض الأحياء التي خصصت لسكانهم كانت تتوفر على مختلف المرافق العامة من حانات و أسواق لبيع الخمور ولحم الخنزير ... ، ومع هذا فإن ذلك لم يمنع من مخالطة شرائح سكان

---

[1] – نوارة شرقي : المرجع السابق،ص211-212

[2] – الهادي روجي إدريس: المرجع السابق،214/2

[3] – ابن مرزوق: المناقب المرزوقية،ص155

[4] – أبو الوليد محمد بن رشد: فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق: المختار بن الطاهر التليلي،ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان ،بيروت،1407هـ/1987م، السفر الأول،ص1462-1463

[5] – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث ،ص125،124

[6] – أبو العباس الفرسطائي: القسمة وأصول الأرض، كتاب في فقه العمارة الإسلامية، تقديم وتحقيق: بكير بن محمد الشيخ بلحاج، محمد صالح ناصر، ط2، جمعية التراث ، القرارة، الجزائر، 1418هـ/1997م،ص 230

البلاد[1]، وعلى العموم فإن المدينة أقيمت بها مساكن جميلة خصوصا أنها كانت تشكل ريعا حضاريا تجاريا حيث ساهم التجار في هذا التطور[2]، وهذا ما يؤكده الوزان بقوله عن مدينة الجزائر "... بها بيوت جميلة تتوفر على المرافق التي يحتاج اليها التجار من فنادق وحمامات وهذا ما ينطبق على بقية مدن المغرب الأوسط[3].

ومن خلال هذا يتبين لنا أن هذه الدور و المساكن كانت خاصة لسكنى الأقلية المستقرة بالبلاد وبالجند المرتزقة وأما التجار المستأمنين فكما سبق الذكر فقد سكنوا الفنادق، فبماذا تميز الطابع العمراني للفنادق؟ وكيف كانت حياتهم الخاصة به ؟

إذا ما تطرقنا للفنادق في العصر الوسيط نجد أنها ترتبط في مدلولها بالحركة التجارية والأسواق وفي بعض الأحيان تنشأ خارج الأحياء السكنية وبالقرب من أسوار المدينة وفي مختلف ضواحي وأرباض مدن المغرب الأوسط[4]، وهي عبارة عن ساحة تحيط جهاتها الأربع عمارات من طابقين أو أكثر وفي دورها الأرضي توجد مخازن للسلع ودكاكين وإسطبلات وحمامات[5] وشكلت الغرف إحدى أهم المكونات المعمارية الرئيسية للفنادق باعتبارها المكان الذي يقضي فيه التجار أوقاتهم بعد الانتهاء من عملية البيع والشراء وقد اختلفت مقاساتها وأشكالها من فندق لآخر[6]، وفي العادة خصصت غرف الطوابق العلوية لاستقبال المسافرين وايواء التجار قصد النوم والراحة في حين أن الطبقة الأرضية استعملت للحيوانات والبضائع[7] ومثلما شكل الصحن عنصرا هاما في المنازل المغربية فقد كان تواجده بالفنادق ضرورة حتمية وربما يرجع ذلك للفوائد الصحية والاجتماعية والنفسية التي يعود بها على الفرد حيث أنه يمد مختلف أجزاء المبنى بالنور والتهوية وأشعة الشمس ويستمد منه حاجاته من تنقية هواء

---

1 – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث،ص72

2 – مختار حساني: الموسوعة ،58/3

3 – وصف إفريقيا ،37/2

4 – عبد العزيز فيلالي: تلمسان،137/1

5 – لطيفة بشاري: مكانة تلمسان التجارية،ص28

6 – مريم عبد الله جبودة : المرجع السابق، ص205

7 – عمر بلوط: المرجع السابق، ص107

وتكسير حدة الضوء وشدة الرياح والتقليل من حدة التيارات الهوائية الباردة شتاء أو الحارة صيفا[1]، وقد اختلفت أشكاله حسب مساحات المنازل والفنادق فقد تكون مربعة أو مستطيلة[2] ومما زاد في أهميته بالفنادق هو اعتباره مكانا مخصصا لعرض سلع التجارة ومسرحا لممارسة العمليات التجارية، ومن المناظر الجمالية التي انتشرت بالفنادق الأحواض وقد وجدت أغلب هذه الأحواض بشكل مستطيل تبنى من مادة الرخام وتكسى بمربعات خزفية لتشكل مجموعة زخرفية جميلة وكانت جلها مبنية في الطابق الأرضي عند نهاية سقيفة المداخل سواء على الجهة اليمنى أو اليسرى على حسب مساحة المكان وكانت تكمن وظيفتها في تخصيصها لشرب الحيوانات المرافقة للتجار[3]، وكما سبق الاشارة من قبل فإن هاته المؤسسات كانت تحتوي على الكثير من المرفقات العامة التي تخدم التجار المسيحيين كالدكاكين التي يتم فيها البيع بالجملة أو التجزئة والأفران وقاعة المداولة والأحكام والحانات والمقابر إضافة لكنائس قصد تأدية شعائرهم الدينية وعرفت كنائس الجنويين والبنادقة في تلمسان الزيانية باسم القديسة مريم sainte marie، ويبدوا أنه لم تكن للجمهوريات الايطالية كنائس أخرى خارج الفنادق[4]، وامتازت هذه الكنائس في الغالب بالبساطة في البناء إذ كانت عبارة عن غرفة كبيرة لا يسمح بارتفاعها وعلوها كثيرا فالإسلام يعلو ولا يعلى عليه[5]، وضف إلى ذلك فقد كان يحتوي على غرف لإقامة موثق العهود والقناصل، ومقرا للقاضي والسجن[6]، حيث استخدمت بعض الغرف لسجن التجار المخالفين الذين يصدر ضدهم القنصل أحكاما[7]، ومن المؤكد أن هذه الفنادق كانت لها أبواب ومداخل والباب هو مدخل في سور مدينة أو واجهة

---

[1] – فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية ، عصر الولاة ، هـ –م ع ك ، القاهرة ،1970،،ج1ص 28-29

[2] – بلجوزي بوعبد الله: دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف: بويحياوي عزالدين، جامعة الجزائر، السنة الجامعية2005م –2006م، ص67

[3] – عمر بلوط : المرجع السابق، ص 108–110

[4] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان ،138/1

[5] – العقباني : المصدر السابق، ص19

[6] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص401

[7] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان،138/1

مسجد أو قصر أو خان أو جدار بيت أو بين الغرف وقد برع المسيحيون في الأعمال الخشبية والمعدنية واستغلوا ذلك في صناعة الأبواب وقد يكون الباب بمصراع ضلفة واحد أواثنين أو أكثر[1]، ولقد تميزت الفنادق بالمغرب الأوسط عامة وتلمسان خاصة بمداخل كبيرة مرتفعة تصل في الغالب حتى علو جدران الواجهة كما أنها امتازت بالاستقامة حيث لم تعرف لا التواء ولا انكسار والغرض من هذا هو كي يعرف المارون ما يعرض بالساحة المركزية للفندق واحتوت غالبية الفنادق على مدخل رئيسي واحد فقط كان يغلق ليلا من أجل الحفاظ على الأمن[2]، وعموما فإن الفنادق كانت تشكل طابعا إسلاميا معماريا فريدا يحوي جاليات أجنبية، ومن العناصر المعمارية التي عرفتها السقف والذي يغطي هذا النوع من الأبنية أو كما يعرف بالسقيفة ، وفي معظم الأحيان يكون من الخشب وقد كان الصحن أيضا يسقف " السقائف المستديرة بالصحن "، أي يكون على جنباته وما يحيط به من أروقة[*][3]، أما الأرضيات فلم تكن تغطيتها قائمة على مواد ذات قيمة جمالية وفنية كبيرة كالرخام والبلاطات الخزفية ....، بل كانت تغطى بالحجر أو الرمل أو الآجر[4]، وضف إلى ذلك فإن هاته الفنادق كانت تعتمد على العقود والدعامات وكانت هذه الأخيرة إحدى الوسائل التي تستند عليها العقود الحاملة للسقف وتمتاز بالفخامة والثقل ويرجع تاريخ انتشارها بالمنطقة إلى العهد المرابطي[5]، أما العقود فهي عنصر معماري مقوس يعتمد على نقطة ارتكاز واحدة أو أكثر ويشكل عادة فتحات البناء أو يحيط بها ويتألف من عدة حجارة كل واحدة تسمى فقرة أو صنجة وقد عرفت العمارة المغربية عقد حدوة الفرس وعقد المفصص الذي يتألف من دوائر

---

[1] – يحي وزيري: موسوعة عناصر العمارة الإسلامية،ط1. مكتبة مدبولي ، القاهرة ،1991،ج1،ص39

[2] – عمر بلوط: المرجع السابق،ص108–109

[*] – وهي الممرات المسقفة التي تفصل الساحة عن الحوانيت التي تحوف بها، وهي على مستويين، الرواق الأرضي أو السفلي، والرواق العلوي،ص115

[3] – السيد عبد العزيز سالم: بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 1–2، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، إسبانيا،1377ه/1957م،ص252–253

[4] – عمر بلوط : المرجع السابق، ص112

[5] – المرجع نفسه،ص117

تلتف على بطن العقد وعقد التخفيف وهو عبارة عن الجزء من دائرة "موتور"[1]، أما الغرف فإضافة للأثاث الموجود بها فقد وجدت خزائن جدارية خصصت لوضع حاجيات التجار[2]، وبالتالي فإن الفنادق شكلت مقرا لسكنى التجار النصارى ولعلها كانت عامل من عوامل استقطاب الأوروبيين وتجارتهم بالمنطقة نظرا لما تميزت به من توفير للراحة ومختلف الضروريات التي يحتاجها الفرد والجدير بالذكر أنها لم تكن أماكن إقامة مؤقتة فقط بل وجد الكثير ممن اتخذ منها مكانا لاستقرارهم وإقامتهم الدائمة[3].

إذن فالجالية المسيحية بالمغرب الأوسط لم تقف في وجهها أزمات ومشاكل في ظل الدولة الإسلامية التي لم تعاملهم من منطلق غرباء عن دار الاسلام يدينون بديانة دار الكفار وقد كان توفر المأوى لهم والعناية بهم أهم مظهر من مظاهر تسامح المغاربة مع هاته الفئة بل وتعدى الأمر إلى مخالطتهم والتعايش معهم وهذا ما سنلاحظه في بقية الموضوع.

---

[1] – يحي وزيري: المرجع السابق،61/2

[2] – عمر بلوط: المرجع السابق،ص116

[3] – نوارة شرقي: المرجع السابق،ص242

2/ : اللباس

تعتبر الأزياء والملابس من أهم المقومات الحضارية نظرا للخاصية التي تكتسبها من جانبها الاجتماعي حيث أنها تعبر عن ظواهر المجتمع وتشكل أحد رموزه الدالة عليه خصوصا وأنه تميزت بالاختلاف والتنوع من قطر لقطر وبالتالي فهي تعطينا صورا واضحة عن الاحوال الاجتماعية للأفراد ولذلك فقد عرفت على أنها مميزة باختلاف أشكالها حسب الشعوب والأمم وعلى مر العصور فلكل أمة طابعها الخاص في الملبس الذي يرجع إلى أحوال جوها وتقاليدها واقتصادها ونتاجها[1] ، وقد عدها بوتشيش أنها شكل ثقافي يجسد رؤية الجماعة والفرد والمعايير الاجتماعية وتكمن وظيفة اللباس في ابراز اختلافات الامتيازات الاجتماعية والمهنية فاللباس ما هو إلا تجسيد للتمايز الاجتماعي[2]، ووفقا لذلك فإن الباحثين يجمعون على أنه لكل ثقافة زيها الذي تميزها عن الثقافات الأخرى والذي يتماشى ويتلاءم مع معتقداتها وظروفها الاقتصادية والطبيعية والنفسية[3]، ويشمل مصطلح الأزياء في مدلوله الملابس الرسمية بمختلف أنواعها ويتسع المعنى فيشمل ملحقات أخرى مثل غطاء الرأس والنقاب والحزام والقفاز والحذاء كما يشمل أساليب تصفيف الشعر وتهذيب اللحية وكذلك الطرق البدائية في تزيين الجسم بالأصباغ وثقب الأذن والشفاه والأنف لاستخدام الحلي...[4] وقد خضعت لتطور الحضارة حيث كانت عند الشعوب البدائية تعتمد على المواد التي تقدمها الطبيعة من ورق الشجر أو الصوف والجلود ومع تقدم الحضارة وما رافقها من تربية المواشي وتدجين النباتات لتجهيز المواد الأولية استجابة لمتطلبات الغزل والحياكة والنسيج والصباغة ثم الخياطة، وأدى ذلك كله إلى تطور صناعة الألبسة متأثرة في نفس الوقت بالمستويات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات عير العصور[5]، وهذا ما عبر عنه ابن خلدون بقوله

---

[1] – الموسوعة العربية الميسرة،ص252

[2] – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص75

[3] – خديجة قروعي: المرجع السابق، ص287

[4] – الموسوعة العربية الميسرة ،ص252

[5] – صالح أحمد العلي: المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت – لبنان، 2003م،ص5

:"اعلم أن المعتدلين من بشر في معنى الإنسانية لا بد لهم من الفكر في الدفء كالفكر في الكن، ويحصل الدفء باشتمال المنسوج للوقاية من الحر والبرد، ولا بد لذلك من إلحام الغزل حتى يصير ثوباً واحداً، وهو النسج والحياكة، فإن كانوا بادية اقتصروا عليه وإن مالوا إلى الحضارة فصلوا تلك المنسوجة قطعاً يقدرون منها ثوباً على البدن بشكله وتعدد أعضائه واختلاف نواحيها. ثم يلائمون بين تلك القطع بالوصائل حتى تصير ثوباً واحداً على البدن ويلبسونها"[1].

وبما أن الألبسة اختلفت من مجتمع لآخر، فإن ثياب الدول الاسلامية تمايزت وتباينت عن ثياب الدول النصرانية وبطبيعة الحال هذا يطرح اشكالية تشابه ملابس الجالية المسيحية بالمغرب الأوسط مع أزياء المسلمين ؟

إن لباس أهل الذمة عامة بأرض الاسلام خضع لعديد من التخريجات والنصوص الفقهية حيث أنه ألزم عليهم عدم التشبه بالمسلمين في ثيابهم وأزيائهم وهو ما أطلق عليه لفظ "الغيار"[2] ، ولغة هو البدال وهو البدل من كل شيء[3]، وبمعنى غاير السلعة ومنه قول الشاعر :

فلا تحسبني لكم كافرا ولا تحسبني أريد الغيار

وهو علامة أهل الذمة[4] ، وقد كان بدء أمره في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ كتب إلى الأمصار أن يجزوا نواصيهم ولا يلبسوا لبسة المسلمين حتى يعرفوا من بينهم[5]، وورد في هذا الشأن أن عمر قال "اكتب بأمرنا يا رفأ الى أهل الامصار في أهل الكتاب أن

---

1 – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة،ص324

2 – حسن الممي: المرجع السابق،ص73

3 – مصطفى إبراهيم وآخرون: المرجع السابق،668/2

4 – المرتضى الزبيدي: المصدر السابق، 289/13

5 – ابن القيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، تح: يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العاروري، ط1، رمادي للنشر، السعودية ،1997،1/194

تجز نواصيهم وأن يربطوا الكستيجان في أوساطه ليعرف زيهم من زي أهل الاسلام"[1] ، وقد جاء عند أبي يوسف في كتاب الخراج " وأن يتقدم فِي أن لا يترك أحد منهم يتشبه بالمسلمين فِي لباسه ولا فِي مركبه ولا فِي هيئته ، ويؤخذوا بأن يجعلوا فِي أوساطهم الزنارات – مثل الخيط الغليظ يعقده فِي وسطه كل واحد منهم – وبأن تكون قلانسهم مضربة ، وأن يتخذوا عَلَى سروجهم فِي موضع القرابيس مثل الرمانة من خشب ، وبأن يجعلوا شراك نعالهم مثنية ، ولا يحذوا عَلَى حذو المسلمين."[2]، وقد وردت الكثير من الروايات التي تنسب حقيقة الغيار وما تبعه من الزامات لأهل الذمة فتارة تنسب لعهد الرسول صلى الله عليه وسلم وتارة أخرى ترجع الى عهد عمر رضي الله عنه، إلا أن المصادر تركز على هاته الأخيرة بشدة[3]، ومهما يكن من ذلك فإن النصارى تميزت عن غيرها من المسلمين في الألبسة والأزياء فقد ألزم الخليفة هارون الرشيد في بلاد المشرق أهل الذمة بما جاء في الوصية العمرية[4]، وقد امتد هذا الأمر إلى بلاد المغرب حيث أنه في العهد الأغلبي فرض على اليهود والنصارى على حد السواء وضع رقاع بيضاء على أكتافهم في كل رقعة قرد وخنزير[5]، والظاهر أنهم لم يتقيدوا بلباسهم الخاص فيما تبع ذلك من قرون وهذا ما جعل أمراء الدولة المرابطية يدعونهم إلى الالتزام به إلا أنهم عادوا إلى تركه و الراجح أنهم أخذوا بأزياء المسلمين ولم يعد يفرق بينهم وبين غيرهم وزادوا في مظاهر التأنق[6]، ولا بد أن هذا من الأسباب التي جعلت بكتب الحسبة تشدد في منع أهل الذمة من التزي بما هو من زي المسلمين أو بما هو من أبهة ، وأجبرهم على وضع شارات يتميزون بها كالشكلة للذكور والجلجل للإناث[7]، ومع نهاية القرن 6 هـ /12 م وجد النصارى أنفسهم ملزمين باتباع أوامر الدولة الموحدية في الثبوت على ما

---

1 – المصدر نفسه،1306/2

2 – أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم: كتاب الخراج، د.ط، دار المعرفة ، بيروت –لبنان، 1399هـ/1979م،ص127

3 – حسن الممي: المرجع السابق،ص74

4 – آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، تر: محمد الهادي أبوريدة، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، د.س، مج1،ص101

5 – أبي بكر عبد الله المالكي: رياض النفوس، 467/1

6 – عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص58-59

7 – الجرسيقي : المصدر السابق،ص122

جاء به عهد الغيار ولذلك خصص لهم لباسا يتميزون به دون غيرهم[1]، وعلى العموم فقد تميزت ألبستهم حتى ذلك العهد بما تميزهم عن سائر المسلمين وتمثلت في :

الزنار: عرفه ابن منظور بأنه ما على الذمي ويشده في وسطه[2]، وقيل عنه: تحزم فوق الثوب بالزنير، تقسم إستيالها بنير ، وتزنر النصراني بمعنى شد الزنار على وسطه وهو خيط غليظ بقدر الإصبع من الإبرسيم يشد على الوسط وهو غير الكستيج وهناك مثل متداول يقول "إذا عطس الذمي ينقطع زناره" وذلك لأن الزنار يضغط على أحشائه وهو في الغالب نسائج ملونة من الحرير تضع لأجل التمنطق بها[3]، أما عن طريقة لبسه فيكون بشده على الوسط ولا يكفي شدها تحت ثيابهم بل لا تكون إلا ظاهرة بادية فوق الثياب وقد ورد في كتاب الأحكام أن تكون باللون الرمادي[4]، وقد ثبت لبس الجالية المسيحية بالمغرب الأوسط هذه الزنانير من خلال كتب النوازل، حيث يذكر الونشريسي أنهم كانوا يشدون الزنانير على أوساطهم[5]، وقد ورد في كتاب أحكام السوق أن تكون الزنانير عريضة مغبرة في وجه ثوب النصراني ليعرف بها ، وفي حال ما إذا ترك الذمي ذلك فإنه يعاقب بالضرب والسجن ويطاف به في موضع اليهود والنصارى[6].

الشكلة: تعد من الألبسة التي لبسها أهل الذمة وتتكون من القميص والبرنس[*] والقلنسوة وتتمايز قمصانهم بطول أدرانها وبأكمام مفرطة في السعة وتكون بلون أغبر[7]،

---

[1] – جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاته، ص307

[2] – لسان العرب،1871/3

[3] – رجب عبد الجواد إبراهيم: المعجم العربي لأسماء الملابس، تق: محمود فهمي حجازي، مراجعة المادة المغربية: عبد الهادي التازي،ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1423هـ/2002م ،ص214-215

[4] – ابن القيم الجوزية: أحكام أهل الذمة،1308/2

[5] – المعيار المعرب،256/2

[6] – أبو زكريا يحي الكناني: أحكام السوق النظر والأحكام في جميع أحوال السوق، تح: أبو سلمان محمد العمراوي، د.ط، تم نشره باعتناء جلال علي الجهاني عن الطبعة التونسية،2012م،ص 65-66

[*] – قلنسوة طويلة ، أو كل ثوب رأسه من دراعة ، القاموس المحيط، ص685

[7] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص246

وقد كان يكفيهم أن يلبسوا ثوبا واحدا من جملة ما يلبسون[1] ، ولبس النصارى القلانس بعد أن أصبحت لباسا قديما عند المسلمين وبذلك بقيت خاصة بهم[2]، والقلنسوة كلمة لاتينية معربة cucillus وهي بمعنى قبعة أو غطاء للرأس وعند دوزي فهي تشير الى الطاقية التي توضع تحت العمامة وهي شقة من البز، ومرادفة كلمة طربوش[3]، وقد ذكرها ابن بطوطة في حديثه عن رهبان القسطنطينية "... وعليه المسوح وعلى رأسه قلنسوة لبد ..."[4]، وأورد الونشريسي أنها قلانس لطاف متقاربة ويكون في وسطها أو في أعلاها رقاع من لبود أحمر أو خرق حمر تخالف ألوان القلانس ليعرفوا بها[5]، ضف إلى ذلك فقد أجيز لهم لبس العمامة وهي عبارة عن شريط مستطيل من القماش ملون حول الرأس ويحيط بالعنق وقد امتازت عمائم المغرب الأوسط بالفخامة وصنع الاتقان والتطريز[6]، غير أن العمائم التي تزي بها النصارى اختلفت عنها إذ اشترط أن تكون عمائمهم من رقيق الكتان ولا من الشروب[*] وتكون قريبة الثمن ووجب عليهم ألا يعظم أكوارها وألا يرسلوا لها ذوائب بين أكتافهم وأن لا يجعلوا لها أحناكا وهو العثنون تحت الذقن وكل ذلك القصد منه عدم التباهي على المسلمين[7]، هذا وجرى الاختلاف في ألوان العمائم عن طرائق النصارى حيث كان القبط يلبسون العمائم الزرق في حين لبس السامرية العمائم الحمر[8]، كما انتشر عندهم لبس العمائم البيض والسوداء وغير ذلك وقد ذكر القلقشندي أن طولها بلغ حتى العشر أذرع[9] إضافة لهذا فقد أجاز لهم الفقهاء لبس ما صغر وزن قضيبه من الخواتيم شريطة أن يكون

---

1 – ابن القيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، 1308/2

2 – آدم متز: المرجع السابق،ص102

3 – رجب عبد الجواد إبراهيم: المرجع السابق،ص402-403

4 – المصدر السابق،ص194

5 – المعيار المعرب،256/2

6 – الهادي روجي إدريس : المرجع السابق، 206/2

* – نوع من القماش مابين الحرير والكتان

7 – الونشريسي: المصدر السابق، 255/2

8 – محمد حسن : المدينة والبادية،808/2

9 – صبح الأعشى، 94/5

فصه زجاجا وأن لا ينقش على خواتمهم بالعربية[1] ، فقد جاء في "السنن" و"المسند" من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : "لا تَسْتَضِيئُوا بِنَارِ الْمُشْرِكِ ، وَلا تَنْقُشُوا فِي خَوَاتِيمِكُمْ عَرَبِيًّ "[2]، والجدير بالإشارة أيضا أن الفقهاء فرضوا تقليد أهل الذمة دنانير من النحاس أو الرصاص أو القزدير أثناء دخولهم الحمام والقصد من وراء هذا التمييز عن سائر المسلمين[3]، ويبدوا أن هذه الاجراءات التي اتخذها الحكام المرابطين والموحدين والتي شرعها الفقهاء وأكدوا على تطبيقها ما هي إلا نتيجة لأوضاع شهدتها بلاد المغرب عامة ألا وهي محاولة النصارى التخلي عن ما ألزمهم به الإسلام من لباس ، والسعي للتشبه بأزياء أهل المنطقة المسلمين .

وهذا بالضرورة فهو يعكس موقف القوة الذي كان عليه المسلمين من الناحية السياسية والتي أثرت على الجانب الاجتماعي ولعل هذا لم يكن إلا طموحا من أهل الذمة بغية فرض وزنهم داخل المجتمع والعمل على تحسين وضعيتهم[4]، وأغلب الظن أنهم استطاعوا التخلص من هذا الوضع بالبلاد عهد الدويلات الثلاث الحفصية والزيانية والمرينية، فقد حدثنا العقباني عن تشبه أهل الذمة بالمسلمين في زي الملبس والمركوب بقوله "... ومن ذلك تظاهرهم بمشاكلة المسلمين في زي الملبس والمركوب كتركهم الزنار أو غيره من علامة اللباس الذي يميزهم عن المسلمين ..."[5] ، والظاهر أنه في هذه الفترة وقع نوع من التساهل مع النصارى عكس ما كان عليه الوضع في القرن 6 هـ /12 م فلا يمكن الجزم بأن جل الأقلية المسيحية المقيمة بالبلاد كانت تلبس ثياب المسلمين خصوصا وأن البرزلي ذكر أنه كان لهم زي على رؤوسهم يلزمونه ولا شك أنها العمائم، كما أن السلطان الحفصي آنذاك ألزم البعض الذي تزي بزي المسلمين تركه[6]، وبشكل عام فإن أهل الذمة من النصارى واليهود كان لهم لباسهم

---

[1] – عيسى بن الذيب: المرجع السبق،ص246

[2] – ابن القيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، 450/1

[3] – الونشريسي: المصدر السابق، 256/2

[4] زينب عبد الله أحمد كرير : المرجع السابق،ص174

[5] – أحمد العقباني: المصدر السابق، ص167

[6] – المصدر السابق، 44/2

الخاص بهم وبقي التعامل به طيلة فترة العصور الوسطى قصد التميز عن بقية المسلمين بالمغرب الأوسط[1]، إلا أنهم في القرن 8 هـ و 9هـ /14 م 15م أصبحوا يتمتعون بحرية أكثر وقل التضييق عليهم في مثل هاته الأمور إلا أن الملاحظ في ذلك أن الوجهاء منهم كانوا يأنفون من أن يصبحوا سواء مع المسلمين وفضلوا التمييز عنهم ولو رمزيا بلبس القبعة الافرنجية[2]، أما بالنسبة لنسائهم فقد اشترط عليهم للتمييز بينهم وبين نساء المسلمين أن يكون أحد خفهن أسود والأخر أبيض أو أحمر[3]، وعلى الأرجح أنهم كانوا يماثلون نساء المنطقة في الثياب فقد ذكر البرزلي : أن نساء النصارى يستترن كالمسلمات غالبا من غير علامة ومنهن من يلتزم زي النصارى[4] ، ومن أزياء النساء الشائعة آنذاك : ثياب الحرير والكتان والقطيفة والملحفة القطن التي تلبس في الشتاء تحرصا من برده[5]، وكانت المرأة تضع لحافا يعرف بالسفساري يوضع على الرأس مع عصابة عريضة جدا تعصب بها جبهتها[6]، كما استعملت النسوة في هذا الوقت أيضا العمامة وهي من المؤثرات المشرقية التي كانت سائدة أيام المماليك[7].

ومن ملابس الرجال الجبة والملف والدراعة والسروال والغفارة والمحشو، ومن ثيابهم أيضا ثوب رومي كان يلبس في الشتاء يسمى "الدرندين"(*)[8] والغالب أن هذا الأخير يبرز سمة التأثير والتأثر التي وصلت حتى في اللباس، فقد أخذ المسلمون عن النصارى في تأنقهم

---

[1] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان، 269/1

[2] – زينب عبد الله أحمد كرير: المرجع السابق،ص175

[3] – الونشريسي: المصدر السابق، 256/2

[4] – البرزلي: المصدر السابق، 44/2

[5] – الونشريسي: المصدر السابق، 209،347/10

[6] – حسن الوزان: المصدر السابق، 78/2

[7] – زينب عبد الله أحمد كرير: المرجع السابق،ص171

* – عرف في اللغة المغربية العامية باسم" الفشطان" ، إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس عهد المرابطين،ص81

[8] – كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص ص47، 87

ولبسهم حيث شاع لباس الملف النصراني الذي هو من نسجهم[1]، ويشير في الدول الأوروبية إلى الجوخ وهو نوع من القماش[2]، كما بدا واضحا التأثير الإفرنجي في زي المغرب الأوسط وعلى الخصوص في الملابس الحريرية المطرزة والقلانس...[3]

ومن الأزياء المسيحية المنتشرة ببلاد المغرب هي ثياب رجال الدين حيث ارتدى القساوسة والشماسون ورجال الدين الأخرون ملابس طقوسية خاصة وهي تعد محاكاة للرداء الرسمي للطبقة العليا الرومانية في العصور القديمة ويبدوا أنها اختلفت حسب الطوائف الدينية[4]، وقد فرضت على رجال الكنيسة ارتداء ملابس طويلة وعائمة تتألف من جلباب كتان وكنونة الكاهن ذات أكمام عريضة وطويلة وكان جلباب القساوسة والكهنة متدلية إلى أقدامهم أما القميص الذي يوجد أسفل فكان يشد بحزام مسطح[5] ويعرف رداء الكاهن باسم "كامولا" يرتديه عند إقامة عيد القداس أما في غيره من الطقوس فيرتدي الغفارة Cappe[6]، وأورد لنا ابن بطوطة في شأن هذا أن لباس الرهبان هو الملف الأسود[7].

أما فيما يخص الجند المرتزقة فلم تذكر لنا المصادر طريقة لبسهم وما إن كان لهم زي خاص يميزهم باعتبار أنهم مرتزقة نصرانية وقد نأخذ بقول برنشفيك الذي يرى أن هؤلاء تعربت عاداتهم إلى حد كبير وكانوا يرتدون ملابس الأهالي المسلمين[8]، ولعل الدولة الإسلامية بالمغرب الأوسط كانت تلتزم الزي الموحد لجندها وقد كان لباسهم أقل جودة يضعون على ظهورهم قمصانا من القماش واسعة وعريضة الأكمام يغطونها بكساء كبير

---

[1] – الونشريسي: المصدر السابق، 3/1-7

[2] – رجب عبد الرحيم إبراهيم: المرجع السابق،ص479

[3] – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص81

[4] – معجم الأديان،ص395

[5] – خديجة قروعي: المرجع السابق،ص296

[6] – معجم الأديان ،ص295

[7] – رحلة ابن بطوطة،ص194

[8] – روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص478

يوحدونه في فصل الشتاء والصيف يصنع من قماش القطن ويضيفون إليه سترة من الجلد في الشتاء تشبه القميص[1].

من الواضح أن هذا الجانب من الموضوع حظي بسكوت من المصادر الإسلامية التي اكتفت فقط بما حملته كتب الحسبة وكتب أحكام أهل الذمة والتي أكدت في مجمله على أن أزياء الجالية المسيحية خضعت للمبادئ الإسلامية المتخذة تجاه أهل الذمة خصوصا وأن الفقهاء والعلماء شددوا على تطبيق ذلك وتميزيهم بلباس يميزهم عن غيرهم وقد يكون ذلك في سياق ما عملت عليه النصوص الفقهية من رقابة المجتمع وضبطه وبنائه بشكل إسلامي محض وقد شكلت هاته النقطة بالذات محورا للتحامل الاستشراقي على المسلمين حيث أن برنشيفك يصفها بالحالة المتدنية ويرى على أنها هذه الالتزامات الثيابية ما هي إلا حرمان من بعض الحقوق[2].

---

[1] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان،267/1

[2] – روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص435

3/ : الغذاء

يعتبر الغذاء من المطالب الضرورية لحياة الانسان فبه يكون كمال الأجسام وصحتها ولذلك اقتضت متطلباته البحث عن الطعام والسعي لاكتشاف طرق تحضيره وتهيئته فكان لكل مجموعة بشرية غذاؤها الذي كان يلائم ظروفها الطبيعية والاقتصادية والذوقية وبذلك اعتبر الغذاء من المؤثرات التي تعكس المستوى الاقتصادي والحضاري لمجموعة بشرية ما[1]، حيث أن الأطعمة تعددت وتنوعت حسب البيئات والمستوى المادي للأفراد[2]، وبتنوعها تكشف لنا بالضرورة المستوى المعيشي لكل مجتمع على حدا وعلى اختلاف عناصره فحال الفقير ليست كالغني وحتى بادية وحاضرة البلد الواحد لا تتشابه في غذائها وهذا ما يفسر بقول ابن خلدون :"إن سكان الحضر في المغرب لا يأكلون الغذاء إلا بعد علاجه بالطبخ والتلطف بمختلف المواد في حين ألف أهل البوادي تناول الغذاء على سجيته... "[3]، والدارس لأطعمة بلاد المغرب الأوسط في عصره الوسيط يجد نفسه أمام قلة المصادر التي تتحدث في هذا الشأن على عكس بلاد المشرق التي عنيت الكثير من الكتابات بالطبيخ وأنواعه خلال العصور الوسطى[4]، أما بلاد المغرب الاسلامي فقد ظهر في تلك الفترة وبشكل خاص عهد الموحدين القرن 6 هـ و7هـ /12و13م كتابان اختصا بالتحدث عن وصفات وخصوصيات الطبخ المغربي وهما كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس لمؤلف مجهول وكتاب فضالة الخوان في طيبات الطعام لابن رزين التجيبي المؤرخ عام 636 هـ/1238[5]، وبالتالي فإن الباحث أمام هذا التقزيم في مأكولات بلاد المغرب يجد نفسه في مشكلة الالمام بعديد من المعلومات والجوانب المتعلقة بالأغذية فكيف يكون الحال في هذا الموقف اذا ما حصرنا الموضوع في

---

1 – الحسن فقادي: من مظاهر التغذية في تاريخ المغرب الوسيط، مجلة أمل ، التاريخ– الثقافة–المجتمع، الأطعمة والأشربة في تاريخ المغاربة، العدد16، السنة السادسة، 1999، ص35

2 – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين،ص69

3 – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة،ص175

4 – مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، تح: أمبروزيو أويثى ميرندا، مجلة الدراسات الإسلامية،العدد9– 1961،10م–1926م،ص16

5 – نوارة شرقي: المرجع السابق،ص175

أطعمة الاقلية المسيحية التي تعايشت بالمغرب الأوسط فالخبر يكاد ينعدم في هذه الحالة ماعدا إذا ما استثنينا بعض الأطعمة والأغذية التي ذكرت في سياق الحديث عن أعيادهم واحتفالاتهم وما يعد في مثل هاته المناسبات، وإضافة لهذا فقد يحدث في بعض الأحيان تمازج وتداخل بين أنماط الأغذية عند الشعوب والأمم المختلفة نظرا للهجرات البشرية بين المناطق ونتيجة الغزوات والحملات العسكرية ولا سيما فترة العصور الوسطى ومن هنا فإن ذلك خلق نوعا من التماثل في أصناف المأكولات لعديد من الشعوب[1]، ويذكر بروديل في هذا " لقد شكل التبادل المستمر للثروات الثقافية قاعدة بين الحضارات الراسخة وشبه الراسخة هذا ما يفسر الأسفار والتنقلات فالكل يتحرك الرجال طبعا الحيوانات والنباتات الأليفة التقنيات أساليب التفكير والتصور والفعل جزئيات اللباس والسكن حتى وصفات الطبيخ الأكثر بساطة"[2]، وبطبيعة الأمر فإن هذا يفرض علينا إحتمالية تشابه الطعام النصراني بنظيره الإسلامي .

شكل التراث الفقهي منبعا هاما لانتقاء حالات المجتمع وظواهره فقد أمدتنا كتب الحسبة والنوازل بنصوص جوهرها التمنيع والاحتراز غير أنها وفرت لنا بعض النقاط الضرورية لمعرفة بعض الأطعمة التي تناولها النصارى كصنعهم الخبز وغيره من المائعات[3]، وقد تعددت صنوف الأخباز وخصص لكل نوع منها اسم يعرف بها فمنها الأصبهاني والرقاق والدبق والمشطب والمديش والمرديف، وخبز الماء والطابوني والمغموم والمشوك والمطلوع ... ، وذلك أن الكثير من البشر دعتهم الحاجة وشدة الضرورة إلى اتخاذ الخبز للغذاء وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم "أكرموا الخبز فإن الله أنزل له بركات السماء وأخرج له بركات الأرض"[4]، وشكل الخبز أهم مادة في التغذية ، أما عن أجود أنواعه فهو خبز الحنطة

---

[1] – خديجة قروعي : المرجع السابق،ص344

[2] – فرناند بروديل : الأغذية وأصناف التاريخ، تر: حميدة، مجلة أمل، العدد1999،16،ص174

[3] – الونشريسي: المصدر السابق،68/6

[4] – أبي القاسم ابن بشكوال: الآثار المروية من الأطعمة السرية والآلات العطرية، تح: أبي عمان ياسر الشعيري، مراجعة :أبو أويس الحسني، أبو أيمن الواركلي،ط1،مكتبة أضواء السلف، الرياض،1425هـ/2004م،ص134

المطبوخ في التنور يليه خبز الشعير ثم خبز الأرز فالذرة فالجاورس والدخن[1] ، وقد كانت الوجبة الغذائية الأوروبية تتألف أساسا من اللحوم والخبز وتدخل فيها الخضر والبقوليات كالكراث والثوم والبصل والكرنب وقليل من النباتات الدرنية مثل الجزر والبنجر إضافة لبعض المأكولات المستقاة من الموائد الإسلامية ولاسيما منها المغربية[2]، واعتبرت اللحوم من الأطباق الرئيسية حيث استعملت في مختلف الأطباق وطبخت كمشاوي كشواء الخرفان والعجول كاملة[3]، وكان لكتب النوازل اهتمام وذكر للحوم النصارى حيث كانوا يتصيدون مختلف أنواع الحيوانات ويعرضون لحومها المطبوخة على الأهالي وفق مبدأ المخالطة والجيرة[4]، وإضافة لهذا فإن النصارى كانوا يأكلون لحم الخنزير فهو مسموح به في شريعتهم وقد ذكر لنا ماس لاتيري كيف أن هذا النوع من الطعام كان متوفرا في فنادق المغرب الأوسط ومشرع لهم أكله[5]، فكما ورد في الصحاح والأحاديث أن طعام أهل الكتاب هي ذبائحهم إذ ورد عن البخاري عن ابن عباس : " طعامهم ذبائحهم"[6] ومن اللحوم التي أكلها النصارى أيضا الطيور حيث حدثنا صاحب كتاب الطبيخ عن صنف من شواء الطيور أعده رجل ملقب بالرهباني وهذا ما يطرح حتمية أنه قد يكون طبقا نصرانيا وعن كيفية تحضيره يذكر " يستخرج ماء البصل المعصور ،وماء الثوم الرطب وماء الكزبرة ومن المري النقيع... ومن الخل الثقيف نصف رطل ومن الزيت قدر الكفاية وكزبرة وزنجبيل وزعتر وكمون... ،يسحق الجميع ويحل في تلك المياه مع الخل ثم يأخذ طائر أوز القرط وهو البط وبعد أن ينظف يثقب جسمه برأس السكين ويحشى في كل ثقب ثوم مقشر وفي غيره قطعة من الجوز المقشر وفي آخر قطعة زنجبيل ثم يبيت في المياه المذكورة مع الخل ويشوى في التنور ويقدم مع مرقته"[7]،

---

[1] – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص71

[2] – خديجة قروعي: المرجع السابق،ص387-388

[3] – حسن علي حسن: المرجع السابق،ص434

[4] – أبو يحي المازوني: المصدر السابق،357/1-358

[5] – Mas Latrie .op-cit.p

[6] – ابن القيم الجوزية: أحكام أهل الذمة،52/1

[7] – مؤلف مجهول : كتاب الطبيخ، ص24

ويبدوا أن الجالية المسيحية بالمغرب الأوسط أكلت ايضا طعام الثريد وهو طبق الخبز المخمر باللحم أو السمن أو الشحم[1]، والظاهر أنهم أخذوا بهذا الصنف اتباعا للمسلمين فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"[2] ، وذكر الوزان أنهم كانوا يأكلون لونا من ثريد مصنوع من خضر متنوعة كالكرنب واللفت والجزر وغيره كما يقومون بطبخ عدة أنواع من الخضر مجتمعة على حالها دون تقطيع كالفول والحمص وحبوب القمح[3]، وعليه فإن الاقلية المسيحية أكلوا مأكولات اهل المنطقة واخذوا منها حيث ذكر الونشريسي أنه في ليلة الاحتفال برأس السنة الميلادية كانوا يتهادون فيما بينهم مختلف صنوف الأطعمة[4]، ومن أبرز أطعمة مدن المغرب الاوسط الكسكسو وهو دقيق مفتول بالأصابع ويطبخ بالمرق واللحم او الزبدة والسمن والحساء وخاصة حسوة النشاء والشربة بمرق الدجاج إضافة إلى العصيدة التي تصنع من الدقيق والزبدة، والهرائس والأرز بلحم الغنم والدجاج[5]، وعن الأرز فقد جاء في كتاب الطبيخ أن أقوام العجم كانوا يطبخون الأرز بالسماق[6] ، أما الهريسة فقد تنوعت صنوفها : الهريسة حارة رطبة كثيرة الغذاء مقوية مخصبة للأبدان، اليابسة النحيفة ..." ومنها هريسة القمح باللحم وهريسة الأرز كما كانت تصنع بفتات الخبز الدرمك أو خبز السميد[7]، ومن أنواع الأغذية أيضا البسيسة وتصنع من سميد الشعير المحمص والزيت والماء[8]، والظاهر أن هذا الطبق معروف لدى المسيحيين فهو طعام سيدنا عيسى عليه السلام ولا بد أن أهل ملته قلدوه في ذلك "...فقال

---

1 – ابن مرزوق : المناقب المرزوقية،ص222

2 – ابن بشكوال: المصدر السابق،ص154

3 – وصف إفريقيا،258/1

4 – المعيار المعرب،151-150/11

5 – عبد العزيز فيلالي: تلمسان،265/1

6 – مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ،ص63

7 – المصدر نفسه، ص117-118

8 – أحمد عامر: المرجع السابق،ص162

العصا عكاز عيسى عليه السلام وآنيته التي كان يأكل فيها البسيسة في السياحة"[1]، هذا وتجدر الإشارة إلى بعض الأطعمة التي تنسب في أسمائها إلى بلاد الصقالبة كالتفايا الصقلبية ، وتتكون من اللحم السمين والدوارة والصدرة وعدد كبير من البيض وتتبل بالفلفل والكزبر اليابس وتطهى على نار الفحم مع البصل والثوم وعند النضج ينثر عليها فلفل وقرفة وسنبل[2]، وهناك أيضا مسلوق الصقالبة وهو لحم ومصران وكرش مقطعة بشكل دائري مع بصل وبسباس وورق الأترج والكزبر اليابس المدقوق وملح وزيت ويضاف لهم الماء حتى يغمر اللحم وتطهى على النار حتى تتهرأ ثم يضاف لهم ثوم وفلفل ويغلى هذا كله[3] ، كما أن الجالية المسيحية عرفت أيضا الحلويات وكانت من أهم الأصناف الحاضرة على موائدهم في أعيادهم الخاصة ومنها حلوى المدائن التي تعمل بالعجائن بأصناف من الألوان، إذ أنها على شكل مدينة ذات أسوار وقد ذكر فيها أحد الشعراء وصفا بليغا عجيبا:

مدينة مصورة تحار فيها السحرة

لم تبنها إلا يدا عذراء أو مخدرة

بدت عروسا تجتلى من درمك مزعفرة

ومالها مفاتح إلا البنان العشرة[4]

ومن الحلويات المعروفة بأرض المغرب الأوسط نذكر الكعك والسفنج بالعسل واللوزنيج والقطائف والقرص بالسميد والعسل والقباط الذي كان في بعض الأحيان يحشى باللوز وقصب السكر[5]، ونجد أيضا الزلابية التي تصنع بدقيق الدرمك وتكون على شكل خواتم وشباك تقلى

---

[1] – الحاج عبد الله بن الصباح: أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار، تهذيب: محمد بنشريفة، ط1،دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط،2008،ص208

[2] – مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ،105

[3] – المصدر نفسه،ص133-134

[4] – ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة،د.س،ج1،ص294

[5] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان،1/

في المقلاة وتطرح في العسل، والجوزنيق ويصور مثل البندق وجويزات صغار وكعكات... وهي التي تسمى أذني القاضي وتكون محشوة[1]، والظاهر أن هذه الاطباق جذبت الأجانب لها حتى صاروا يضعونها على موائدهم في احتفالاتهم وأعيادهم، وضف الى ذلك فقد كانوا يأكلون الفواكه بمختلف أنواعها والمجففة منها كالتين والبلوط وغيرهما فمدن البلاد وافرة بما لذ وطاب[2]، أما الأشربة فأهمها عندهم هي الخمر والنبيذ ، الأول هو ما اتخذ من عصير العنب خاصة ، والثاني هو الشراب المتخذ من الزبيب والتمر وما شاكله[3]، وقد عرف ابن عبد ربه الخمر والنبيذ بما يلي: " النبيذ كل ما نبذ في الدباء والمزفت فاشتد حتى يسكر وما لم يشتد فلا يسمى نبيذ كما أنه مالم يعمل من عصير العنب حتى يشتد لا يسمى خمرا"[4]، وكما هو معروف فقد منح لهم حق شرب الخمر بالمنطقة وأجيز لهم استقدامها للفنادق أين يقيم البعض منهم[5]، وامتد استعمالها لأكثر من ذلك حيث أن المغاربة كانوا أيضا يشربونها فكانت المجالس التي يشرب الخمر فيها كثيرة منتشرة على الرغم من التنبيهات الفقهية[6]، وما يذكر في شأن المشروبات أنها وجدت ببعض الفنادق جلسات حجرية ووجاق لتحضير المشروبات ومن المرجح أنها خصصت لتقديم المشروبات على اختلاف أنواعها[7]، ونذكر منها شراب الجلاب وهو نوع من شراب العسل أو الزبيب شراب الورد أو البنفسج[8]، شراب النعنع وحبق الترنج والحبق القرنفلي ، شراب الورد الاخضر ،والورد اليابس ، والعناب ،والعسل...[9]

---

1 – مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، ص ص197،202

2 – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص92-93

3 – خديجة قروعي: المرجع السابق، ص380

4 – أحمد بن عبد ربه: العقد الفريد، تح: أحمد أمين وآخرون، د.ط، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1420هـ/1990م،ج6، ص368

5 – Mas Latirie. Op-cit. p

6 – نوارة شرقي: المرجع السابق،ص183

7 – عمر بلوط: المرجع السابق،ص121

8 – الهادي روجي إدريس: المرجع السابق،201

9 – مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ،ص226-232

وعموما فإن الأطباق وأصناف الأطعمة تنوعت واختلفت بالمغرب الأوسط ولم يظهر في ذلك تمييز أو تفضيل بين فئة وأخرى وربما يرجع ذلك إلى التمازج الحضاري الذي شهدته فترة العصور الوسطى إذ أخذت معظم الثقافات من بعضها البعض وخضعت كل أنماط الحياة للتأثير والتأثر مشكلة بذلك مجتمعا لا تحكمه طبيعة أجناس وأعراق وديانات .

ثانيا : العادات والتقاليد

إن أهم ما يميز المجتمع المغاربي هو أنه ما هو إلا نتاج لتفاعلات سياسية واقتصادية وفكرية ساهمت في تطور ظواهره بمختلف أنواعها ومن بين هاته الظواهر العادات والتقاليد التي تعتبر من أبرز المؤثرات التي يبنى عليها تاريخ المجتمعات خصوصا أنه أحد الأنماط السلوكية التي تنتقل من جيل الى آخر وتستمر مدة من الزمن حتى تثبت وتستقر في الذهنيات إلى أن تصل درجة تأثيرها لحد أن تقوم مقام الشرائع القانونية في المجتمع.

وبطبيعة الحال فإن كل أمة امتازت بسلوكاتها ووظائفها المغايرة لغيرها من الأقوام والشعوب وبما أن مجتمع المغرب الأوسط خضع لمبادئ الإسلام فإن عاداته وتقاليده كانت قائمة على أساس الحضارة الاسلامية ووفق المنظور الديني والمذهب المتبع[1]، فهل تأثرت عادات الجالية المسيحية بالمنطقة بعادات المغاربة الدينية والموسمية على حد السواء أم أنها امتازت بانفرادها عن ما تمليه بيئة المغرب الأوسطية؟

تميزت العادات الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال فترة العصور الوسطى بالإسراف في إقامة مظاهر الاحتفالات بالأعياد ومختلف المناسبات ومن هذه الأعياد ماله صبغة دينية ومنه ماله صبغة فلاحية بحكم الطابع الزراعي للمجتمع ومنها ما جاء انعكاسا للتسامح الديني مع المسيحيين[2]، حيث أنه من مظاهر تسامح المسلمين مع الأقليات المسيحية أن تركوا لهم حرية طقوسهم والاحتفال بأعيادهم[3]، فقد بلغ الأمر أن المسلمين كانوا يبدون دهشتهم ازاء ما كان يشهدونه من احتفالات النصارى بأعيادهم الدينية "...قد هجروا الأفراح، واطرحوا النعم كل أطراح ..."[4]

---

[1] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان، 264/1

[2] – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين،ص86

[3] – خديجة قروعي: المرجع السابق،ص400

[4] – أحمد بن محمد المقري: المصدر السابق،225/1-226

1/: الأعياد والمواسم المسيحية

يحتفل النصارى بالمواسم والأعياد بواسطة أدائهم لطقوس وصلوات خاصة وقد عدد حفص بن البر أعياد النصارى بقوله " فإن الذي أردت علمه من الأعياد السبعة التي أمر القانون بصيانتها فهي معروفة بأول يوم منها إذ بشر جبريل الملك بميلاد المسيح واليوم الثاني إذ ولد المسيح والثالث إذ ختن إلى ثمانية أيام والرابع إذ ظهر الهجين وأهدوا إليه ذهبا ولوبانا ومد...، والخامس يوم الفصح إذ قام عن القبر والسادس إذ نزل روح القدس على الحواريين وتكلموا بجميع الألسن فواجب على كل ذي عقل أن يصونها إما في مدينة أو في قرية"[1] والأعياد عندهم أربعة عشر عيد شرعيا سبعة أعياد يسمونها أعيادا كبارا والأخرى يسمونها أعيادا صغارا وهناك أعياد أخرى وتصنف ضمن المواسم العادية، إضافة إلى إقامتهم الاحتفالات بذكرى الأباء والقديسين[2]، ومن أهم الأعياد الدينية لديهم والتي احتفلوا بها بأرض المغرب الأوسط نذكر:

عيد النيروز أو النوروز : النيروز وهو تعريب نوروز، وأول من احتفل به أحد ملوك الفرس وهو"جم شاد"[3]، ومعناه اليوم الجديد واحتفل به الفرس قديما لأول يوم من السنة زعموا أن الله تعالى في هذا اليوم أدار الأفلاك وسير الشمس والقمر وسائر الكواكب[4]، وأول من سمح به في الإسلام هو الحجاج بن يوسف الثقفي، ثم رفع ذلك عمر بن عبد العزيز إلا أنه عاد الأخذ به فيما بعد بديار المسلمين[5]، ويعرف هذا العيد باسم ينير " يناير" وهو أول السنة الميلادية[6]، أما مظاهر الاحتفال به فقد اشتملت على الأهازيج والأفراح والأغاني، وقد ذكر ابن الحاج أنه كان فيه من المفاسد ما يندى له الجبين فيقول في ذلك "إِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ فِي ذَلِكَ

---

1 – زينب عبد الله أحمد كرير: المرجع السابق،ص213–214

2 – سلام شافعي محمود: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1995،ص187

3 – أبو العباس القلقشندي: المصدر السابق،445/2

4 – خديجة قروعي: المرجع السابق،ص400

5 – أبو العباس القلقشندي: المصدر السابق،447/2

6 – زينب عبد الله أحمد كرير: المرجع السابق،ص214

الْيَوْمِ أَفْعَالًا قَبِيحَةً مُسْتَهْجَنَةً شَرْعًا وَطَبْعًا"، كما يذكر أنهم كانوا يتكلفون في نفقاته[1]، إذ كانوا يعدون مختلف الأطباق من الحلويات والفواكه وقد ذكر ذلك الأمثلة العامية المنتشرة آنذاك "سكين حلو يلمع ما يقطع"، طمن ماع ترنج، لينير يرفعها"[2]، ويذكر الونشريسي أن المغاربة كانوا يشاركون النصارى في عيدهم هذا وكانوا "يجتهدون لها بالاستعداد ويجعلونها كأحد الأعياد يتهادون بينهم صنوف الأطعمة وأنواع التحف...، ويترك الرجال والنساء أعمالهم صبيحتها تعظيما لليوم ويعدونه رأس السنة"[3].

عيد المهرجان : من أعياد الفرس أيضا واحتفل به النصارى وهو عند الأوليين في السادس والعشرين من تشرين الأول من شهور السريان ، وفي السادس والعشرين من مهرماه من شهور الفرس وفي التاسع من أبيب من شهور القبط ويوافق زمانه فصل الخريف وفيه يقول الشاعر :

أحب المهرجان لأن فيه سرور الملوك ذوي السناء

وبابا للمصير الى أوان تفتح فيه أبواب السماء

أما عن سبب التسمية فيرجح أنها نسبة الى أحد ملوكهم يعرف باسم مهرا ومات في نصف شهر مهرماه ولذلك سمي على هاته الشاكلة[4]، انتقل بداية الى أرض المشرق الاسلامي وكان أول من افتتح المكاتبة بالتهنئة به أحمد بن يوسف إذ أهدى الى المأمون العباسي سفط ذهب يحتوي على قطعة عود هندي ومنه انتقل إلى بلاد المغرب والأندلس ويكون عندهم في الأيام الأولى من شهر يناير إذ قد يتزامن مع احتفال رأس السنة أو عيد الغطاس أو يوم العنصرة[5]، وتكون مدة الاحتفال به ستة أيام ويطلق على اليوم السادس منه المهرجان الأكبر

---

[1] – ابن الحاج: المصدر السابق،49/2

[2] – أبي يحي عبيد الله الزدجالي: أمثال العوام في الأندلس، تح: محمد بنشريفة، د.ط، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، د.س، القسم الثاني، ص ص 422،327

[3] – المعيار المعرب،150/11

[4] – أبو العباس القلقشندي: المصدر السابق،449/2،448

[5] – خديجة قروعي: المرجع السابق،ص402

ويفصل بين هذا العيد وعيد النيروز مئة وسبعة وستون يوما[1]، ومن مظاهر الاحتفالات به ببلاد المغرب الأوسط أنهم يقومون بنشر الثياب وجم الخيل قبل الصلاة[2]، وبالتالي فقد كانوا يؤدون فيه طقوسهم الدينية بالصلوات والترانيم المسيحية وغير ذلك وقد ورد ذكره في شعر لابن زاكور:

خلتها لما غشت سـورتها في حشا البنيس

رجل الرهبان يوم المهرجان في حمى عبدون[3]

وأطلق على هذا العيد أيضا يوم العنصرة ومن مراسيمه الاحتفالية أيضا إجراء الخيل وجم الدواب ووقد النيران تحت الثمار[4]، في حين نجد أن بعض المصادر أفردت عيد العنصرة كمناسبة غير المهرجان وأطلقوا عليها عيد الخميس ويعتقدون أنه في هذا اليوم إجتمع الحواريون في علية صهيون فتجلى لهم روح القدس ونطقت ألسنتهم بجميع اللغات ومنها تفرقوا في أنحاء البلدان يدعون الناس الى دين المسيح عليه السلام[5]، وكان الاحتفال به يوم السادس والعشرين من شهر بشنس (يونيو) بعد خمسن يوما من قيام المسيح كما يزعمون[6]، في حين أنه جرت العادة على الاحتفال به في المغرب الأوسط في الرابع والعشرين من يونيو وهو ميلاد يحي عليه السلام[7]، وجرت العادة فيه على اجراء مسابقات أو مبارايات في سباق الخيل وتقوم النساء بتزيين بيوتهم وإخراج الثياب إلى الندى في الليل ووضع ورق الأكرم

---

1 – أبو العباس القلقشندي: المصدر السابق،448/2

2 – كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق،ص46

3 – أبي يحي عبيد الله الزدجالي: المصدر السابق،ص3

4 – الونشريسي: المصدر السابق،154/11

5 – تقي الدين أبي العباس المقريزي: كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، د.ط، دار صادر، بيروت، د.س، ج1،ص264

6 – أبو العباس القلقشندي، المصدر السابق،448/2

7 – سلام محمود شافعي: المرجع السابق،ص190

والخضرة في ثيابهن[1]، ويبدوا أنهم كانوا يقدون فيه شعلا من النار ويقفزون فوقها وهذا ما نستدله من المثل العامي الذي يقول "الكبش المصوف ما يقفز العنصرة"[2].

عيد الميلاد: يكون هذا العيد في الرابع والعشرين من كانون[3]، ويعتقد المسيحيون أنه اليوم الذي ولد فيه المسيح ببيت لحم ، ومن مظاهره تزيين الكنائس حيث توقد المصابيح بها عشية ليلة الميلاد[4]، ويذكر ابن الحاج انه كان يعمل في صبيحة ذلك اليوم العصيدة إذ يزعمون أنهم من لا يفعلها ويأكلها في ذلك اليوم يشتد عليه البرد ولا يحصل له فيها دفء[5]، ومن عادات الاحتفال به ايقاد الشموع المزهرة بالصباغ والألوان الزاهية وشراء التماثيل البديعة وكان يقتنيها الجميع على اختلاف مستوياتهم وأطلق على الشموع اسم الفوانيس وكانت تعلق منها الكثير في الأسواق والحوانيت[6]، وقد بلغ تأثر المسلمين بهذا العيد إلى أن وصل الأمر إلى تقليد النصارى بالاحتفال بيوم المولد النبوي الشريف حيث عمل مسلمو الأندلس بداية على اتباع المسيحيين وتقليدهم في الكثير من مظاهر حياتهم واحتفالاتهم لتمتد هذه الظاهرة إلى مدن المغرب الإسلامي[7].

عيد الفصح : هو العيد الكبير عندهم وهو يوم الفطر من صومهم الأكبر يزعمون أن المسيح عليه السلام قام فيه بعد الصلب بثلاثة أيام[8]، ودخل على تلاميذه وسلم عليهم وأكل معهم وأوصاهم وأمرهم بأمور تضمنها انجيلهم ويسمى أيضا يوم القيامة وكان النصارى

---

[1] – الونشريسي: المصدر السابق، 151/11

[2] – أبو يحي عبيد الله الزدجالي: المصدر السابق،ص80

[3] – أبو العباس القلقشندي: المصدر السابق، 373/5

[4] – سلام محمود شافعي: المرجع السابق،ص191

[5] – المصدر السابق، 59/2

[6] – آدم متز: المرجع السابق،ص240

[7] – صابرة خطيف: فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية،ط1،جسور للنشر والتوزيع ،الجزائر 2011م/1432هـ

[8] – أبو العباس القلقشندي: المصدر السابق، 454/2

يحتفلون به احتفالا عظيما[1] ، هو أحد الأعياد الدينية اليهودية المشهورة ويكون بين 14و22 أفريل[2].

خميس العدس : يعرف أيضا بخميس العهد ويكون قبل الفصح بثلاثة أيام ومن طقوس هذا العيد أن يملأ إناء بماء ويقوم البطريك بغسل أرجل جميع النصارى الحاضرين[3]، وكانت النسوة تخرج فيه لشراء البخور والخواتم وغيرهما، حيث كان يعملن البخور لهن ولغيرهن من الرجال فيبخرون به ثم يتخطونه سبع مرات ثم ينفضون عليه أيديهم وأرجلهم ويتفلون عليه و يزعمون أن ذلك يصرف عنهم الكسل والعين والوعكة وكان يطبخ فيه العدس المصفى[4] وعلى ألوان شتى كما كان يوضع فيه البيض المصبوغ ويهادي النصارى بعضهم بعضا[5].

إضافة إلى هذا فقد كانت لهم أعياد تعظم يوم الأحد والسبت ومن مظاهرها ترك العمل[6]، كما أحتفل بيوم سبت النور الذي يكون قبل الفصح بيوم ، يقولون أن النور يظهر على مقررة المسيح هذا اليوم فتشتعل منه مصابيح كنيسة القيامة بالقدس ومن أعيادهم أيضا عيد الزيتونة وعيد الشعانيين ويفسر بالعربية بالتسبيح ويكون في سابع أحد من صومهم[7].

يوم الغطاس : يذكر ابن الحاج أن النصارى احتفلوا بهذا اليوم بمدعاة أن مريم عليها السلام اغتسلت فيها من النفاس فاتخذ النصارى من ذلك سنة لهم حيث كانوا يغتسلون في تلك الليلة كبيرهم وذكرهم وأنثاهم وحتى الرضيع منهم[8]، وفي المقابل يذكر القلقشندي أنهم اتبعوا في ذلك أمر غسل يحي ابن زكريا عليهما السلام- المعروف عندهم بالمعمدان- لسيدنا عيسى عليه السلام ببحيرة الأردن ولما خرج سيدنا المسيح من الماء اتصل به روح القدس

---

[1] - سلام محمود شافعي: المرجع السابق،ص189

[2] - خديجة قروعي: المرجع السابق،ص403

[3] - أبو العباس القلقشندي: المصدر السابق،456/2

[4] - ابن الحاج: المصدر السابق،55/2

[5] - سلام محمود شافعي: المرجع السابق،ص197

[6] - الونشريسي: المصدر السابق،152/11

[7] - أبو العباس القلقشندي: المصدر السابق،456/2،454

[8] - ابن الحاج : المصدر السابق،59/2

على هيئة حمامة ومنها أخذ النصارى يعمدون أولادهم في الماء[1] ، وكان يتم تغطيس أولاد النصارى في يوم الثامن من ولادتهم ويكون تحت إشراف رجال الدين[2] في الكنيسة حيث يخصص حوض رخامي يملأه القسيس بالماء ويقرأ عليه ما تيسر من الانجيل ويرمي فيه ملحا كثيرا وشيئا من دهن البيلسان فيبقى هذا الماء أعواما وأحقابا طويلة ولا ينتن ولا يتغير وبذلك يعتقد النصارى أن هذا من بركة القسيس وبركة الكنيسة ، ومن هاته الأحواض يؤخذ الماء بواسطة صحفة ويسكب على رأس الولد والقسيس يردد :" وأنا أغطسك باسم الأب والإبن والروح القدس" ويجاوب عنه أبواه بنعم ثم يحملان ولديهما وقد تنصر[3]، وزيادة على هذا فقد احتفل النصارى بعيد الصليب وعيد البشارة وعيد خميس الأربعون...[4]، وكانوا يحتفلون بالختان معتقدين أن المسيح ختن في اليوم الثاني من الميلاد[5] ، وهو أكبر الأعياد عندهم غير أنهم لا يختتنون وينكرون على أهل الاسلام هذا[6] .

شكلت هذه الأعياد أهم المواسم الدينية التي احتفلت بها الأقلية المسيحية بالمغرب الأوسط إضافة إلى بعض العادات التي تتعلق بطرق من الطقوس الدينية والذهنيات المسيحية حيث احتفلوا بيوم القديس يوحنا الذي توقد فيه نيران كثيرة من التبن في جميع الأحياء واحتفلوا أيضا بظهور أسنان الطفل حيث يقوم والداه باستدعاء أطفال آخرين لوليمة ويطلق على هذا الحفل "دانتيسيا"[7] ومن مظاهر احتفالات النصارى هو عادة صنع فطيرة من خبز وكأس خمر يقرأ عليها القسيس بضع كلمات فيصبح الخبز جسد لعيسى عليه السلام ويمثل الخمر دمه فمن أكلهما فقد أدخل المسيح في جسده بلحم ودمه وهو عندهم العشاء الرباني أو القربان[8]

---

[1] – المصدر السابق،455/2

[2] – أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر،ط1، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة،د.س،ج1،ص146

[3] – إنسلم تورميدا: المصدر السابق،ص81-82

[4] – النويري : المصدر السابق،183/1-186

[5] – سلام محمود شافعي: المرجع السابق،ص196

[6] – إنسلم تورميدا : المصدر السابق،ص132

[7] – الحسن الوزان: المصدر السابق،258/1

[8] – إنسلم تورميدا : المصدر السابق،ص93-94

ويتخذون مرجعية هذا من "أن عيسى جمع الحواريين يوما قبل موته وتناول خبزة وكسرة، وناولهم كسرة لكل إنسان وقال لهم كلوا هذا جسمي ثم ناولهم خمرا وقال اشربوا هذا دمي"[1]، وفي ظل دولة الإسلام نجد أن سكان المغرب الأوسط احتفوا مع الأقلية المسيحية بأعيادها واحتفالاتها وبلغ بهم المبلغ إلى اتباعهم والانقياد ورائهم في مواسمهم[2]، إذ يذكر ابن الحاج "بَلْ زَادَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُمْ يُهَادُونَ بَعْضَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي مَوَاسِمِهِمْ وَيُرْسِلُونَ إلَيْهِمْ مَا يَحْتَاجُونَهُ لِمَوَاسِمِهِمْ فَيَسْتَعِينُونَ بِذَلِكَ عَلَى زِيَادَةِ كُفْرِهِمْ وَيُرْسِلُ بَعْضُهُمْ الْخِرْفَانَ وَبَعْضُهُمْ الْبِطِّيخَ الْأَخْضَرَ وَبَعْضُهُمْ الْبَلَحَ"[3]، وقد حارب الفقهاء هذه الظاهرة وحاولوا منعها فيذكر الونشريسي أنها لا تجوز الهدايا من نصراني ولا من سلم ولا إجابة الدعوة والاستعداد لها واستدل على ذلك بحديث للنبي صلى الله عليه وسلم " انكم مستنزلون بين ظهرني عجم فمن تشبه بهم في نيروزهم ومهرجانهم حشر معهم"[4]، ويرى البرزلي أن ذلك من تعظيم الشرك ولا ينبغي على المسلمين ترك أعمالهم في أعياد النصارى منأ أو سبت إلا ليوم عيد الفطر أو الأضحى " فإنهما يوما طعام وشراب وشكر لله"[5]، واعتبر الطرطوشي أن هذه الأمور من المبتدعة في الاسلام "...إقامة ينير بابتياع الفواكه كالعجم وإقامة العنصرة وخميس أبريل بشراء المعجنات والفواكه "[6]، وبالنظر للتحرزات الفقهية من مشاركة المسلمين للنصارى في أعيادهم نجد أن ذلك يعكس مظاهر البهرجة والابتهاج التي سادت المجتمع آنذاك ففي حين اعتبر الأهالي ذلك نوعا من التسامح والتعايش مع أقلية مختلفة الدين والجنس ، وذهب العلماء والفقهاء إلى محاربة هذه البدع والعادات الدخيلة على المجتمع التي جرت مفاسد الأخلاق والقيم على المجتمع المغاربي بصفة عامة.

---

[1] – إنجيل متى إصحاح 26/26–28

[2] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص184

[3] – المصدر السابق،46/2–47

[4] – المعيار المعرب،151/11

[5] – المصدر السابق،272/3–273

[6] – أبو بكر محمد الطرطوشي: الحوادث والبدع، ضبط وتعليق: علي بن الحسن الحلبي الأثري،ط1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية،1411هـ/1999م،ص141

وإضافة لهذا فإن العادات والتقاليد النصرانية لم تتميز بالاحتفالات والأعياد والمواسم الدينية فقط، بل كان للموت عندهم عادات وطقوس خاصة، فكان النصارى يوقدون الشموع في جنائزهم ، ويزفون بها الميت ، ويرفعون أصواتهم بقراءة كتبهم[1]، أما عن طقوسهم في ذلك : فيستحب تغسيل الميت قبل إدخاله للكنيسة ، وهو عندهم أمر جائز لا ضروري، ثم يكفن: "إذا ماتت النفساء فلتغسل وتكفن في غير الثياب التي ولدت فيها ويصلي عليها في الكنيسة فإن الموت قد طهرها"، وبعد الترانيم والأقوال المسيحية يسكب رئيس الكهنة زيتا على الميت ويصلي عليه صلاة طاهرة، ثم يدفن في مكان مكرم[2]، وقد خصصت دول المغرب الأوسط لهم مقابر خاصة، وهذا تماشيا مع عاداتهم وتقاليدهم في دفن موتاهم، وتعرف باسم مقابر الذميين[3]، وقد أمرو بتسوية قبورهم مع الأرض حتى لاتشبه قبور المسلمين[4]، ونهي على أن تجاور قبورهم بيوت المسلمين وقبورهم، كما أن الإسلام منعهم أن يحملوا أمواتهم في أسواق المسلمين ، ولا في الطرق الواسعة التي يمر بها المسلمون، وإنما يقصدون المواضع الخالية التي لا يراهم فيها أحد من المسلمين[5].

---

[1] – ابن القيم الجوزية: المصدر السابق، ص1251

[2] – أبي الفضائل بن العسال: المجموع الصفوي، شرح وعناية: جرجس فيلوثاوس عوض، طبعة خاصة، طنطا،1664،ج206/2،1

[3] – عيسى بن الذيب : المرجع السابق، ص57

[4] – جزء فيه شروط النصارى، ص35

[5] – ابن القيم الجوزية: المصدر السابق،ص1251

2/: الزواج

يشكل الزواج أول لبنة لبقاء الأسرة التي تعد صورة مصغرة للمجتمع وهو وسيلة لإنجاب الأبناء وتعزيز الروابط بين أفراد الأسرة والحفاظ على ارثها[1]، وقد عرفته الشرائع المسيحية على أنه عقد يتفق فيه الرجل والمرأة على الارتباط ليعيشا معا حياة مشتركة ويتبادلان التعاون والرعاية فيما يحقق الخير المشترك لهما في حدود ما يقضي به القانون أي بمدلولية أكبر هو ارتباط رجل بامرأة من أجل تكوين أسرة[2]، وهو في هذا لا يختلف عن الزواج الإسلامي الذي يستمد مشروعيته من النصوص الشرعية إذ أنه يسعى إلى تكوين أسرة تشتمل زوجا وزوجة وأبناء يعملون على تربيتهم تربية دينية واجتماعية يقرها المجتمع ويعترف بوجودها[3] ، وكما كان للزواج في الاسلام أهميته وقداسيته كان في المسيحية بالمثل حيث جاء في انجيل متى "من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا. اذ ليس بعد اثنين بل جسد واحد فالذي جمعه لا يفرقه انسان"[4]، ولهذا اعتبرته العقيدة المسيحية سرا مقدسا إذ ارتفعوا به إلى منزلة السر الإلهي أي أنه عندهم أكثر من علاقة مقدسة ويعتبر من الأسرار السبعة التي ترتكز عليها المسيحية[5]، ومنه فهو رابطة ثلاثية عندهم فالمسيح هو الذي يربط الزوج والزوجة ويوحدهما بفعل الروح القدس ولذلك يرتفع الارتباط بينها الى درجة اتحاد السر[6]، ويبدوا أن الزواج عند النصارى لا يختلف عن غيره من الأديان حيث كان يتضمن هو الآخر مراسم واجراءات عديدة لاستكمالها وتكون بدايته بالخطبة وهي عقد بين الرجل والمرأة يعد فيه كل منهما الآخر بالزواج في أجل محدود ، وقد عرفت أيضا بأنها " وعد اختياري واتفاق بين ذكر وأنثى خاليين من زواج والقصد منها عدم ارتباط أحدهما بزيجة

---

[1] – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين،ص21

[2] – هند المعدللي: الزواج في الشرائع السماوية والوضعية،ط1، دار قتيبة للنشر والتوزيع، سوريا،1422هـ/2002م،ص112

[3] – خديجة قروعي: المرجع السابق، ص248

[4] – إنجيل متى، إصحاح19/6-7

[5] – هند المعدللي: المرجع السابق،ص112

[6] – سالم ساكا: روحانية الزواج المسيحي،ط1، نشر مكتب الأستاذ سركيس أغاجان، أربيل ، العراق،2007،ص7

أخرى انتظارا للزواج العتيد"[1]، وبذلك فهي تعتبر مرحلة تفكير وانتقاء ووعد ومسيرة فترة انتظار واختبار، كما أنها فترة تهيأ وتمرس للزواج الفعلي[2]، وهذا ما وصفه ابن العسال بقوله : "وتقديم الخطبة والأملاك على التزويج ليكون الرضا به بروية تامة وعن فحص كاف في هذه المهلة المشترطة ولتأكيد المحبة مع الرضا وليضبط الشخص الموافق إلى حين بلوغه كي لا يسبق إليه وليكون رجاء الزيجة الطاهرة مساعدا على حفظ العفة ليصرف الاهتمام في مدة المهلة إلى اعداد ما تدعوا الحاجة إليه في الزيجة وليقوى الشوق إلى الاتصال والاقتداء بتدبير الحكيم تعالى لأنه قال لا يحسن أن يترك الرجل وحده فلنجعل معينا منه فوعد ثم فعل"[3]، وللخطبة في الشريعة المسيحية شروط كي تتم إذ يشرط الرضا المتبادل بين الطرفين الراغبين في الاقتران في حال ما إذا كان أحد الطرفيين قاصرا وجب موافقة وليه على هذه الخطبة عدم وجود مانع شرعي يمنع قيام زواج بين هذين الخاطبين أن يبلغ الطرف سنا معينة كما حددتها كل طائفة أن يكونا خاليين من الأمراض السارية وفي حال توفر هذه الشروط تدخل الخطبة مرحلة ثانية وهي مرحلة تحرير وثيقة الخطبة[4]، والتي تعتبر عهد وميعاد لتزويج المستأنف ويكون بمكاتبة وغير مكاتبة ويعرف باسم الإملاك ويكون بحضور كاهنين شيخين يوضع الصليب والخاتم ويتقاطع على المهر ويكتب مكتوب بموافقة المتواصلين وموافقة المحجور عليها ومن عادات المسيحيين في عقد القران أيضا اشتراط الجهاز والمهر وقد يجوز التزويج بدونهما[5] ، والمهر هو الصداق الذي يقدمه الرجل للعروس وأهلها أثناء عقد الزواج قد يخضع للحالة الاجتماعية والمادية للزوج والزوجة[6]، أما عن احتفالات يوم الزفاف فقد اصطبغت مراسيمه بالصبغة الدينية وكان من الضروري قبل البدء بذلك أن يستوثق رضا

---

[1] – محمد شكري سرور: نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، د.ط، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة، 1978–1979،ص84–85

[2] – سالم ساكا :الخطوبة والزواج(دورة المخطوبين)،ط1،نشر مكتب الأستاذ سركيس أغاجان، أربيل ، العراق،2007،ص15

[3] – أبي الفضائل بن العسال: المصدر السابق،236/2

[4] – هند معدللي: المرجع السابق،ص125

[5] – أبي الفضائل بن العسال: المصدر السابق،236/2

[6] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان،288/1

الطرفيين وخلوهما من الموانع الشرعية ثم تجرى من بعد ذلك هاته المراسيم التي تعتبر في مجملها طقوس دينية بحتة[1]، إذ أن الزواج يتم عن طريق الكنيسة وبواسطة رجل دين وعقد التزويج لا يتم ولا يكون إلا بحضرة كاهن الذي يعقد قران العروسين ويتم ذلك بعد صلاة الاكليل التي يؤديها إذ يتلوا صلواته عليهما ويباركهما ويقرب لهما القربان المقدس وبه يتحدان ويصبحان جسدا واحدا حسب شرائعهم وإن غابت الصلاة فان الزواج يعد باطلا فهي التي تحلل النساء للرجال والرجال للنساء[2] ، ومن صلاة الاكليل يتوضح لنا أنه كان يوضع على رأس العروسين تاج أثناء عقد المراسيم ومن أهم ما يميز هذه الاحتفالية الدينية هي العلنية إذ أنه لا بد أن يتم أمام جمهور من الناس ومن الالزام أن يتلى عقد الزواج على جمهور الحاضرين بمعرفة الكاهن الذي قام بتحريره[3]، وقد شكلت حفلات الزفاف بالمغرب الأوسط بشكل عام فضاء واسعا للإلتقاء وتقارب العائلات المسيحية والعائلات الاسلامية وقد يرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى الازدواجية الاسلامية المسيحية التي نتجت جراء الزواج المشترك بين الطرفيين[4]، على الرغم من أن القانون المسيحي لم يكن يجيز للمرأة النصرانية أن تتزوج بغير نصراني ولا يجوز للرجل النصراني أن يقترن بغير النصرانية[5]، أما الاسلام فقد اختلف الفقهاء في تجويز ذلك من عدمه أي زواج المسلم من نصرانية واستدلال الجواز يؤخذ من قوله تعالى "الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (المائدة الآية05)، أما عن حرمة الزواج منهم فقد استدل القائلون بذلك من قوله تعالى " وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ" (البقرة الآية 121)،

---

[1] – محمد شكري سرور : المرجع السابق،ص219

[2] – أبي الفضائل بن العسال: المصدر السابق،240/2

[3] – هند معدللي : المرجع السابق،ص130–131

[4] – خديجة قروعي: المرجع السابق،ص265

[5] – آدم متز: المرجع السابق،ص77

ومن هنا يبدوا أن التشريعات الإسلامية على اختلافها بين تجويز وتحريم كانت ترى في التحرز من الاقتران بالنصارى كأفضل حل فحتى الطرف القائل بمشروعيته كان يرى فيه نوعا من الكراهة[1]، فقد جاء عن الامام مالك أنه قال : أكره نكاح نساء أهل الكتاب – اليهودية والنصرانية – ، قال : وما أحرمه ، وذلك أنها تأكل الخنزير وتشرب الخمر.. وتلد منه أولادا فتغذي ولدها على دينها وتطعمه الحرام وتسقيه الخمر"[2]، ومهما يكن من ذلك نجد أن المصادر المغربية تفيض بذكر زواج الأمراء بالمسيحيات وانتشار الجواري في أسواق كبريات المدن وذيوع ظاهرة التسري بالجواري [3]، وقد كانت قصور المغرب الأوسط تعج بالجواري النصرانيات اللاتي أصبحن فيما بعد أمهات أولاد ونلن حريتهن بل وأصبحن من سيدات القصور[*] والدولة[4]، وذكر الوزان أن بالقصر الزياني بتلمسان العديد من الجاريات المسيحيات[5]، وهذا ما دعمه ابن خلدون بحديثه عن الجارية دعد قهرمانة القصر من وصايف بنت السلطان أبي إسحاق ويبدوا أن تعيين من يقوم على الاشراف على الجواري وتنظيمهن ما هو إلا دليل على كثرتهن بالبلاط الزياني[6] ، ولعل ذيوع ظاهرة زواج المسلمين بالمسيحيات هو ما جعل كتب الوثائق تعرض عقد نكاح الكتابية الذي لا يختلف على عقد نكاح المسلمة فإن كان لها ولي ذكر في نص العقد وإن لم يكن لها ولي " عقد نكاحها أساقفة دينها"[7]، إذ أن التشريعات الفقهية أكدت على أن نكاح الكتابية يعقد من أساقفة أهل دينها

---

[1] – عطية السيد السيد فياض: الضوابط الشرعية لنكاح المسلم لكتابية، دراسة فقهية مقارنة، ط1، دار النشر للجامعات، مصر ، 1423هـ/2002م ،ص27–30،39

[2] – مالك بن أنس: المصدر السابق،219/2

[3] – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الإجتماعي،ص113

[*] – كانت المرأة عند المسيحين في العصور الوسطى رمزا للخطيئة البشرية ، فهي المسؤولة عنها" لست آذن للمرآة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل ، بل تكون في سكون ، أحمد عبد الوهاب : تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، ط1، مكتبة وهبة ، القاهرة،1409هـ/1989م،ص214

[4] – زينب عبد الله أحمد كرير : المرجع السابق،ص209

[5] – حسن الوزان: المصدر السابق،22/2

[6] – عبد الرحمن ابن خلدون: كتاب العبر ،98/7

[7] – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث،ص113

،إلا أن تكون مستأمنة أو معتقة لمسلم فيعقده السلطان وإن كانت مملوكة عقده سيدها[1]، والظاهر أن الزواج كان يربط الرجل المسلم بالمرأة المسيحية فقط إذ أنه لم يرد ذكر المرأة المسلمة بالمغرب الأوسط تزوجت من رجل مسيحي وهذا ما يدعمه برنشفيك من خلال حديثه عن التجار النصارى وكيف أنهم يتعذر عليهم الزواج من أهل البلاد[2]، وعلى العموم فإن هذا الزواج المختلط نتج عنه تأثيرات متبادلة في طرق الاحتفال والمراسيم ويبرز ذلك من خلال التجهيزات والأطعمة المتناولة بمناسبة حفل الزفاف إضافة الى الأغاني والرقصات المواكبة له وهي في الغالب من العوائد المغربية في حين نلمس التأثير المسيحي في العرس الإسلامي المغربي في لبس العروس الطويل المتسربل وراءها ، ومن المرجح أنها أخذت ذلك عن الأوروبيات حيث إمتزن في العصور الوسطى بارتداء هذا النوع من الزي وقد نهى الاسلام عنه لما فيه من تبختر واختيال[3]، وعليه فإن الزواج المسيحي اختلف في خصائصه وميزاته وطرق عقده الذي كان وفق شرائعهم إلا أن قيامه في بيئة مغايرة لبيئتهم فرض عليهم عادات وتقاليد المغرب الاسلامي عامة وكل هذا ما هو إلا نتاج التسامح الديني التي حظيت به الجالية المسيحية بالمنطقة إضافة إلى تعايش الأجناس وانصهارها بعضها بعضا.

---

[1] – أبي إسحاق الغرناطي: الوثائق المختصرة، تح: إبراهيم بن محمد السهلي ،ط1،الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عمارة البحث العلمي، السعودية،1432هـ/2011م ، ص114

[2] – روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص463

[3] – خديجة قروعي: المرجع السابق، ص ص 265،269

ثالثا: الممارسات الدينية

بالنظر إلى مفهوم الدين نجد أنه ما هو إلا جملة من المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقادا وعملا ، ولذلك فقد شكل أحد أهم المقومات الأساسية التي ترتكز عليها المجتمعات ، خصوصا وأن العديد من الدول اتخذته مرجعية لقيامها ، وجعلت منه غطاء لممارساتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، والمتتبع لتاريخ الإسلام يرى كيف أن الدولة كانت مجالا واسعا احتوى مختلف المذاهب والأديان، وكما هو معروف فالمغرب الأوسط كان أرضا خصبة لمختلف الملل والنحل ، ورأينا كيف أن الأقلية المسيحية تواجدت واستقرت بأرض المغرب الأوسط ، ففي ظل الأوضاع التي عاشتها ، بماذا امتازت الوضعية الدينية لهاته الجالية؟ ، وهل حددتها قواعد للتعايش مع سكان المنطقة؟

إن الإسلام بمبادئه وتعاليمه السمحة يعترف بكل الكتب السماوية التي سبقت ظهوره وينصح الناس بالتعايش الاجتماعي السلمي، وطالما نظر لأهل الذمة بعين الرعاية والتسامح ، فهو يصون الحقوق الإنسانية ، ويؤكد حرية الرأي وحرية العقيدة وحرية الفكر[1]، فمنذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومعاملة المسلمين لأهل الذمة قائمة على التسامح والعطف والكرم ، وكان لهم الحق في التمتع بالحرية الدينية وإقامة الشعائر والعقائد الخاصة بهم ، مقابل دفع الجزية[2]، وهي مشتقة من الجزاء إما جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغارا ، وإما جزاء على الأمان الموفر لهم ، وتفرض على الرجال دون النساء، كما يستثنى الصبي والمجنون والعبد لأنهم يعتبرون أتباع وذراري[3]، وقد وضعها ابن رشد على أربعة أصناف : صنف تؤخذ منهم الجزية باتفاق ، وصنف لا تؤخذ منهم الجزية باتفاق ، وصنف تؤخذ منهم الجزية على إختلاف ، وصنف يختلف فيما يؤخذ منهم ، والصنف الأول هو الخاص بأهل الكتاب وذلك

---

1 – علي حسني الخربوطلي: المرجع السابق ، ص ص95،98

2 – علي حسني الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، ط1، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1380هـ/1960م ،ص 111-110

3 – الماوردي: المصدر السابق، ص ص 181،183

تطبيقا لقوله تعالى:"... قاتلوا الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية على يدهم صاغرون"[1] ، أما مقدارها فقد ذهب العلماء على أنه لا ينقص منه على ما قرره عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتجوز الزيادة، أما عند المالكية (مذهب بلاد المغرب): فهي أربعون درهما على أهل الورق ، وأربعة دراهم على أهل الذهب، صرف كل دينار عشرة دراهم، أما عن الذي قرره عمر رضي الله عنه فهو ثمانية وأربعون درهما على الغني وعلى من دونه أربعة وعشرون وعلى من دونه اثنى عشر درهما ، وقد تختلف باختلاف الدول والأزمان[2]، ومن امتنع من أهل الذمة عن أدائها فقد إنتقض عهده وحل ماله[3]، والظاهر أن مثل هاته الحالات لم تكن منتشرة بكثرة في دار الإسلام ، فقد عرف عن النصارى تمسكهم الشديد باستقلالهم ودأبهم المتواصل على المحافظة على شخصيتهم وكرامتهم كأقلية لها مركزها المرموق في المجتمع الذي رضوا بالعيش في كنفه بسلام واطمئنان([4])، فالمسيحي مثله مثل المسلم إذا تدين تدينا كاملا سعى للمحبة والسلام ، والدين الكامل لا تنفصل فيه العقيدة عن الشريعة وعن الأخلاق ، ويبدو أن صور التسامح الإسلامي مع هذه الأقلية عرفت انتشارا عبر البلاد الإسلامية كلها إد أنه لم يرد في المصادر أنه طلب من المسيحين ترك عقيدتهم أو تقويضها ، فالمسلمون التزموا أوامر نبيهم:" أمرنا بترك أهل الذمة وما يدينون"[5]، وقد كان مجتمع المغرب الأوسط مجتمعا إسلاميا متسامحا تعامل مع هذه الجاليات بحكمة وهدوء ، إضافة إلى أن الحكام أظهروا مرونة كبيرة في هذا المجال بالرغم من بعض التجاوزات التي كانت بين الطرفين[6] ، فمنذ الفتح الإسلامي للبلاد والنصارى يتمتعون بحريتهم الدينية واحترام عقائدهم ، حيث عرف

---

[1] – أبي عبد الله محمد العقباني: المصدر السابق،ص148

[2] – أبي الحسن الشافعي: منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، تح: سيد كسروي، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان،1422هـ/2002م،ص169

[3] – المصدر نفسه،ص162

[4] – حسن الممي: المرجع السابق،ص36

[5] – أحمد بن نعمان : التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي، لماذا وكيف؟، ط1، منشورات دحلب، دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر ،1991م، ص 220-221

[6] – عبد العزيز فيلالي: دراسات، ص67

العهد الحمادي تأسيس أول كنيسة بالقلعة سنة 400هـ/1009م يديرها قسيس من رتبة أسقف Evêque وكما سبق الذكر ، فقد نشأت بها أيضا سنة 508هـ/1114م كنيسة مريم العذراء برئاسة القسيس "عزون" المعروف باسم الخليفة ، وبلغ تسامح بني حماد إلى أنهم كانوا لا يعترضون على المطارنة وكبار رجال النصرانية في توظيف من شاءوا من القساوسة بالمغرب الأوسط[1] ، ويستنتج من هذا أن نصارى القلعة وبجاية كان لهم الحق في بناء الكنائس لإقامة شعائرهم الدينية في حين أن المقاطعات التي كانت تابعة للمرابطين لم يرد ذكر لابتناء كنيسة بها ماعدا نص البكري عن تلمسان[2]، وقد يكون غرضهم من ذلك تطبيق الشرائع الدينية إزاء أهل الذمة التي سنت عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،إذ جاء في كتاب نصارى الشام له:"... ولا نحدث كنيسة ولا ديرا ولا صومعة ولا قلاية[*]، ولا نجدد ما خرب منها..."[3]، وجاء في كتاب أحكام أهل الذمة أنه ليس لهم الحق في إحداث بمصر مصره المسلمون بيعة ولا كنيسة ، أما الكنائس التي صولحوا عليها وقت الفتح فتترك لهم[4]، ويذهب بعض الفقهاء إلى أنه من الأحسن أن تنقض كنائس بلادهم المأخوذة عنوة إذ يوجب على المسلمين هدم ما بها من كنيسة وبيعة ودير ، فهي في حكم دار الإسلام[5]، ولعله من الدلائل التي تبرز تشدد المرابطين مع الرعايا المسيحين في بناء الكنائس هو ما أورده ابن رشد عن رجل نصراني كان يمارس شعائره الدينية بمنزله ، ويبدو أن ذلك يرجع لنقص الكنائس بالبلاد[6] ، إضافة لهذا فقد شكلت الرسائل البابوية المتبادلة بين بلدان المغرب الإسلامي عامة أحد أهم القرائن المدعمة لهذا الرأي ، حيث لم يعثر على أي رسالة وجهت

---

[1] – عبد الرحمن جيلالي: تاريخ الجزائر العام، 289/1

[2] – أبو عبيد الله البكري: المصدر السابق، ص76

* – من بيوت العبادة عند النصارى مثل الصومعة.

[3] – أبي محمد عبد الله الربعي: جزء فيه شروط النصارى، تح: أنس العقيل، ط1، دار البشائر الإسلامية، السعودية، 1427هـ/2006م،ص22

[4] – ابن القيم الجوزية : المصدر السابق،ص1204

[5] – الونشريسي : المصدر السابق، 248/2

[6] – المصدر السابق،ص1462

من الأسقفيات إلى المدن المغربية التي تقع تحت ريع الدولة المرابطية[1]، مع العلم أنه وجدت بعض الرسائل المتداولة بين " الناصر بن علناس الحمادي" و"البابا غريغوري السابع"، تدعو في مجملها إلى التسامح والتعايش بين الأديان ، حيث حملت إحدى رسائل البابا عبارات الود وحسن التقدير الذي يكنه للناصر نظرا لما وفره للرعايا المسيحين من رعاية وأمان في ظل سلطته[2]، وفي المقابل نجد أن بعض المصادر بينت العكس فقد ترك المرابطون للنصارى حرية العقائد والشعائر ، والاحتفاظ ببعض قوانينهم[3]، وسمحت للمسيحين المبعدين من الأندلس ، والفئات الموجودة في الحاميات العسكرية من المرتزقة ببناء كنائس في المناطق التي استقروا بها ، وكان لهم الحق في إقامة شعائرهم الدينية شريطة أن لا تضرب النواقيس[4] ، فالناقوس هو شعار الكفر ، ولذلك اشترط عليهم تركه ، فليس لهم الحق في أن يضربوا بأرض الإسلام نواقيسهم إلا فيما كان لهم صلحا وروي عن مالك بن أنس أنه قال:" إذا نقس بالناقوس اشتد غضب الرحمن عز وجل فتنزل الملائكة فتأخذ بأقطار الأرض، فلا تزال تقول: حتى يسكن غضب الرب عز وجل"[5]، ويذكر عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: امنعوا النصارى من رفع أصواتهم في كنائسهم، فإنها أبغض الأصوات إلى الله تعالى ، وأولاها أن تخفض[6]، وفي هذا الصدد أورد الونشريسي نازلة لابن الحاج حول بناء النصارى الداخلون من العدوة كنائس وبيع في موضع استقرارهم حيث أنه أباح لكل طائفة منهم بناء بيعة واحدة لإقامة شريعتهم على أن يمنعوا من ضرب النواقيس، وقد دعم حجته في ذلك على أنهم معاهدون وعليه يقتضي عليهم ثبوت ما سلف من العهد والعقد من الذمة ، والوفاء لهم أمر واجب[7]، وأمام هذه الوضعية من التعارضات والتناقضات بين ما شهدته وضعية الأقلية

---

1 – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الإجتماعي،ص85

2 – موسى هيصام : المرجع السابق،ص5

3 – فتحي زغروت : المرجع السابق،ص109

4 – عيسى الذيب: المرجع السابق،ص68

5 – ابن القيم الجوزية : المصدر السابق، ص ص 1237،1235

6 – أبي الحسن علي الشافعي :المصدر السابق،ص166

7 – المعيار المعرب،217/2،215

المسيحية عصر المرابطين فإنه على العموم لا يمكننا إغفال أنها حظيت بنوع من التسامح رغم بعض المضايقات التي تعرضوا لها، كما أن تلك الفترة شهدت حروبا صليبية جعلت البعض من الفقهاء يستغلونها ذريعة لاتخاذ مواقف متشددة إزاء هاته الجالية[1]، ومن المؤكد أن الكتابات الأجنبية كان لها دور فاعل في تنصيب صورة الدولة الإسلامية المضطهدة للجاليات المقيمة في أراضيها ، خصوصا وأنها تحاملت على المرابطين والموحدين أيما تحامل في آن واحد، مدعية أن المسيحين فقدوا في عهدهم كل نفوذ ومتهمة عهد بني عبد المؤمن بأنه قمة الاضطهاد الديني[2]، وكما سبق الذكر فالمصادر الموحدية أيضا أفاضت بذكر المعاملة المنتهجة إزاء أهل الذمة حيث يذكر المراكشي أنه لم تنعقد عندهم ذمة ليهودي ولا نصراني، ولم تحدث في جميع بلاد المغرب بيعة ولا كنيسة[3]، والظاهر أن هذا ينطبق على الأيام الموحدية الأولى إذ أن التنظيم الكنسي بلغ أوجه ابتداء من عهد المأمون، حيث أرسلت البابوية مستفيدة من التسامح والحرية العقائدية بأرض المغرب الأوسط عدة أساقفة للمدن الكبيرة كما أبيح لهم بناء الكنائس وإستقبال البعثات التبشيرية لممارسة نشاطها سواء في المدن الداخلية أين تقيم الحاميات العسكرية أو داخل الأرباض والأحياء مقر سكنى الجاليات المسيحية الأخرى في ضواحي المدن الساحلية[4] ، والرسائل البابوية خير دليل على ذلك فنجد أن البابا غريغوار التاسع قد بعث رسالة إلى الخليفة الموحدي الرشيد في 27 ماي 1233م/631هـ فحواها شكر وإمتنان على ما يلاقيه الأساقفة ورجال الكنيسة من عطف وتكريم إضافة إلى رسالة مماثلة عهد السعيد الموحدي (640هـ -646هـ/1242م-1248م) مرسلة من البابا إنوسانت الرابع يتحدث فيها عن الحرية التي تمتعت بها الكنائس خلال مدة حكمه[5]، ووصل به الأمر إلى حث الجالية المسيحية وتشجيعها على التوجه لديار المغرب الأوسط، وطلب من الأساقفة الإسبان والبرتغاليين الوقوف على هذه الجاليات وحماية

---

[1] – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث،ص85

[2] – إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المتوسطية،ص94

[3] – المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص

[4] – عبد العزيز فيلالي : دراسات،ص61

[5] – إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المتوسطية، ص 95

ممتلكاتهم ، وهذا بطبيعة الحال أدى إلى ارتفاع عددهم في المدن المغربية وقد أكدت إحصائيات القرن 8هـ/ 14م تدفق هاته الجاليات المتوسطية نحو البلاد ،إذ كان بتلمسان وحدها ما يزيد عن 4000 مسيحي[1]، وعلى ما يبدوا أن الأوضاع الدينية للنصارى اتسمت بانفتاح أكثر اتساع منذ القرن8هـ/14م، إذ لم تعد قضية بناء الكنائس تثير جدلا حيث لم يطبق المبدأ القائل بتحريم بنائها إلا في حالات نادرة ، ولم تمنع عادة إلا بعض المظاهر الخارجية كضرب النواقيس أو بناء صومعة في شكل برج أجراس[2]، وهذا راجع لتمتع الأقلية المسيحية بمختلف عناصرها بمعاهدات تضمن لهم حرية بناء الكنائس الصغيرة في الفنادق التي يقيمون بها[3]، وهذا ما أكده الونشريسي بقوله :"جدد بعض النصارى كنيسة في فندقهم وعلا عليها شيء يشبه الصومعة ، فطلبوا بذلك ،فأتوا بكتاب العهد ، فوجدوا فيه أنه لا يحال بينهم وبين أن يبنوا بيتا لمتعبداتهم..."[4]، ومن المؤكد أنه صرح لهم بأداء مختلف طقوسهم المسيحية بها ، ووصل الأمر إلى أن صلواتهم وأصواتهم تسمع خارج الكنيسة[5] ، وتجدر الإشارة إلى أنه لكل جالية أسقفيتها الخاصة حيث كان لكل من تجار جنوة وبيزا كنائسهم الخاصة بهم، وهذا أمر طبيعي فكل كنيسة مرتبطة بفندقها وكما سبقت الإشارة إليه فإن الفنادق كانت مقسمة حسب الجوالي[6]، فقد كان لرعايا بيزا كنيسة ببجاية ، وكذلك الشأن لرعايا البندقية وقطلونيا ، إضافة إلى كنيسة بفندق المرسيلين ببجاية (كانت موهوبة للقديس بطرس)، وعلى الأرجح أن سجون الأسرى المسيحين أيضا احتوت على كنائس خاصة بهم[7]، إذن فتوفر الكنائس بالمغرب الأوسط وممارسات النصارى الدينية قد فرضت عنصر آخر من هاته الأقلية بالمجتمع المغاربي والذي تمثل في رجال الدين من قساوسة ورهبان

---

[1] – عبد العزيز فيلالي :دراسات،ص64

[2] – عبد العزيز فيلالي : تلمسان،192/1

[3] – روبار برنشفيك: المرجع السابق،ص482

[4] – المعيار المعرب:172/2

[5] – عبد العزيز فيلالي: دراسات،ص66

[6] – إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المتوسطية،ص87

[7] – روبار برنشفيك : المرجع السابق،482

وكهان وكان حضورهم كتمثيل للكنيسة الرومانية وفي نفس الوقت من أجل الإشراف على هاته الجاليات ، وقد حددت المعاهدات صلاحياتهم ومهامهم مثل المعاهدة الأراغونية التلمسانية المبرمة سنة 685هـ/1286م[1] وبذاك فإن كل كنيسة كانت خاضعة للامتيازات الأوروبية في المنطقة وترجع في أمورها إلى الدولة التابعة لها بعينها ، فقد كان الكهنة التابعون لبيزة في بجاية راجعين بالنظر إلى رئيس الأساقفة في مدينة بيزة ، وكان يدفعون لهم ضريبة سنوية[2]، ومن المهام التي أوكلت لرجال الدين أيضا افتداء الأسرى ويتم ذلك تحت رعاية السلطة المحلية الرسمية وذلك حتى لا يتجاوزوا حدود صلاحياتهم[3] .

العبادات والطقوس المسيحية : تأثرت العبادات المسيحية بالتيار اليهودي وعباداته التقليدية التي سار عليها عيسى عليه السلام وتبعه في ذلك من بعده حواريوه فسيدنا عيسى عليه السلام جاء مكملا ومجددا لروحية التقوى التي حاد عنها اليهود[4] ، كما أنها تأثرت بالعبادات الوثنية خصوصا وأن النصارى يعتبرونها نتاج الحضارة الانسانية التي يتفاعل أبناؤها فيما بينهم حتى في مجال العقيدة[5] .

1/ الصلاة : هي مخاطبة الإنسان للإله تعالى بشكره وتمجيده والإقرار بربوبيته والاعتراف له بذنوبنا والطلب منه ما يرضيه لنا[6] ، والصلاة عندهم سبع صلوات في اليوم والليلة وليس لها كيفية محدودة فهي في الغالب عبارة عن أدعية يختارونها من أدعية المسيح عليه السلام ، أو أدعية داوود عليه السلام مثلما جاءت في المزامير من " العهد القديم " ، وتتم وفق شرطين :

أولا : أن تقدم باسم المسيح لأنه الواسطة عندهم .

---

[1] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان،192/1

[2] – روبار برنشفيك : المرجع السابق،ص482-483

[3] – عبد العزيز فيلالي: دراسات،ص67

[4] – عبد الرزاق رحيم صلال الموحى: العبادات في الأديان السماوية اليهودية– المسيحية –الإسلام، تدقيق: إسماعيل الكردي،ط1،الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات، دمشق،2001،ص143

[5] – المرجع نفسه،ص201

[6] – ابن العسال: المصدر السابق،201/1

ثانيا : أن يتقدم الصلاة الإيمان الكامل بما في ديانتهم من التثليث وغيره[1] ، ويتمسك النصارى بالصلاة تقليدا لسيدنا عيسى عليه السلام ، إذ أنه كان يختلي ويصلي ويسجد متواترا ، وقيل أنه كان ساهرا في صلاة الله فعلم الصلاة أولا بالقول وثانيا بالفعل[2] ، وتتميز الصلاة عندهم بالإختلاف بين الراهب المتفرغ للعبادة والمسيحي المتفرغ للعمل حيث يتمسك هذا الأخير بصلاتي الصبح والمساء فقط أما الرهبان فيقيمون الصلوات السبع وقد يزيدون عليها ويؤدونها بعمق كالمتصوفة[3]، وتكون الصلاة على أنواع فمنها الفردية السرية ، ومنها العائلية في البيت ومنه الصلاة العامة في الكنيسة ، وأهمها هي تلك التي تصلى يوم الأحد حيث يقرأ الكاهن منهم شيئا من المزامير أو الكتاب المقدس والجميع خلفه منصتون ويقومون بالدعاء عند نهاية كل مقطع[4] ، أما عن طريقة تأديتها فتكون بداية بالرشم بالإصبع مثال الصليب من فوق إلى أسفل ومن الشمال إلى اليمين ويكون ذلك لطرد الشياطين ، وفيما يخص الإشارة من فوق إلى أسفل ومن الشمال إلى اليمين فهي رمز لنزول المخلص من السماء إلى الأرض ونقله للمصلين من جهة الشمال إلى جهة اليمين ، واتخذ الصليب مثالا لأنه عندهم آلة الخلاص ثم من بعد ذلك تلاوة ألفاظ الصلاة بخوف ورعدة ثم يليها الركوع والسجود ، ويرتبط عدد الركعات والسجدات بذكر السجود لله تعالى في الصلاة ويبتدئ بسجدة واحدة أو ثلاث سجدات وكذلك آخر كل مزمور و تسبحة ، ومن المستحب رفع الأيدي مبسوطات الأكف ، ورفع العينين إلى العلو ، ودق الصدر عند الإستغفار ندما على ما فرط من المعاصي وأسفا على ما فات من العمر[5] ، وتعتبر صلاة الصبح والمساء من أهم الصلوات عندهم ، وذلك لأنهما يوافقان سيرورة الحياة اليومية للبشرية، أي ساعة الإستيقاظ من النوم صباحا ، ووقت العودة من العمل والخلود للراحة[6]، وقد وصف ابن القيم صلاتهم بـ:" وطوائف النصارى إنما

---

[1] – سعود الخلف: المرجع السابق،ص268

[2] – يوحنا ابن سباع: المصدر السابق،ص91

[3] – عبد الرزاق رحيم صلال الموحى: المرجع السابق،ص154

[4] – سعود الخلف: المرجع السابق،ص268

[5] – ابن العسال: المصدر السابق، ص156–158

[6] – عبد الرزاق رحيم صلال الموحى: المرجع السابق،ص152

يقرأون في صلاتهم كلاما قد لحنه لهم الذين يتقدمون ويصلون بهم، يجري مجرى النوح والأغاني، فيقولون هذا قداس فلان ، وهذا قداس فلان ، ينسبونه إلى الذين وضعوه"[1]، أما عن الصلوات السبع فهي كما ذكرها ابن العسال:

الأولى: قبل طلوع الشمس(صلاة الصباح)، يجب صلاتها بعد غسل الأيدي بالماء قبل الاشتغال بشغل.

الثانية: صلاة الثالثة.

الثالثة: صلاة السادسة.

الرابعة: صلاة التاسعة.

الخامسة: صلاة الغروب.

السادسة: صلاة النوم.

السابعة: صلاة نصف الليل بعد غسل الأيدي بالماء، فإن لم يوجد ماء في ذلك الوقت ينفخ في اليد ويرشم بالريق الذي يخرج من الفم[2]، وتكون هاته الصلوات بالتوجه بالوجه إلى الشرق، لأنه قيل في شرائعهم أن المسيح يظهر من المشرق في مجيئه الثاني[3] ، وللإعلام لبدء الصلاة يستخدم النصارى النواقيس ، كما تستخدم عند مناداتهم إعلانا لبدء القداس أو صلاة جنازة أو حفل التعميد...، وعلى عكس الإسلام فإن تارك الصلاة في المسيحية لا يترتب عليه أي حكم ديني لأنهم يعدونها من خصائص الإنسان ومن أموره الشخصية[4].

---

[1] – ابن القيم الجوزية: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،ط1، مجمع الفقه الإسلامي، جدة ، السعودية،1429هـ، ص141

[2] – المجموع الصفوي،ص159

[3] – المصدر نفسه،ص157

[4] – عبد الرزاق رحيم صلال الموحى : المرجع السابق،ص162

2/الصوم: وهو عندهم امتناع الإنسان من الغذاء وقتا معينا في الشريعة طاعة لمن شرعه لتمحيص الذنوب وتعظيم الثواب[1]، وقد يكون هذا الامتناع حتى بعد منتصف النهار ويفطر على طعام خال من الدسم ، والبعض منهم يرى أنه امتناع عن الأكل والشرب من الصبح إلى المساء[2]، ويبدو أن الصوم عند المسيحين لم يكن فرضا واجبا فقد ذكرته الأناجيل في سياق مدحه مع النهي عن الرياء وعدم العبوس في الصوم ، والظاهر أن المقصود من ذلك هو أن السيد المسيح أراد للصائمين عدم إظهار صومهم للآخرين لكي لا يصبحوا به مرائين كما كان يفعل اليهود، فهو إذن عندهم عبادة نسكية وتوجه إلى الله تعالى[3] "ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين فإنهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين، الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم، وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك وأغسل وجهك ، لكي لا تظهر للناس صائما بل لأبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية"[4]، ومن هنا يتبين لنا أنه كان من مظاهر صومهم دهن الرأس وغسل الوجه[*]، أما عن طريقة الصيام فقد كانت على أنواع منها ماهي مفروضة ، ومنها ماهي زائدة الفرض: صوم الأربعين التي صامها السيد المسيح أخرها بجمعة الفصح ، ثم جمعة الصلب ، وذلك يصام إلى آخر النهار، ثم صيام الأربعاء[**] والجمعة[***] من كل أسبوع غير أيام الخمسين وعيدي الميلاد والظهور ، ويصامان لغاية التاسعة ، ويمتنع في هاته الأيام عن أكل الحيوان وكل ماله صلة بحيوان دموي[5] ، وقد رتب النصارى صوم الأربعين في كل سنة مماثلة لصوم سيدنا عيسى عليه السلام الذي صام أربعين يوما وأربعين ليلة متوالية و القصد من ذلك قبول روح القدس

---

1 – ابن العسال: المصدر السابق،ص170

2 – سعود الخلف: المرجع السابق،ص268

3 – عبد الرزاق رحيم صلال الموحى: المرجع السابق،ص181

4 – إنجيل متى، إصحاح16/6–19

* – يعتبر هذا كرد فعل لما كان يفعله اليهود في صيامهم من نثر الرماد على الرؤوس وعدم غسل الجسم والملابس، عبد الرزاق رحيم صلال الموحي: المرجع السابق،ص183

** – يوم المشاورة على موت المسيح عندهم

*** – لأنه صلب عندهم فيه المسيح عليه السلام، سعود خلف: المرجع السابق،ص286

5 – ابن العسال: المصدر السابق،171/1

الذي جل عليه في نهر الأردن كشبه حمامة[1]، ويذكر الترجمان أنهم في كل سنة من صيامهم هذا يمشون إلى الكنائس للإقرار بجميع ذنوبهم للقساوسة المشرفين على الكنائس[2].

وبالنسبة للزائدة منها فهي: جمعة هرقل وهي مقدمة الصوم الكبير ، وصوم يوم قبل عيد الميلاد ، ويوم قبل الغطاس، وصوم أهل نينوى وهو ثلاثة أيام، وصوم عيد السيدة مريم العذراء: وكان يصوم هذا اليوم المتنسكون والراهبات وعدد أيامه 15 يوما ، وتصام هاته الأيام حتى التاسعة من النهار ، ولا يؤكل فيها لحم ماعدا السمك[3] ، أما الأيام التي حرم فيها الصيام فهي يومي الأحد والسبت[4]، وبالإضافة إلى امتناعهم عن الطعام فقد عرف عندهم صوم الصمت: ويكون فيه الامتناع عن الكلام وتلتزم به كنيسة دون أخرى ، وقد أقره مجمع الرسل في أورشليم سنة 70م[5]، ويذهب البعض من النصارى إلى أنه لا يشترط أن يكون صيام النصراني بشكل دوري بل يكون وقت حاجة الإنسان للصيام ، وكل صيام محدد فهو أمر مبتدع غير مشروع[6].

ومن العبادات التي التزم بها النصارى أيضا الصدقات والحج، والصدقة هي جود الإنسان بأمواله على المحتاجين إليها لا طلبا لمكافأتهم بل طاعة للرب وتكون على قسمين سرا وجهرا، من يد المتصدق على المحتاجين ، والجائع والعطشان والعريان والغريب والمريض والمحبوس والأسير ، والجهرية منها هي تلك المقدمة للكاهن وهي العشور والبكور والنذور[7]، أما الحج فيكون إلى القدس الشريف أين توجد الآثار المقدسة للسيد المسيح عليه السلام ، ومن لم يتمكن من زيارته فلينفذ إليه قرابين للمعونة ورسم العمارات...[8]، ويبدو أن هذه

---

[1] – يوحنا بن سباع: المصدر السابق،ص85

[2] – تحفة الأريب،ص97

[3] – ابن العسال: المصدر السابق، ص171-172

[4] – المصدر نفسه،ص197

[5] – عبد الرزاق رحيم صلال الموحى: المرجع السابق،ص183

[6] – سعود الخلف: المرجع السابق،ص269

[7] – ابن العسال: المصدر السابق، ص ص 182،177

[8] – المصدر نفسه،ص199-200

العبادات تشكل أركان الديانة المسيحية عندهم وهي التي جاءت بها الأناجيل حسب زعمهم، وما يلاحظ في هذا أن هاته العبادات في حد ذاتها متعددة الأنواع وفيها الإختلافات حسب طوائفهم وعوائدهم.

إضافة إلى الحريات الدينية التي تمتعت بها الأقلية المسيحية بالمغرب الأوسط ، فقد نعموا أيضا بسلطة قضائية خاصة ، ولم تكن الدولة تتدخل في شؤون قضائهم حيث خصص لهم قاضي ينظر في أمور الجنايات والنزاعات عرف باسم" قاضي النصارى " أما في حالة اشتعال النزاع بين مسلم ومسيحي فالفصل يكون لقاض مسلم وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية[1] ، وفي الغالب يكون هؤلاء القضاة ولا سيما في الفنادق تحت سلطة القنصل الذي فوض له أيض القضاء بين الرعايا الأجانب[2]، فقد كان له وحده الحق في النظر في القضايا المدنية والجنائية ، وكان يتولى الحكم في القضايا الخاصة بطرفين من التجار المسيحين التابعين لبلده ، أما قضايا التجار من جنسيات مختلفة فتناقش بوضوح وعلنا بعض الأحيان[3]، وقد تخول هذه السلطة في بعض الأوقات إلى السفراء النصارى[4] ، والظاهر أن التسامح الديني الإسلامي مع النصارى بلغ إلى حد السماح بممارسة بعض الشعائر الدينية الإسلامية إذ صرح لهم الخروج مع المسلمين في صلاة الإستسقاء[5]، والمرجح أن المسلمين كانوا أكثر تسامحا وتساهلا مع الأقلية المسيحية دونما بقي من أهل الذمة، فالجاحظ يذكر أن النصارى كانت أقرب إلى عوام المسلمين من المجوس وأسلم صدرا عندهم من اليهود وأقل غائلة وأصغر كفرا وأهون عذابا[6].

---

1 – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث،ص74

2 – إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المتوسطية،ص91

3 – مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق،ص238

4 – روبار برنشفيك : المرجع السابق،ص470

5 – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث،ص75

6 – أبي عثمان عمرو الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، تح: محمد عبد الله الشرقاوي،ط1، دار الجيل، بيروت ، مكتبة الزهراء، جامعة القاهرة،1411هـ/1991م،ص16

ومن الإيجابيات التي جرتها المعاملة الحسنة مع الأقلية المسيحية على البلاد وعلى الإسلام هو انتشار ظاهرة اعتناق الإسلام في صفوف الجند والضباط حيث اتبع الكثير منهم الدين الإسلامي عن طواعية وأصبحوا علوجا أحرارا[1]، وقد كان لرجال التصوف دورا في ذلك حيث يذكر أن جماعة من رهبان النصارى جاؤوا إلى مسجد بزي المسلمين بغية معرفة أحواله فوجدوا به قناديل موقدة، فأراد الشيخ أبو مدين أن يظهر لهم بعضا من كراماته ، فإذا بمصابيح المسجد منطفأة نتيجة تنفسه ، فانبهروا بهذه الكرامة وأسلموا[2] ، ولم يشهد الوضع تأثيرا إيجابيا فقط ، حيث كانت هناك انعكاسات سلبية جراء استقرار هاته الجالية بالمنطقة فقد تشت سلوكيات دخيلة ومفاسد على حد السواء[3]، ويرجع ذلك إلى رواج تجارة الخمر والمخدرات التي امتهنتها التجار النصارى ، وقد عمل الفقهاء على محاربة هذه الظاهرة ، وسعى القضاة على معاقبة متعاطيها بالجلد والتعزيز والذم وإبعاد الناس بالنصيحة[4] ، ومن خلال بعض النواهي التي أوردتها كتب الحسبة يتبين لنا انتشار الفسق وبعض الأفعال المنافية للأخلاق والدين ،فالبعض منهم حرم الحلال واستحل الحرام ، ولهذا حذر بعض الفقهاء من منع النساء المسلمات دخول الكنائس جراء ما يفعله بعض القسيسين من أفعال مشنوعة ، هذا وقد حذروا من دخول النساء المسيحيات للكنيسة إلا في يوم فضل أو عيد "فإنهن يأكلن ويشربن ويزنين مع القسيسين..."[5]، وقد أشار ماس لاتيري لبعض هذه السلوكيات في سياق حديثه عن منع العاهرات من الإقامة بفنادق النصارى[6]، ويذكر الوزان أن تجار قسنطينة كانوا يسرفون أموالهم ومعظم ما حصلوا عليه على الفجور والنساء المائعات[7]، ومن الظواهر السيئة التي عمت البلاد هي اختلاط نساء النصارى بالنساء

---

[1] – عبد العزيز فيلالي: دراسات،ص65

[2] – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث،ص116(مذكورة في الهامش)

[3] – إبراهيم القادري بوتشيش: الذهنيات، ص ص97،99

[4] – زينب عبد الله كرير : المرجع السابق،ص210

[5] – ابن عبدون: المصدر السابق،ص49

[6] – Mas Latrie . op-cit .p90

[7] – وصف إفريقيا، 60/2

المسلمات في الحمامات وانجر عن ذلك بعض المحظورات كالتكشف وغياب التستر ، وغيرها من المفاسد " يجتمعن في الحمامات مسلمات ونصرانيات ويهوديات فيكشف بعضهن على عورات بعض..."[1]، ومن أهم المخاطر التي عادت بها الجالية النصرانية على السلطة الإسلامية بالمغرب الأوسط هي سياسة التبشير الديني المسيحي، إذ أن البابوية حملت للبعثات التبشيرية مشروع إعادة تنصير بلاد المغرب واستنفذوا لذلك العيد من الوسائل منذ القرن7 هـ/13م[2] وكانت عملية افتداء الأسرى أحد أهم المشاريع التي استهدفت سياسة انتشار الحركة التبشيرية ، وقد أخذت الفرق الرهبانية هذه المهمة على عاتقها وأشهر هاته الفرق: فرقة سان جاك ، وفرقة نوتردام دي مونجوا، فرقة الثالوث المقدس وعذراء الرحمة ، وعملت هذه الفرق على تحقيق نذورهم الدينية[3] إذ أن عملها تطور من مجرد افتداء الأسرى المسيحين إلى التبشير بالمسيحية في أوساط المسلمين وقد واجه ملوك المغرب هذه التحركات بكل شدة وحزم[4] ، ومع هذا استمرت المحاولات فكان لفرقتي الفرنسيسكين والدومينيكين نشاط واسع من أجل نشر الديانة المسيحية بالمنطقة خصوصا وأن حكام الدول الأوروبية أولوا إهتماما بذلك ، ففي القرن9هـ/15م حرص ملك أرغونة على حماية الرهبان والأسرى الموجودين ببلاد المغرب عن طريق مراسلته لأميري بونة وبجاية يوصيهما فيها بتوفير الرعاية والحماية للرهبان[5] ، وعلى الرغم من هذا النشاط الواسع وتزايد الحركيات التبشيرية والجهود المسيحية إلا أن ذلك لم يستطع التأثير في المجتمع المغربي سوى بشكل محدود جدا ومن الواضح للعيان أن الأهالي لم يستسلموا لدعاية الإيطالين أو الفرنسين أو القطلونيون ، بل حافظوا على ثباتهم على الدين الإسلامي، وظلوا صامدين أمام تسرب الإنجيل ، وبذلك فإن كل شعب حافظ على المعتقد الذي كان يؤمن به[6].

---

1 – ابن الحاج: المصدر السابق،172/2

2 – عبد العزيز فيلالي: تلمسان،192/1

3 – روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص484،483

4 – البارودي: المرجع السابق،ص222–223

5 – روبار برنشفيك : المرجع السابق،ص486–487

6 – إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المتوسطية،ص100–101

وفي الأخير فإن السياسة الإسلامية المتخذة إزاء هذه الأقلية لم تحد عن تعاليم الإنسانية ولاعن التعاليم الروحانية الإسلامية فأعطتهم حقوقهم الدينية وصانت لهم عهودهم المقطوعة لينتج بذلك مجتمع مغاربي تعايش في أوساطه مختلف الفئات الدينية التي نعمت بتطبيق عقائدها وشعائرها رغم بعض التجاوزات من جهة ، وتحذيرات الفقهاء من جهة أخرى، وبطبيعة الحال فإن كل سياسة لها أثرها الإيجابي والسلبي الذي قد يعود بالنفع والضر على حد السواء.

خاتمة

خاتمة:

وفي خاتمة هذه الدراسة ينبغي علينا أن نصل إلى أهم النتائج المستخلصة مما حوته المصادر والمراجع التي خدمت موضوع الأقليات الطائفية ، وبصفة خاصة الأقلية المسيحية ، وما يتعلق بها من خصوصيات وأنماط عيشها في ظل مجال المغرب الأوسط طيلة 5 قرون.

بتتبع الأصول التاريخية للنصرانية بأرض المغرب الأوسط نجد أنها متوغلة الجذور منذ فترتها القديمة ، حيث ارتبط وجود النصارى بالمنطقة بالقرن 2م أي مع البدايات الأولى للمسيحية التي جاء بها سيدنا عيسى عليه السلام ، إذ أنها خرجت من بلاد الشام لتعرف انتشارا في مختلف مناطق العالم عن طريق الرسل والمبشرين المسيحين ، وبذلك فقد شقت طريقها آنذاك إلى نوميديا وموريطانيا السطايفية – المغرب الأوسط- لتجد إقبالا لاعتناقها من الأهالي وبعض الوافدين على المنطقة رغم العقبات التي واجهتها إلى حين اعتمادها كديانة رسمية من طرف البيزنطيين ، لكن بمجرد أسلمة البلاد فإن وضع هؤلاء النصارى تغير من غالبية إلى أقلية متعايشة في كنف الإسلام، وعاصرت دولا إسلامية عدة كالأدارسة والرستمين، والفاطميين ، وبني حماد ، والمرابطين ، والموحدين، بني عبد الواد، والمرينين ، وبني حفص.

وانطلاقا من هذا فقد أصبح مجتمع المغرب الأوسط يشكل مزيجا اجتماعيا من مختلف الفئات والطوائف ، وتشكلت الجالية النصرانية في حد ذاتها من عدة فئات وعناصر ، فكان منها : بقايا البيزنطيين الذين تخلفوا عن اللحاق بأسلافهم عقب الفتح الإسلامي وهذا ما أكدته الأسقفيات والكنائس التي كانت بالمنطقة ولاسيما في القرن 5هـ/11م، إذ شهد تواجدهم مختلف حواضر مملكة بني حماد ، وكانوا يخضعون لتنظيمات كنسية خاصة بهم، وتمتعوا بحرية تامة ، إلا أن هذه الطائفة كانت في أَوْل الزوال مع بداية القرن 6هـ/12م، حيث أخذت تتناقص تدريجيا ، وضافة لهؤلاء فقد استطاع بعض الأهالي المحليين المحافظة على ديانتهم النصرانية كقبائل زواوة حسب رواية كربخال، وكان بالقلعة الحمادية جالية أهلية عملت

المراجع الأجنبية على تعميق أصالتها البربرية، لكن عددها ما فتئ أن تقلص وتراجع وانحدر نحو التلاشي مع التوحيد السياسي لبلاد المغرب الإسلامي على يد الموحدين ، ولعل أهم عنصر أثر في تاريخ الأقلية المسيحية بالمغرب الأوسط هو العنصر الأوروبي الذي تعددت روافده وتنوعت فلطالما شكلت بلاد المغرب منطقة جذب لمختلف الأفراد والجماعات ، فكانت العناصر الأجنبية تفد البلاد إما للتجارة أو للعمل في السلك العسكري كجند مرتزقة أو كأسرى حرب وعمليات قرصنية ، وامتازوا بتعدد الأجناس واختلافها فمنهم من كان من الجمهوريات الإيطالية كالبندقية، وجنوة، وبيزا ،وفلورنسا، ومنهم من كان من البلاد الإسبانية كأراغون، قطلونيا، برشلونة...، وفرنسا: كمرسيليا، وبروفانسيا، ولانجدوك...

إن استقرار هاته الفئات بالمغرب الأوسط اقترنت بطبيعتها ووضعيتها الاجتماعية ، فمنها من كان بشكل قار ودائم، ومنها كان بشكل مؤقت بغرض المنفعة الشخصية، وبذلك اختلف توزعهم من منطقة لأخرى ، حيث مكث غالبيتهم بالمدن كبجاية والقلعة، وتلمسان وبونة، ووهران وما إلى ذلك، وكان لانتشار حركة الفنادق تدعيم لاستقرار هذه الجالية وبشكل خاص التجار بها، وفي المقابل نجد أن عددهم ينحصر في المجال البدوي، لابل يكاد ينعدم ماعدا بعض الاستثناءات كالأسرى الذين امتهنوا الأعمال الزراعية وبعض العبيد الذين خدموا البيوت البدوية.

ومن الضروريات التي فرضتها الحركة الاستقرارية للنصارى بالمغرب الأوسط هي تحديد وضعياتهم على مختلف طرائقهم وعناصرهم، وبذلك برزت نشاطاتهم على الجانب السياسي والإقتصادي والثقافي:

سياسيا: شكلوا عتادا بشريا لجيوش دويلات المغرب الأوسط ، فنشطوا كقادة عسكريين وكجند مرتزقة ، وهذا الأمر كان متعرف عليه عند المرابطين والموحدين، وبني عبد الواد وجارتيها: بني حفص وبني مرين ، وكانت لهم اسهامات فاعلة في السلك العسكري لما أدخلوه من أسلحة جديدة ، وطرقهم القتالية التي يصفها ابن خلدون بالثبات في الزحف، هذا وقد

استأثر بعضهم بمناصب هامة في الجهاز الحكومي ، ولعل ذلك ينطبق بغالبية كبرى على أولئك الذين اعتنقوا الإسلام، وعرفوا باسم "الموالي العلوج"، ويضاف لهذه العناصر أيضا الأسرى الذين استخلصتهم الحروب وحركة القرصنة البحرية، واستعملتهم دول المغرب الأوسط في مختلف الصنائع ويتعلق ذلك بمن لا فداء فيهم.

وعلى الرغم من أن المغرب الأوسط والبلدان المتوسطية المسيحية جمعنهم علاقات عدائية فرضتها الظروف الجغرافية والوقائع التاريخية إلا أن هذا لم يمنع من عقد صلات دبلوماسية وتجارية في آن واحد حددت بين الطرفان طبيعة العلاقات ونظمت أوضاع جاليتهم بالأقطار المغربية من خلال ضمان الحرية والرعاية لهم، وهذا ما جسد بواسطة الحبر والورق على شكل معاهدات رسمية خدمت الجانبين، وكان للسفراء المسيحيين دور في تمتين هذه الروابط، ليشكلوا بذلك أحد أطراف الجماعات النصرانية بمجتمع البلاد، مدعمين بموظفين ذو سلطة عليا استطاعوا أن يلعبوا في غالب الأحيان دور الوسيط بين الأقلية المسيحية والجهاز السلطاني بالمغرب الأوسط، واعتبروا نوابا لحكامهم الأوروبيين في الدولة وهم القناصل الذين استطاعوا تحديد وضعيات النصارى وبشكل خاص التجار، فإليهم يُرجع في الحل والربط، وبطبيعة الحال فهذا يجرنا لتقفي وضعيتهم الاقتصادية:

اقتصاديا: شكلت التجارة والتجار النصارى أحد أهم موارد المغرب الأوسط من القرن5هـ/11م إلى القرن 9هـ/15م، حيث نشطت حركة المبادلات بين الطرفين وعمت الأسواق بالمنتوجات الأوروبية ، وكانت قبلة للتجار النصارى لما تحويه من نفائس بلاد السودان من ذهب وعاج، ورقيق زنجي، ومنتوجات محلية وخاصة منها المنسوجات التي اشتهرت بها تلمسان وما يجاورها من مدن ، لذا فقد شكل التجار المسيحيون أهم فئة ضمن هاته الأقلية، فوفرت لهم الفنادق للسكن ، والقياسر لتنظيم تجارتهم، ومنحت لهم جميع حقوقهم من ممارسات وشعائر دينية، ولم يقتصر نشاطهم الاقتصادي على التجارة فقط، بل برزوا أيضا في مجال الصنائع والحرف والتي امتهنها في الغالب المستقرون بالبلاد بشكل دائم ، فكان منهم البائع ، والبناء ، والمهندس ، والطبيب والمزوق...

ثقافيا: نجد أن المصادر لم تذكر في هذا الجانب الكثير، بل تكاد تنعدم الإشارات في ذلك ، خصوصا إذا ما قارنا ذلك مع اليهود الذين كانت لهم اسهامات قوية في الحركة الثقافية بالدولة الإسلامية ، ومع هذا فقد استطعنا استقاء بعض الممارسات الثقافية للجالية النصرانية بالمغرب الأوسط والتي طغت عليها بشدة حركة التأثير والتأثر، حيث استطاع الأوروبيون نقل العديد من العلوم والمعارف لبلدانهم عن طريق مختلف مدن المغرب الأوسط ، وخاصة بجاية التي نهل من علومها الإيطالي فيزوباتشي كعلوم الجبر والهندسة، كما ظهروا في العلوم النقلية كالفلسفة وعلم الكلام، والعلوم الطبية ، فكان منهم أطباء، وضف إلى ذلك فرضت عليهم المعاملات مع سكان البلاد حتمية تعلم اللغة العربية ، فكان منهم المترجمين على مختلف اللغات.

أثبتت الدراسة أن الأقلية المسيحية لم تكن منعزلة عن مجتمع المغرب الأوسط، بل امتزجت بسكانه وتعايشت معهم جنبا لجنب، فكانت بيوتهم مشابهة لبيوت المسلمين ووفرت لهم مختلف سبل العيش الكريم وفق ما جاءت به الشريعة الإسلامية إزاء أهل الذمة ، وكان للجند المرتزقة أحياء خاصة بهم يقطنونها عرفت بالأرباض، ووفرت الفنادق للتجار والمسافرين النصارى للإيواء ، فكان بها كل ما تتطلبه ضرورات الحياة، ووصل حد التمازج السكاني إلى المماثلة في الغذاء واللباس، فتزي بعضهم بأزياء إسلامية ، وهذا ما طرح إشكاليات وتحرزات فقهية قصد تمييزهم عن سائر المسلمين بالبلاد بواسطة الزنار ، والشكلة...، وتبنى المرابطون والموحدون بشكل خاص تطبيق ذلك وإلزامهم بما جاء به العهد العمري ، إلا أن ذلك أخذ منحى آخر عهد الدويلات الثلاث نظرا للتسامح الذي حظي به النصارى في ذلك الوقت.

ومن مظاهر التجانس الحضاري الاجتماعي بين الجالية المسيحية وأهالي البلاد هي العادات والتقاليد حيث احتفل بعضهم بعضا بأعيادهم ، فكان المسلمون يشاركون النصارى في أعيادهم كالمهرجان ، والنيروز، وأعياد الميلاد...، ويهادونهم ويأخذون بطقوسهم الاحتفالية كجم الخيل ، وغسل الثياب...، كما شاركوا في حفلات الزواج وأعراسهم، وظهرت المؤثرات

المغربية في العرس المسيحي في الولائم وطريقة الاحتفال ، إلا أن هذا لم يكن ليرضي العلماء والفقهاء الذين اعتبروا ذلك من البدع.

إذن فإن المصادر التاريخية أكدت على عدم وجود قوانين عنصرية اتبعتها الدولة الإسلامية مع أهل الذمة ، بل على العكس فقد تمتع هؤلاء بالحرية في أرض الإسلام كرعايا لهم حقوق وعليهم واجبات ، فكانت لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية في كنائسهم وحافظوا على عباداتهم وطقوسهم الدينية، حيث كانت تسمع صلواتهم وترانيمهم في أحياء المغرب الأوسط، ووفرت لهم مقابرهم الخاصة، وظلت السلطة الحاكمة في منأى عن أي إزعاج وتضييق لهذه الفئة، وسمح لهم حتى بشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، كما خصصت لهم محاكم للفصل في مشاكلهم الاجتماعية والدينية وغيرها من مقتضيات الحياة اليومية.

وأمام هذا التسامح السياسي والديني والاقتصادي الذي أظهره المسلمون تجاه النصارى طوال فترة العصور الوسطى إلا أن الكتابات الأجنبية تعج بالتحاملات على دولة الإسلام بالمغرب الأوسط ومعاملتها لأهل الذمة ، ولاسيما العهد المرابطي والموحدي بدرجة أكبر، حيث يعتبر الباحثين الغربيين بدايات القرن 6هـ/12م من أشد الفترات وطأة على المسيحيين لما تعرضوا له من محظورات دينية وعرقية ولباسية، إلا أن هذا يبقى رهين الأوضاع والمصادر التاريخية، وما ذكرته الدراسة من معاملات دبلوماسية واقتصادية خلال هاته الفترة تلغي وتكذب الادعاءات الأجنبية.

وتبقى هذه النقطة حديث جدل ونقاش على أمل توسيع نطاقات البحث في مثل هذه المواضيع وفق ما توفره الوثائق الأجنبية والأرشيف الأوروبي الذي لم يصلنا مكنوناته وفحواه الإجمالي خصوصا فيما يتعلق بمجال المغرب الأوسط.

والله ولي التوفيق.

الملاحق

ملحق 01 : خريطة تمثل غرب أوربا في القرن 6هـ/12م [1]

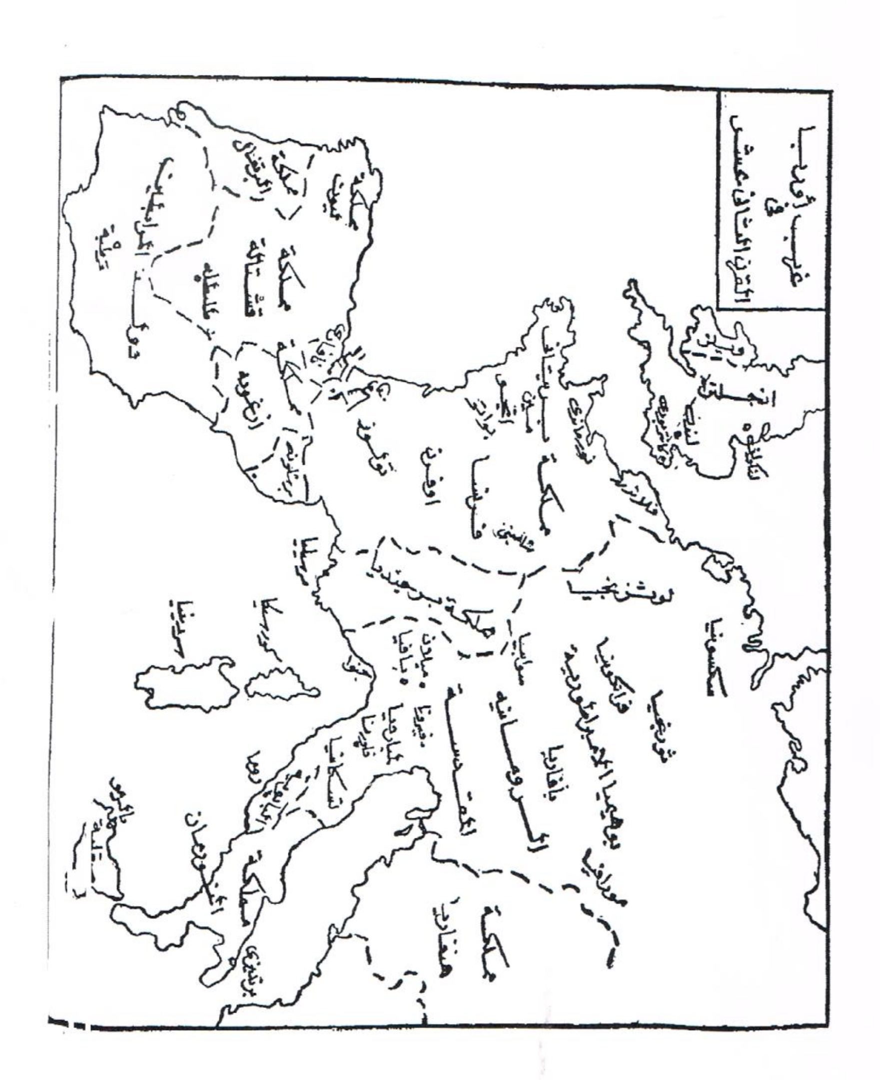

[1] – سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ص 125

الملحق 02 : خريطة تمثل المسالك التجارية بين أوروبا المسيحية والمغرب الأوسط[1]

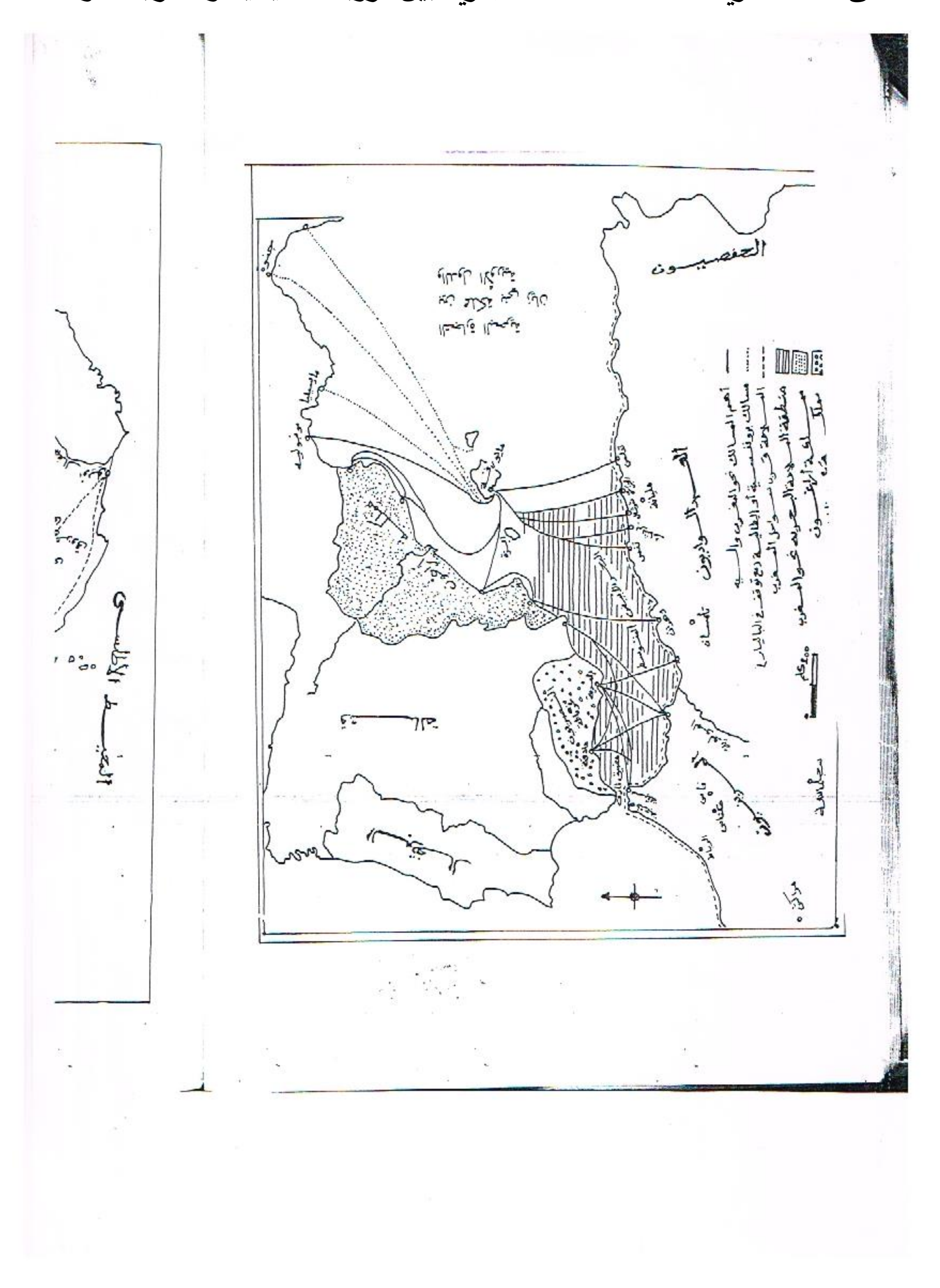

---

[1] – رشيد بوريبة وآخرون : المرجع السابق ص 415

ملحق رقم 03 : رسالة من البابا ليو التابع إلى أسقف إفريقية [1]

I.

1053 [1], 17 décembre.

Lettre de Léon IX à Thomas, évêque en Afrique. Le pape déplore l'état de l'Église de ce pays, où l'on comptait autrefois deux cent cinq prélats, et qui est réduite maintenant à n'avoir que cinq évêques; le pape engage l'évêque Thomas à défendre avec ses collègues, Pierre et Jean, les prérogatives de l'archevêché de Carthage contre les empiétements de l'évêque de *Gummi*, qui voudrait s'arroger le droit de consacrer les évêques et de convoquer les conciles en Afrique.

Labbe, *Concil.*, t. IX, col. 972; Mansi, *Concil.*, t. XIX, col. 657, Baronius, *Annal. eccles.*, 1053, § 41; Migne, *Patrol. lat.*, t. CXLIII, col. 728.

Leo, episcopus, servus servorum Dei, Thomæ, confratri carissimo et coepiscopo, salutem.

Cum ex venerabilium canonum auctoritate recolimus ducentos quinque episcopos concilio interfuisse Carthaginensi, et nunc a tua fraternitate audimus quinque vix episcopos superesse in tota Africa, utique tertia hujus corruptibilis mundi parte, compatimur tantæ vestræ imminutioni totis visceribus animi. Cum autem ipsas Christianitatis reliquias ediscimus interna et mutua dissensione discindi et dispergi, et adversus se invicem zelo et contentione principatus inflari, nil aliud nobis primo dicendum occurrit quam illud sancti Amos [2] vatis : « Parce, Domine, parce obsecro; quis susci-

« tabit Jacob, quia parvulus est? » Sed quamvis in tali tantoque defectu religionis plurimum doleamus, multum tamen gaudemus quia sanctæ Romanæ ecclesiæ, matris vestræ, sententiam requiritis et expectatis super quæstionibus vestris; et quasi rivulis ab uno fonte erumpentibus et in suo decursu per diversa spargentibus, ad ipsius fontis primam scaturiginem reverti debere optimum putatis, ut inde resumatis directionis vestigium, unde sumpsistis totius Christianæ religionis exordium. Noveris ergo procul dubio quia post Romanum pontificem primus archiepiscopus et totius Africæ maximus metropolitanus est Carthaginensis episcopus; nec quicumque sit ille Gummitanus [1] episcopus, aliquam licentiam consecrandi episcopos, vel deponendi, seu provinciale concilium convocandi habet, sine consensu Carthaginensis archiepiscopi, cujuslibet dignitatis aut potestatis sit, exceptis his quæ ad propriam parrochiam pertinent; cætera autem, sicut et alii Africani episcopi, consilio Carthaginensis archiepiscopi, aget. Unde,

carissimi confr ... oannes recte sentiunt de Carthagi-

nensis ecclesiæ ... mitanæ ecclesiæ. Hoc autem nolo

vos lateat non ... ntificis universale concilium cele-

... etsi licet vobis aliquos episcopos

... imen sententiam absque consultu Romani pontificis, ut dictum

... in sanctis canonibus statutum, si quæritis, potestis invenire

[1] – رضوان البارودي: المرجع السابق ،ص 229، 230

Quamvis enim omnibus generaliter apostolis dictum sit a Domino : « Quæcumque » ligaveritis in terra, ligata erunt et in cœlo; et quæcumque solveritis in terra, soluta » erunt et in cœlo [2] »; tamen non sine causa specialiter et nominatim dictum est beato Petro, apostolorum principi : « Tu es Petrus, et super hanc petram ædificabo eccle- » siam meam, et tibi dabo claves regni cœlorum [3] »; et in alio loco : « Confirma fratres » tuos [4]. » Scilicet quia omnium ecclesiarum majores et difficiliores causæ per sanctam

et principalem beati Petri sedem a successoribus ejus sunt diffiniendæ. Jam quia ad interrogata etiam confratrum nostrorum Petri et Joannis episcoporum decrevimus respondere, optamus ut sanctam tuam fraternitatem jugiter invigilantem utilitatibus sanctæ catholicæ ecclesiæ, devote pro nobis orantem, sancta et individua Trinitas semper conservet, carissime frater.

Datum XVI kalendas Januarii, anno domini Leonis papæ IX quinto, indictione VII.

ملحق به رسالة من البابا ليو التاسع إلى أسقف إفريقية –النص العربي –[1]

خطاب موجه من البابا ليو التاسع الى توماس أسقف افريقية ، حيث يرثى البابا لحال الكنيسة فى هذه البلاد التى كان بها ٢٥٠ أسقفية والآن أصبحوا خمس فقط ، ويطلب منه أن يدافع عن تلاميذه : بطرس وجان ضد ادعاءات أسقف قرطاجة .

و

النـــص :

الأسقف ليو ، عبد عبيد الله ، يرســـل التحية الى زميـــله الأسقف توماس شقيقه الحبيب .

بناءا على (ما سبق من بيـــانات معـــروفة) من رجال الدين فاننا نحصى أن مائتين وخمسة اسقف كانوا قد حضروا مجمـــع قرطاجة ، والآن قد علمنا منك أيها الأخ لا يوجد ســـوى خمسة أساقفة فى أفريقيا بأسرها التى تشكل ثلث هذا الكون الفانى ، ولقد تأثرنا تأثرا كبيرا بهذا الأمر وشعرنا بالألم الشديد يعتصر نفسك ولكننا نعلم أيضا أن هذه الخمس الباقية تتعرض لانقسامات وخلافات داخلية شديدة ، وأنها تتضارب ضد بعضها البعض فى خصومات منذ البداية .

ولم يحدث أى انقسام مثل هذا من قبل ، مما يذكرنا بكلمات الكاهن المقدس عموس :

« اصفح عنى ، أيها الرب ، أصفح عنى ، أتوسل اليك ، أى شىء سيثيره يعقوب ، انه صغير جدا » ؟ .

---

1 – رضوان البارودي : المرجع السابق 231–233

ومع ذلك وبالرغم من أننا فى غاية الأسى لهـذا المصاب الفادح كما وكيفا فى ديننا ، الا أننا مع ذلك مسرورون كثيرا لأنكم طلبتم حكم أمكم الكنيسة المقدسة ، وانتظرتم حكمنـا هذا فى مشكلتكم ، (وهذه الكنائس) كما لو كانت أنهارا تخرج من نبع واحد ثم تتوزع مصباتها ومساراتها بعد ذلك ، وانكـم الآن تزمعون وترون أنه يجب أن يعود الفرع الى مصبه الأصلى لكى تستعيدوا صحة الاتجاه ، ومن ثم تتخذون البداية لدين المسيحية ككل ·

ولذا فقـد علمتم ، ولا ريب ، أن رئيس الأساقفة فى كل أفريقيا والمتروبوليتان الأعظم لها ، وأسقف قرطاجة — كل هؤلاء — يأتون فى المرتبة التالية بعد البـابا الرومانى ، ولن يكون له أى تصريح فى تكريم الأساقفة ، أو عزلهم أو عقد مجلس الولاية بدون موافقة رئيس أساقفة قرطاجة ، ولن يكـون له أى منصب أو سلطة، الا تلك التى تمتد الى أبرشية (Parrochiam) لكن يدير الشئون الاخرى تماما مثل أساقفة أفريقيـا الآخرين باستشارة رئيس أساقفة قرطاجة · ومن ثم فان الأخوين العزيزين علينـا الأسقفين ، بطـرس وجون يدركان بحـق كرامة مركز كنيسـة قرطاجـة ، ولا يوافقـان علـى خـطأ كنيسـة جوميتـان Gumnitana ، لكن لا أريد أن يغيب هذا الأمر عنكم أنه لا يجب أن تحتفلوا بالمجمع العام أو الاساءة للأساقفة أو خلعهم بدون رأى البابا الرومانى وموافقته · لأنك حتى لو كان مسموحا لكـم باختيار وتقييم بعض الأساقفة ، الا أنه ليس مسموحا لكم قط باتخاذ الحكم النهائى بدون مشورة البابا الرومانى ، كما ذكرنا ·

ويمكنكم أن تجدوا ما هو مقرر فى الآيات المقدسة اذا بحثتم

فى هذا الأمر • ذلك أنه بالرغم من أب الرب يقول لجميع الرسل عامة :

« ان أى شىء تبرمونه فى الأرض ، سـيكون قد أبرم فى السماء ، وأى شىء تحلون عقـدته فى الأرض سيكون قد حل فى السماء »[1] •

ومع هذا فقد خاطب القديس بطرس ، سيد الرسل ، خاصة بقوله :

« أما أنت يابطرس ، فوق كل ذلك ، فلسوف أشيد كنيستى لك ، وسوف أعطيك مفاتيح مملكة السموات »[2] •

وفى موضع آخر :

« أكد ذلك لاخوانك »[3] •

زد على ذلك أن القضايا الأكبر والأعقد بالنسبة لكل الكنائس يجب حسمها من خلال كرسى البابوية الرئيسى وخلفائه • ولقد قررنا بالفعل أن نرد على تساؤلات أخوينا بطرس وجون ، وانا لنتمنى أن ترتبط أخوتك المقدسة باستخدامات الكنيسة الكاثوليكية المقدسة ، وأن تصلى من أجلنا ، وليمتعك الرب الثلاثى الواحد ياأخانا العزيز •

(تم فى يوم ١٦ يناير ، العام الخامس للبابا ليون ، بند ٧)

---

(١)

(٢)

(٣)

الملحق 05 : رسالة البابا غريغوري السابع إلى أسقف قرطاجة [1]

V.

1076, au mois de juin. De Rome.

Grégoire VII, regrettant que l'Afrique, où florissaient autrefois un si grand nombre d'évêchés, n'ait pas aujourd'hui trois évêques pour consacrer un nouveau prélat, charge Cyriaque, archevêque de Carthage, de lui envoyer à Rome un sujet régulièrement élu, auquel il imposera les mains.

Labbe, *Concil.*, t. X, col. 145; Epist., lib. III, ep. 19; Migne, *Patrol. lat.*, t. CXLVIII, p. 449.

Gregorius, episcopus, servus servorum Dei, dilecto in Christo fratri Cyriaco, Carthaginensi archiepiscopo, salutem et apostolicam benedictionem.

Pervenit ad aures nostras quod Africa, quæ pars mundi esse dicitur, quæque etiam antiquitus, vigente ibi Christianitate, maximo episcoporum numero regebatur, ad tantum periculum devenerit, ut in ordinando episcopo tres non habeat episcopos. Qua in re maximum Christianæ religionis periculum considerantes, et in maximo agro paucis operariis desudantibus, corde tenus compatientes, consuluimus vobis, videlicet tibi et illi cui nuper manum imposuimus, ut aliquam personam secundum constitutionem sanctorum patrum eligatis, nobisque cum literis vestris fultam mittatis, quatenus ipso, Deo cooperante, a nobis ordinato vobisque remisso, necessitati ecclesiarum, ut sancti canones præcipiunt, episcoporum ordinationibus succurrere valeatis, et ut Christiana gens quotidie gaudeat atque proficiat pastorali regimine, et labor, qui supra vires vos opprimit, levior sit, ex sociorum necessaria administratione.

Data Romæ, mense Junii, indictione XIVª.

٢٣٥

[1] المرجع نفسه ص 235

ملحق 06 : رسالة البابا غريغوري السابع إلى أسقف قرطاجة – النص العربي –([1])

وثيقــة رقــم (٥)*

رسالة من البابا جريجورى السابع الى كيرياك أسقف قرطاجة يبدى فيها البابا أسفه على افريقيــة التى كانت تزخر قديمــا بالاسقفيات ولم يعد بها الآن سوى ثلاثة أساقفة .

النــص :

الأسقف جريجورى ، عبد عبيد الله ، يرســل التحية والسلام الى أخيه الحبيب فى المسيح ، كيرياك Cyriacus ، رئيس أســاقفة قرطاجة .

لقد تناهى الى مسامعنا أن افريقيا ، التى يقال أنها جزء من العالم والتى منذ أن أشعت فيها المسيحية ، كان يديرها عدد هائل من الأساقفة قد تعرضت لخطر عظيم ، فلم يعد لها سوى ثلاثة أساقفة . وهذا الأمر يعد خطرا عظيما على دين المسيحية ، اننا نتألم ألما شديدا لأن هذا الحقل العظيم لا يعمل فيه الا القليــل من العاملين ، ولقد استبان لكم ، بالذات لك أنت ، ولذلك الذى وضعنا اليد عليه ، أن أى شخص تختارونه كنظام «كهيئة» ثانية للآباء المقدسين ، وترسلون لنا ذلك القرار فى خطاب خاص ، والرب يعينكم ، وبعد اقراره من جانبنا ، واعادة ارساله من جانبكم ، يمكنكم أن تقدموا العون لتنظيمات الأساقفة ، بمــا يمس حاجة الكنائس الرئيسية ، كما توصى بذلك الآيات القدسية ، وليسعد شعب المسيح كل يوم ، وليخضع لراعى الملكوت ، ويخف الجهد الذى يعد فوق طاقتكم بناء على اشراف ومعاونة الخلفاء .

(تم فى ر

[1] المرجع نفسه، ص 237

ملحق 07 : رسالة البابا غريغوري السابع إلى الناصر علناس ([1])

VII.

[1076.]

Grégoire VII annonce à Anzir ou En-Nacer, prince hammadite, roi de la Mauritanie sitifienne, que sur sa demande il a consacré évêque le prêtre Servand; il le remercie de ses bonnes dispositions à l'égard des Chrétiens de ses Etats, et lui fait savoir que deux nobles Romains, Albéric et Cencius, heureux de ce qu'ils ont appris de sa bienveillance, lui envoient des messagers pour l'assurer de leur désir de lui être en tout agréables.

Labbe, *Concil.*, t. X, col. 146; Epist., lib. III, ep. 21; Migne, *Patrol. lat.*, t. CXLVIII, p. 450.

Gregorius, episcopus, servus servorum Dei, Anzir, regi Mauritaniæ Sitiphensis provinciæ [1], in Africa, salutem et apostolicam benedictionem.

Nobilitas tua hoc in anno litteras suas nobis misit quatenus Servandum presbyterum

episcopum secundum Christianam constitutionem ordinaremus; quod quia petitio tua justa et optima videbatur, facere studuimus; missis etiam ad nos muneribus, Christianos qui apud vos captivi tenebantur, reverentia beati Petri principis apostolorum et amore nostro, dimisisti, alios quoque captivos te dimissurum promisisti. Hanc denique bonitatem, creator omnium Deus, sine quo nihil boni facere, imo nec cogitare possumus, cordi tuo inspiravit ipse qui illuminat omnem hominem venientem in hunc mundum, in hac intentione mentem tuam illuminavit. Nam omnipotens Deus, qui omnes homines vult salvos facere et neminem perire, nihil est quod in nobis magis approbet, quam ut homo post dilectionem suam hominem diligat, et quod sibi non vult fieri alii non faciat. Hanc itaque caritatem nos et vos specialibus nobis quam ceteris gentibus debemus, qui unum Deum, licet diverso modo, credimus et confitemur, qui eum creatorem sæculorum et gubernatorem hujus mundi quotidie laudamus et veneramur. Nam sicut apostolus dicit : « Ipse est pax nostra qui fecit utraque unum. » Sed hanc tibi gratiam a [illegible] concessam plures nobilium Romanorum per nos cognoscentes, bonitatem et virtutes tuas omnino admirantur et prædicant. Inter quos duo familiares nostri Albericus et Cincius, et ab ipsa pene adolescentia in Romano palatio nobiscum enutriti, multum desiderantes in amicitiam et amorem tuum devenire, et de his quæ in partibus nostris placuerit tibi libenter servire, mittunt ad te homines suos, ut per eos intelligas quantum te prudentem et nobilem habeant, et quantum tibi libenter servire velint et valeant. Quos magnificentiæ tuæ commendantes, rogamus ut eam caritatem, quam tibi tuisque omnibus semper impendere desideramus, eis pro amore nostro et recompensatione fidelitatis prædictorum virorum impendere studeas. Scit enim Deus quia pure ad honorem Dei te diligimus et salutem et honorem tuum in præsenti et in futura vita desideramus. Atque ut ipse Deus in sinum beatitudinis sanctissimi patriarchæ Abrahæ post longa hujus vitæ spatia te perducat corde et ore rogamus.

---

[1] - رضوان البارودي ص 239

ملحق 08 : رسالة البابا غريغوري السابع إلى الناصر بن علناس – النص العربي – [1]

وثيقـة رقـم (٧)

(١٠٧٦م)

رسالة من جريجورى السابع الى الناصر أمير دولة بنى حماد يخبره فيها بموافقته على تعيين الاسقف سيرفان ، ويشكره على الرعاية الطيبة التى يلقاها المسيحيون فى بلاده .

النـص :

الأسقف جريجورى ، عبد عبيد الله ، يرسل التحية والسلام للنـاصر[(١)] Anzir ، ملك ولايـة Mouritania Sitiphensio (موريتانيا) .

لقد أرسلت نبالتكم لنا فى هذا العام خطابات بشأن أن نقوم بتعيين الأب سيرفاند Serandus أسقفا ثانيا للمؤسسة المسيحية، وكان طلبك هذا يبدو عادلا وطيبا جدا ، فدرسنا تنفيذ هذا الأمر ، وكذلك بعد ارسال الهدايا الينا ، وانك قد أطلقت سراح النصارى الذين كانوا أسرى لديك ، بورعنا وحبنا للقديس بطـرس سيد الرسل . بعد ذلك أيضا اننا لا نستطيع أبدا أن نقدر هذه الخيرية التى أضـاء بها قلبك الرب الخـالق لكل شىء ، والذى بدونه لا يمكننا أن نفعل شيئا طيبا ، وهو الذى أضاء قلب كل انسان يأتى الى هذا العالم ، كما أضاء قلبك بهذا الهدف . ذلك أن الله القادر على كل شىء ، الذى يريد أن يجعل جميع البشر آمنين أصحاء ،

---

(١) هو الناصر بن علناس (أو علاء الناس) أمير دولة بنى حمـاد (٤٥٤ – ٤٨١هـ/١٠٦٢ – ١٠٨٩م) .
Mas Latrie : Op. Cit P.P. 7-8.

٢٤١

---

[1] -رضوان البارودي، ص 241-242

ولا يهلك أحدا ، فلا شيء يبدو أكبر فيما بيننا ، من أن يحب المرء أخاه بعد الاختيار ، ولا يتمنى شيئا طيبا لنفسه لا يتمناه أن يكون للآخرين .

هكذا فنحن وأنتم ، الذين نؤمن ونقر بالاله الواحد ، يجب أن نقبل هذا الاعزاز لنا خاصة دون بقية الشعوب — نؤمن بالله الواحد — الذى لأننا نمتدحه ونبجله كخالق للأجيال والحكومات فى هذا العالم كل يوم . ذلك أنه كما يقول الرسول :

« انه هو نفسه سلامنا الذى صنعه لنا الرب » .

لكن نحن نشكرك ونقر لك بالفضل ، وأكثر نبلاء الرومان الذين يعرفون ذلك منا ، معجبون بطيبتك وفضائلك كلها ويوصون بها . ومن بينهم اثنان من أقاربنا أنبير Albericus ، وكينكيوس Cincuis وهم اللذان ترعرعا منذ صباهما فى البلاط الرومانى يتوقان بشدة لنيل صداقتك ومحبتك ، وبشأن هذه الأشياء فى ربوعنا مما يروق لك أن تخضع لها تطوعا ، يرسلان رجالهما اليك، لكى تعلم منهم مقدار ما يعتبرانك حكيما ونبيلا ، ومقدار ما يريدان أن يخدماك طواعية . ولك أن تدرس تقديرهما لفخامتك ، ونطلب منك أن تهتم بتقديم رعايتك التى نود أن تتعلق بك وبجميع من طرفك دائما ، من أجل حبنا ، وتقدير اخلاص الرجال المشاهير .

ذلك أن الله يعلم أننا نحبك بنقاء اجلالا لله ونتمنى لك الأمان والشرف فى حياتك الحاضرة والمستقبلة . ونصلى بقلوبنا وأفواهنا أن يمد الرب فى عمرك كما أطال عمر البطريرك القديس العظيم آبراهام .

ملحق 09 : رسالة الوزير هلال إلى جاك الثاني [1]

تابع

رسالة الوزير هلال إلى (جاك الثاني) ملك أراغون مؤرخة في 1 صفر 723/ 9 فبراير 1323. تتعلق بمسألة تحرير بعض الأسرى المسيحيين وطلب قرض من العملة الذهبية من طرف سلطان تلمسان.

Carta de Hilàl ibn 'Abd Allah de Tremecén a Jaime de Aragon, en la que accede a devolverle los veinticuatro cautivos cristianos de D. Juan Manuel, y otros màs que tiene, a condicion de que baga un tratádo de paz con Tremecén; también le ofrece prestarle oro con garantías.

1 de Safar de 723 = 9 de febrero de 1323.

السلطان الاجل الاعز الاكرم الافضل الاحب الاخلص الاكمل دون جاقمه سلطان ارغون أكرمه الله بتقواه ووفقه لما يحبه ويرضاه ، محبه ومعتقده الشاكر كثيرا على الدوام له عبد المقام العلي خلد الله ملكه هلال بن عبد الله سلام على من اتبع الهدى ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد حمد الله حق حمده والصلاة التامة على سيدنا ومولانا محمد الكريم وعبده وعلى آله وصحبه الكرام الخلفاء من بعده فانه (كتبنا) اليكم من باب مولانا أيده الله بحضرة تلمسان حرسها اللـه تعالى وليس الا الخير واليسر والحمد لله وموجبه اليكم اعلامكم بوصول كتابكم وعلمنا ما ذكرتم فيه وأنتم تطلبون مننا أربعة وعشرين نصراني متاع جوان منول ونحن نعرفكم انكم اذا أردتم صلح مولانا أيده الله فنحن نعطوكم الاربعة وعشرين نصراني الذين طلبتم متاع جوان منول ونعطوكم أيضا زيادة عليهم ثلاثين نصراني من بلادكم من الذي نعطوكم نحن باختيارنا دون أن تعينوا لنا أنتم أحدا فان أنتم وافقتم على ما ذكرناه فنعملوه لكم ويقع الصلح بيننا وبينكم ان شاء الله واذا أردتم سلف ذهب فنسلفوا لكم ما يتيسر لنا بعد أن تعطونا الضمان والرهان فى الذهب وان أنتم لم تعملوا ما ذكرناه لكم ولم توافقوا عليه فما بيننا كلام والله سبحانه الموفق للصواب والسلام على من اتبع الهدى ورحمة الله تعالى وبركاته وكتب فى 1 صفر 723 .

54

[1] – جيلالي صاري : المرجع السابق، ص 54

ملحق 10 : رسالة من الوزير هلال إلى ملك أراغون [1]

البـ

رسالة ثانية من الوزير هلال مؤرخة في 17 رجب 727/08 جوان 1327. تتضمن اقتراحا بعقد معاهدة سلام بين سلطنة تلمسان ومملكة أراغون.

Carta de Hilal ibn 'Abd Allah a Jaime II, en que le annuncia el envio de Embajadores para negociar un tratado de paz.

17 de rajäb de 727 = 8 de Jûnio de 1327.

الى الملك المعظم السلطان الاسعد الانجد الاضخم الافخم الاعز الاشهر عماد أهل ملته الضابط لمملكته بجميل سياسته ملك ارغون وبلنسية وسردانية ومرسية جاقمه سنى الله توفيقه ونهج الى الرشاد والهدى طريقه من مفخم سلطانه ومرفع محله على ملوك النصرانية وشانه عبد المقام العلي التاشفيني السني أيده الله تعالى هلال بن عبد الله سلام على من اتبع الهدى ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد حمد الله حق حمده والصلاة على سيدنا ومولانا رسوله الكريم وعبده والرضى عن آله وأصحابه الخلفاء الراشدين الهادين المهتدين من بعده / والدعاء لهذا المقام العلي التاشفيني الكريم السني بنصر عزيز من عنده / فالكتاب اليكم (كتب الله لكم توفيقا يرشدكم ونهج طريقكم الى ما يسعدكم) من باب مولانا أيده الله بنصره وأمده بمعونته ويسره (عن الخير الاتم واليسر الاعم) والحمد لله على ذلك كثيرا وعن التكريم لسلطانكم والمعرفة بقدر محلكم منه ومكانكم والعمل بمقتضى ذلك فى كل أمره وشأنه والى هاذا فانه بحسب المعتقد فيكم والمعتمد عليه من محبتكم وتصافيكم وجه مولاي أيده الله تعالى اليكم ولدكم الزعيم الانجد الاسعد المكرم عنده الاثير لديه مراعاة لكم جاقمه مع ثقته الشيخ الامين المكرم الافضل الحاج أبي يعقوب يوسف بن الحوراء للحديث معكم فى شأن عقد الصلح بينكم وبينه على على نحو ما تضمنته العقود الواصلة اليكم صحبتهما / واسمعوا لحديثهما وقفوا على العقود التي بأيديهما واعلموا اني قررت عند مولاي أيده الله وفاءكم وعرفته وهو العارف أيده الله عنكم / وتحققوا اني لكم كما تحبون مجتهد فيما يتجه لكم عندي من الحوائج على سبب ما تريدون / ان شاء الله تعالى / وقد القينا فى ذلك لولدكم الانجد جاقمه وللامين الحاج أبي يعقوب بن الحوراء ما يلقيانه اليكم ويقررانه لديكم ان شاء الله تعالى والسلام على من اتبع الهدى وكتب فى سابع عشرة لرجب الفرد عام سبعة وعشرين وسبعماية .

55

ملحق 11 : رسالة السلطان أبو عبد الرحمن ابن موسى بن عثمان إلى ملك أراغون [1]

[1] – المرجع نفسه ص 5

رسالة السلطان أبو عبد الرحمان ابن موسى ابن عثمان إلى ملك أراغون (جاك الثاني) يبرر فيها رفضه إطلاق سراح أسرى مسيحيين.

Carta de 'Abd al-Rahman ibn Musa ibn 'Uthman de Tremecen à Jaime II, acerca de libéracion de cautivos cristianos ; le dice que no puede acceder a libertar a todos porque se paralizarian todos lors oficos ; que si se tratara de cinco o seis, con gusto lo baria.

24 de rabi segundo de...

السلطان الاجل الاعز الاكرم الارفع الاكمل دون جاقمة سلطان ارغون وبلنسية وسردانية وقرشقة وبرشلونة أدام الله كرامته بتقواه واسعده لما يحب ويرضاه موثر تكرمته وبره العالم بكبير منصبه وقدره عبد الرحمن بن موسى بن عثمان أيده الله تعالى بنصره سلام على من اتبع الهدى ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد حمد الله حق حمده والصلاة التامة على سيدنا ومولانا محمد نبيه الكريم وعبده وعلى آله وصحبه الكرام الخلفاء من بعده فانه (كتبنا) اليكم من حضرة تلمسان حرسها الله تعالى ونحن نحمد الله تعالى الذي لا شيء كمثله ونلجأ اليه فى أمرنا كله ونسأله أن يوزعنا شكر احسانه وفضله وعندنا لجانبكم المرفع تكرمة نستوفيها ومبرة ننتهي الى الغاية فيها وعلمنا بسحلكم الشهير ومكانكم الكبير يستدعى الزيادة من ذلك ويقتضيها وقد وصل كتابكم مع ارسالكم ووفقنا فى مقاصدكم فيه ومذاهبكم التي تخص الود وتستوفيه على ما دل منكم على حفظ القديم والتمادي فى الاسباب الماضية على المنهج القويم ومثلكم من جرى على هاذا السنن المسلوك وانتهى الى ما يليق بجلة الملوك ونحن عاملون على ما ذكرتم من أسباب المواصلة والوداد وتجديد ما كان بين الاسلاف من المودة والاعتقاد وعلى أن تكون بلادنا كبلادكم وتجروا على أغراضنا ومرادنا ونجري على أغرادكم ومرادكم وأسباب الصداقة بين السلاطين معلومة وحدودها مرسومة واما ما أشرتم اليه من تسريح جميع من عندنا من الاسارى فذلك ما لا يمكن أن يكون كما لا يمكن لنا أن نطلب منكم تسريح من عندكم من أسارى المسلمين لان تعلمون ان ما عمر بلادنا الا الاسارى وأكثرهم صناع متفننون فى أنواع جميع الصناعة ولو طلبتم ما يستغنى عنه الحال فى تسريح خمسة أو ستة لاسعفنا مطلبكم وقضينا أربكم واما تسريح الجميع فصعب الان ذلك يخلى المواضع ويعطل ما يحتاج اليه من أنواع الصنايع فان أردتم أن تكون الصداقة بيننا وبينكم فى ما عدا الاسارى وتكون حالنا وحالكم واحد فى ما نحتاج أو تحتاجون اليه من قضاء الحوايج التي تمكن ومن سرحة أو غيرها فنحن نعمل ان شاء الله على ذلك ونسلك فى مودتكم وصداقتكم انهج المسالك فاعلموا ذلك والله يسعدكم برضاه ويديم كرامتكم بتقواه والسلام على من اتبع الهدى والرحمة والبركة .

كتب فى الرابع والعشرين لربيع الثاني عام ...

(1)

[1] – المرجع نفسه، ص 56

ملحق 12 : رسالة السلطان أبو عبد الرحمن ابن موسى بن عثمان إلى ألفونس الرابع [1]

رسالة السلطان أبو عبد الرحمان ابن موسى ابن عثمان إلى (ألفونس الرابع) ملك أراغون

Carta de 'Abd al-Rahman ibn Musa ibn 'Uthman de Tremecén a Alfonso IV de Aragon, en que le avisa el envio de un Embajador con cartas de creencia.

4 de rayab de 730 = 14 de mayo de 1330.

من عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان أيده الله بنصره وأمده بمعونته ويسره الى السلطان الاجل الافضل الاكرم الدرغام الافخم الاضخم الفنش ابن السلطان الاجل الاكرم الافضل الدرغام الاضخم الافخم دون جاقمة صاحب ارغون وبلنسية وسردانية سلام على من اتبع الهدى ورحمة الله تعالى وبركاته اما بعد فانا نعرفكم انه يصلكم الشيخ الفارس الاعز الاكرم الافضل الكبير الشهير أبو عمران موسى ابن الشيخ الاجل الاعز الارفع الاكبر الاشهر أبى عنان فارس بن حريز صحبة أخوكم القائد الاكرم الافخم دون جاقما وصحبتهما الشيخ الاجل المكرم الفاضل أبو يعقوب يوسف المعروف بابن الحورة وبأيدي المذكورين من الكتب ما تاقفوا عليها وتتعرفوا ما عندنا منها ان شاء الله تعالى والله الموفق للصواب والمعين عليه والسلام على من اتبع الهدى ورحمة الله تعالى وبركاته وكتب فى اليوم الرابع من شهر رجب الفرد الذي هو من عام ثلاثين وسبعمائة .

---

[1] المرجع نفسه، ص 57

ملحق 13 : رسالة السلطان أبي حمو الثاني إلى ملك أراغون[1]

رسالة السلطان أبي حمو الثاني إلى ملك أراغون (بيار الرابع) هذه الرسالة تحمل رقم 106 في أرشيف مملكة أراغون ببرشلونة. أبعاد الرسالة: 59.5 – 40.

Document no du Recueil Alarcon y Santon et Garcia De Linares

4 de *rabí'* segundo de 761 = 23 de febrero de 1360.

من عبد الله موسى امير المسلمين المتوكل على رب العالمين ابن الامير ابى يعقوب ابن الامير ابى زيد
ابن الامير ابى زكرياء ابن مولانا امير المسلمين ابى يحيى يغمراسن بن زيان ادام الله له عزا باهر الانوار ونصرا
عالى المنار وسعدا رفيع المقدار الى السلطان الاعز الامنع المكرم المرفع المعظم المبجل الموقر المرعى
الاحظى الانوه الهمام البطل الاشهر الاخطر ملك بنى الافرنجى سلطان ارغون وبلنسية وميورقة وسردانية وقورسقة
وقمت برشلونة وقمت الرسليون وقمت سرديانة دنه بيدروا اسعده الله برضاه وارشده الى سبيل هداه واكرمه
بتقواه اما بعد فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم هداية تبلغ نيل الامل والامال وكرامة تصحبكم فى كل حال
من حضرتنا العلية بتلمسان المحروسة ونحن نحمد الله الذى لا شىء كمثله ونلجا اليه فى امرنا كله ونسئله ان
يوزعنا شكر احسانه وفضله وعندنا لجانبكم المرفع تكرمة نستوفيها ورعاية ننتهى الى الغايات فيها وعلمنا
بمحلكم الشهير ومكانكم الخطير يستدعى الزيادة من ذلك ويقتضيها والى هذا ارشدكم الله لاحسن المذاهب
ووالى لكم الخير المتتابع المتعاقب فانا لم نزل نلمح من وصل من جهاتكم وانخرط فى سلك طاعتكم من
التجار المترددين وغيرهم من ذوى الحاجات اجمعين ونوسعهم احسانا وانعاما ونيسر عليهم فى جميع
مطالبهم وجملة ماربهم اجمالا واكراما ولم نضيق عليهم قط فى جميع ما ارادوا ان يوسقوه لبلادهم
ويحملوه فى صدرهم ويرادهم من زرع وغيره من الامور التى يقضوا منها الوطر ونرتكب فيها فى ديننا الخطر
مراقبة لهم فيه ارجع الهم وتوسعة فى كل الاحوال عليهم ومع هذا فقد عمدت طايفة من القطلانيين فى
اجفان معدين الى مرسانا الشهير مرسى وهران المحروسة الكبير وحملوا منه على جهة العمد العدوان والجرءة
والاقدام وهتكوا حرمة السلطنة وحق الاسلام جفنا موسوقا بالزرع وغيره لتجار الاندلسيين كانوا ارادوا الوجه
به الى بلاد المسلمين واستولوا على الجفن بما فيه وذكر لنا انهم كلهم الذين حملوا الزرع فى القرقورة
المعروفة باسم القطلانى بعد ما وصل الى بلادكم توجه تلقاء ما ذكرناه لكم فلما راينا ان هذه النازلة وقعت
واحوال من يرد علينا بالاجفان تشتت وتسعبت [1] وجهنا لكم الان خديمنا الحظى لدينا الشيخ المكرم المرعى
الوجيه الحظى الموقر المحترم الافضل الاكمل الامجد ابا عبد الله محمد بن الشيخ المكرم المرعى الوجيه
الحظى المبرور الموقر المرحوم المنعم ابى الزبير طلحة الباتلشى حمله الله تعالى على كاهل السلامة وبلغه
الامل والامال فى حالى الممر والاقامة ووالى له الخير ووصل له الكرامة واودعناه ما ينهيه اليكم من مقاصد
الاكرام والبر الموفر الاقسام ليخاطبكم بهذه الاحوال ويطالعكم بما لكم عندنا من القبول والاقبال علما
بان ذلك يستنزل منكم منزلة المسرة .ويرد علكم ما يكافى ان شاء الله عنه بموصول الاكرام والمبرة وحملناه
من معنى الصلح بيننا وبينكم ما يلقيه ان شاء الله مشافهة اليكم .ومحاولة ابرامه والمفاوضة فى عقده
واحكامه واردنا منكم العناية بامره وان تعاملوه ما تشكرون على بذله وما يكون فى ذلك من المصلحة لنا
ولكم فشىء لا يخفى عليكم ولا يغيب عنكم فتتلقوا ذلك بحقه محمولا على صحة الحق وصدقه وكل ما يرد
من جهتكم فوارد على البر والتكرمة فننتهى فيه الى الغاية المتممة ورايكم ارشدكم الله تعالى وهداكم ووفقكم
لما يرضى به علكم من تتميم هذا المقصد والبلوغ منه الى الامد الابعد ان وجهنا لكم ايضا صحبة رسولنا
المذكور ما يلقى لكم مشافهة ان شاء الله معنى هذا الكتاب ويقرر ما عندنا لكم من الايثار المسن الاسباب
وهو قايدنا الكبير المرعى الخطير المكرم لدينا المنقطع بالخدمة الينا جوان برمجليين القطلانى انجده الله فاذا
انصرف رسولنا وقايدنا ان شاء الله من عندكم فنريد منكم ان توجهوا زيادة الى ما نقوله اليه ممن تتخيروه
من خدامكم ومن خواص رجالكم فى معنى العقد واحكامه والصلح ومحاولة ابرامه فنحن نرتقب اثره ونصرف
اليه من العناية والرعاية والقبول اوفى ذلك واوفره والله سبحانه وتعالى يوفق لما يحبه ويرضاه ويقدم الخير
.والخيرة فيما قضاه ان شاء الله بحول الله لا رب لنا سواه وكتب فى رابع ربيع الاول المبارك بل ربيع الاخر
الذى من عام احد وستين وسبعين ?اثرنا عرفنا الله تعالى خيره وبركته بمنه وكرمه وحوله وفضله
صح فى التاريخ

---

[1] – جيلالي صاري: المرجع السابق، ص 58

ملحق14 : معاهدة سلام [1]

معاهدة سلام مبرمة لمدة خمس سنوات بين أبي حمو الثاني، و(بيار الرابع) هذه المعاهدة مسجلة تحت رقم 150 في أرشيف مملكة أراغون ببرشلونة. أبعاد الرسالة: 646 – 42. Document no 114 du Recueil Alarcon y Santos et Garcia de Linares

29 de safar de 764 — 18 de diciembre de 1362

بسم الله الرحمن الرحيم وسلام على عباده الذين اصطفى وحسبنا الله ونعم الوكيل عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

هذا كتاب صلح اسست قواعده وحطت مصادره وموارده وحبي بالنجح والاسعاد والنظر الصالح للعباد والبلاد منشؤه وعائده تخره بعد استخارة الله سبحانه واسترشاده واستعانته واستنجاده مولانا السلطان الجليل الملك الاصيل الشهير الخطير الكبير الرفيع المليك الماجد الاثيل الاسنى الهمام الاوحد الاكمل الاصعد الاحفل الاسعد الاسمى المليك الارضى الخليفة العادل الطاهر الكامل المنصور الجيوش والعالي القدر الحافل المنصور الجيوش والقبائل المؤيد الامضى المطاع المطاع العظيم السلطان الكبير الجود والحسان الاروع الاعلى امير المسلمين المتوكل على رب العالمين ابو حمو موسى ابن الامير الجليل الاوحد الرفيع الماجد الاعلى الاصعد الهمام الحافل المثيل الارضى البطل الامضى الاسعد الاسمى الباسل الكريم الشمائل العدة الاصايل الطاهر الظاهر الكبير الذكي المثيل الاصيل المعظم الموقر المبرور المقدس ابي يعقوب ابن الامير الجليل الاعز الارفع الامنع الارقى الهمام الباسل الامضى الاوحد الاسعد الاصعد الارقى الاكبر الاشهر الاخطر الاظهر الاسمى المعظم الموقر المبجل الاحفل الافضل الاكمل المقدس المسعد المرحوم ابي زيد ابن الامير الجليل الرفيع الماجد الكبير الارضى الامضى الاوحد الاخطر الهمام البطل الباسل الارقى الاشهر المعظم الطاهر الموقر المعظم الماثر الكريم المعاطر المقدس المرحوم ابي زكرياء ابن السلطان الجليل الاعلى الاوحد المليك الاسمى الحافل الفاضل الارضى الهمام الاروع الامضى الملك الطاهر الكامل العظيم الشمائل الباذل الباسل الماثور الفضائل المؤيد المنصور الظاهر مخلد الماثر والمفاخر المعظم الموقر المقدس ابي يحيى يغمراسن بن زيان ابقاهم الله وعزهم سامي المراتب وملكهم عظيم المفاخر والمناقب ومجدهم الشامخ الذوائب سائر ذكره في المشارق والمغارب ولا زال مقامهم الاعلى مخصوصا من العناية الربانية بارفع المذاهب عقدا للسلم والمصالحة مع الملك الاحفل الاسنى المبجل المعظم الموقر الكبير الشهير سلطان ارغون وبلنسية وميورقة وسردانية وقورسكة وامير برشلونة وقمط الرسليون وقمط سردانية دون بيدرو اسعده الله برضاه وارشده الى سبيل هداه واكرمه بتقواه حيث وصله اعزه الله كتاب السلطان دون بيدرو المعظم ورسم الصلح المختوم الذي عليه صورة شكله الملطاخة المعمارية في ملته الصادرة عنه المذكورة فيه على يد رسوله الفارس الزعيم فرنصيص فوسطة على ان تكون السلم بيننا وبينه لخمسة اعوام متوالية اولها عام اربعة وستين وسبعمائة من شهر صفر من العام المذكور المؤرخ به هذا المسطور الموافق من الشهور العجمية لشهر دجنبر عرفنا الله فيه البركة والخير على جميع ما لايالة العلية وشملته دعوته السنية من البلاد حاضرها وباديها وثغورها ومواسطها واطرافها حرسها الله جميعها وعلى جميع ما للسلطان دون بيدرو المذكور ارضا حاضرها ومواطنها كثرها وقلها لا يتعدى احدهما على احد ولا اهل بلد على بلد في حالي الصدر والورد سلما مخالطا علوها من الجهتين محفوظة عند المليكين ومن كان الحاضرين لا يلحق احدى الناحيتين من الاخرى مضرة في امر ولا تعد في سر او جهر البر والبحر في ذلك سواء والمسافرة فيهما بالاذى والمحاشرة ممنوعات لا غدر فيها ولا اخلال بمعنى من معانيها ولا نشب في مدة المصالحة المذكورة غارة ولا تدعو سيارة فان كان من جهة النصارى فعلى السلطان المذكور تسريح الاسرى ورد ما ياخذونه للمسلمين على جهة النهب والغصب او الانتصاف من الفعلة ان عدمت العين واعوزت على التلف وكذلك ما يوخذ على جهة الاختلاس من امد. وغيره وعلى مولانا السلطان اعزه الله مثل ذلك سواء وان يقابل بالوفاء وفاء هذا بعد ان يشيع الامر ويعلم من اين كان الضرر ومن هو المتسبب بالغدر او الشر وكل ما يرجع الى هذه الدعوة العلية ويدخل في طاعة هذه الايالة السنية بعد هذا العقد المحكم فداخل تحت هذه المصالحة والسلم وهذا الحكم وعلى ان التجار الواصلين من احدى الجهتين الى الاخرى بمتاجرهم الا يوخذ منهم الا العشر والمكوس المعلوم في سلعهم لا زائد في ذلك عليهم ويحملون في امانهم اذا حضروا وفي طريقهم برا او بحرا مضى وردوا او صدروا على الحفظ التام والرعي الشامل العام وعلى انه ان انكسر جفن لمن يأتي من التجار قاصدا من هذه الجهة او مركب قاصد لمرسى من مراسي مولانا اعزه الله او مراسيه فيرد على اربابه جميع ما كان فيه ولا سبيل لاحد عليهم ولا اعتراض بوجه من الوجوه لحفظهم ولا النهب بل يخلى سبيلهم الى امكنتهم واموالهم وحفظهم وسائر سلعهم في جميع احوالهم ان شاء الله تعالى وقد التزم مولانا السلطان السلطان ابو حمو اعزه الله هذه الشروط واحكم فيها العقود والربوط لينعقد عليها الصلح الذي تقدمت المراودة فيه التزاما على الواجب بمقتضى كل معنى من معانيه شهد على مولانا السلطان ابي حمو اعلى الله مقامه ونصر اعلامه بما فيه عنه من اشهده به على العصم الكريمة والكمال شامل ذاته والسعد المسعد مصاحب لصدره ولوارده وهو على اكمل حالات الانشاد وذلك في تاسع عشرين صفر من عام اربعة وستين وسبعمائة بموافقة ثامن عشر من شهر دجنبر فيه منحطا بين بعض اسطره على يد رسوله فرنصيص فوسطة صح منه

وفي الانشاد المذكور على انه مهما اتى جفن من اجفان احدى الجهتين الى الاخرى قاصدا الى مرساها ملتجئا اليها من عدو يطلبه في البحر لقصد الاذاية له والضرر فعلى اهل ذلك المرسى الذي يلجأ اليها اعانته ورفع الضرر عنه وكف الايدي العادية عليه وحمايته بكل ما يمكنهم جهد استطاعتهم ان شاء الله ولي [illegible] شهد بجميعه

شهد ٭ محمد بن احمد بن علي وعبد الرحمن بن علي لطف الله بهم بمنه ٭ شهد ٭ ومحمد بن يوسف بن محمد القيسي ٭ شهد ٭ ومحمد بن علي بن احمد الحطني ، اعلم باستقلاله احمد بن الحسن بن سعيد

59

---

[1] - جيلالي صاري، ص 59

ملحق 15: رسالة أبي حمو الثاني إلى بيار الرابع [1]

رسالة أبي حمو الثاني سلطان تلمسان إلى (بيار الرابع) ملك أراغون (تتعلق بمسائل شتى). هذه الرسالة مسجلة تحت رقم 103 في أرشيف مملكة أراغون ببرشلونة. أبعاد الرسالة: 62 – 43،5. Papier document no 113 du Recueil Alarcon y Santos et Garcia de Linares

23 de *safar* de 764 – 11 de diciembre de 1362.

بسم الله الرحمن الرحيم وسلام على عباده الذين اصطفى وحسبنا الله ونعم الوكيل
من عبد الله موسى أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين ابن مولانا الامير ابي يعقوب ابن مولانا
الامير ابي زيد ابن مولانا الامير ابي زكرياء ابن مولانا امير المسلمين ابي يحيى يغمراسن بن زيان ايده الله بنصره
وامده بمعونته ويسره الى السلطان الاجل الوحيد الحظي الموقر المعظم المبجل الهمام البطل الشهير الكبير
سلطان ارغون وبلنسية وسردانية وميورقة وقمط برشلونة وقمط الرسليون وقمط شردانية دون بطرو اسعده الله
برضاه وسلك به سبيل هداه واكرمه بتقواه سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانا كتبناه اليكم كتب الله
لكم هداية تبلغكم نيل الامل والامال وعناية من لدنه تصحبكم في كل الاحوال وسعادة تقضي لكم
بسعادة العقبى والمآل من حضرتنا العلية تلمسان (*sic*) حرسها الله تعالى ونحن نحمد الله الذي لا شيء كمثله
ونلجأ اليه في امرنا كله ونتوكل عليه ونبرأ من الحول والقوة اليه ونستمد [illegible] وعلى ان يوزعنا شكر احسانه
وفضله بمنه وطوله ولكم عندنا من البر بكم والاكرام لكم وتجديد الرعاية والعناية فيما [illegible] ما يبلغكم
املكم ان شاء الله لا رب سواه والى هذا ارشدكم الله لاحسن المذاهب ووالى لكم الخير المتتابع المتعاقب
فانه وصل كتابكم وعقد الصلح الذي وجهتم الينا صحبة رسولكم الفارس الزعيم الاجل الانصح الاكمل وهو
فرانصص [illegible] اكرمه الله بتقواه وارشده وهداه وقرا [illegible] الصلح الذي وجهتم [illegible] صحبة رسولكم
فالكم كتابكم فهمنا واستقرينا من الفاظه ومعانيه ما لا [illegible] ذي الملك الرفيع الخطر المعلوم القدر ان يخاطب
بمثله الملوك الذين لهم المكانة المكينة والمرتبة العالية [illegible] وقرا رسولكم [illegible] لكم ما في ذلكم
ان شاء الله واما ما ذكرتموه عن قضية [illegible] منا اليكم لاجل [illegible] ومطالبكم فهمناها [illegible] والحمد
لله كفيل ببلوغ امالكم وصلاح احوالكم والذي عندنا [illegible] في ذلكم [illegible] رسولكم واما ما ذكره
لنا رسولكم عنكم من كونكم طلبتم [illegible] النصارى [illegible] فرسولكم [illegible] ذلك [illegible]
حسبما القيناه اليه وبيناه عليه واما قضية النصارى الذين كانوا اخذوا في الاحداث وخرجوا بمرسانا هنين المحروسة
حين وقع بعض الجلب ولجوا الينا بذلك [illegible] منهم من هرب ويكرر عنكم في شانهم الكتب
ولححتم في الطلب فحين جاءنا رسولكم الاول قلنا [illegible] على ان [illegible]
رسولكم معهم فلما سرحناهم وراوا انا صرفناهم واخذنا لهم الخلاص الذي [illegible] الجواز
اكثرهم واختاروا الاقامة وطلبوا منا الخدمة المستدامة لانهم كانوا تحت رعي وكرامة [illegible]
واختيار من غير ضرر [illegible] في ذلك ولا اصرار فرددنا [illegible] الى خدمتهم واجرينا عليهم
مرتباتهم ورتبهم على عادتهم واما الذين ارادوا الجواز منهم الى بلادكم فهم نحو الثلاثين او ما يقرب من
عددهم فلما جاءوا على الانفصال واخذوا في الرحيل الا وبلغنا ان المسلمين من خدامنا وبلادنا اخذوا من
مراسينا هنين ووهران ومستغانم على جهة التعدي والقهر والغلب والمجاهرة بالفساد والحرب بعد ما كنتم انتم
كتبتم رسم الصلح الذي به الينا [illegible] ذلك هؤلاء الذين ارادوا الجواز الى [illegible] حتى
تسرحوا انتم اولئك الماخوذين [illegible] على ايدي المعتدين [illegible] الظالمين فاذا سرحتم اولئكم
نسرحوا نحن هؤلاء لكم [illegible] رسم الصلح الذي [illegible] والترمتم [illegible]
ووجهتم رسولكم [illegible] واما ما ذكرتموه لنا من الحوائج التي كانت اخذت [illegible] فحين
وصل الوكيل الذي وجهتم [illegible] الى هنا اوقفناه بين ايدينا وسمعنا قوله واحضرنا خصمه له وامرناه ان يصل
معه الى قاضي المسلمين [illegible] الشرع [illegible]
اليه الصغير والكبير والرفيع والوضيع والغني والفقير وسائر الناس في الحق عنده سواء [illegible] الهدى
ويطرح الاهواء فابى الوكيل من ذلك وامتنع من ان [illegible] للشرع والحق احق ان يتبع وكان ذلك
كله بحضر رسولكم وهو يبين ذلك لكم والذي عندنا في احوال الصلح [illegible] ان شاء الله
رسولكم [illegible] والله سبحانه [illegible] الى سواء السبيل انه بذلك كفيل
كتب في ثالث عشرين صفر من عام اربعة وستين وسبعمائة بموافقة الحادي عشر من دجنبر عرف الله خيرهما
بمنه وكرمه وقد وجهنا لكم صحبة [illegible] رسما مشهودا [illegible] بعقد الصلح المبارك معكم وصحبة
رسولكم ليوصله اليكم ان شاء الله بل يصلكم كتابنا هذا ورسم الصلح المبارك الذي [illegible] واشهدنا به
على انفسنا صحبة خديمنا الاجل [illegible] على [illegible] سلمه الله فاصرفوا معه رسم صلحكم والاسرى من
المسلمين الذين ذكرناهم لكم وتوجهوا من عندكم من خدامكم [illegible] من النصارى
الذين امسكناهم في املاككم ويصل بهم اليكم ان شاء الله لا رب سواه
صح في التاريخ

[1] - جيلالي صاري، ص 60

ملحق 16 :معاهدة تلمسان 1339[1]

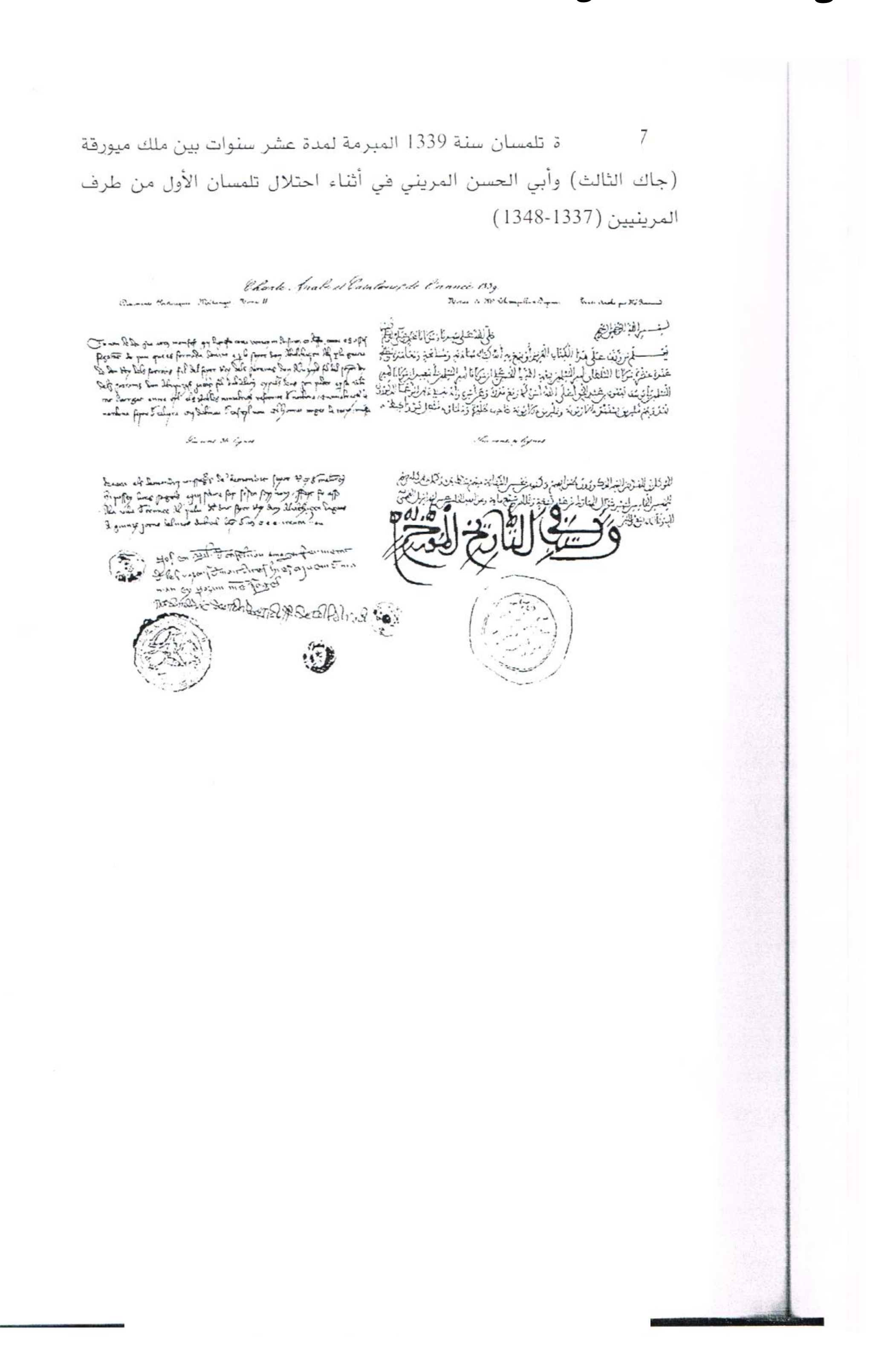

7

ة تلمسان سنة 1339 المبرمة لمدة عشر سنوات بين ملك ميورقة (جاك الثالث) وأبي الحسن المريني في أثناء احتلال تلمسان الأول من طرف المرينيين (1337-1348)

[1] – جيلالي صاري ، ص 61

ملحق 17 : فندق الرمانة [1]

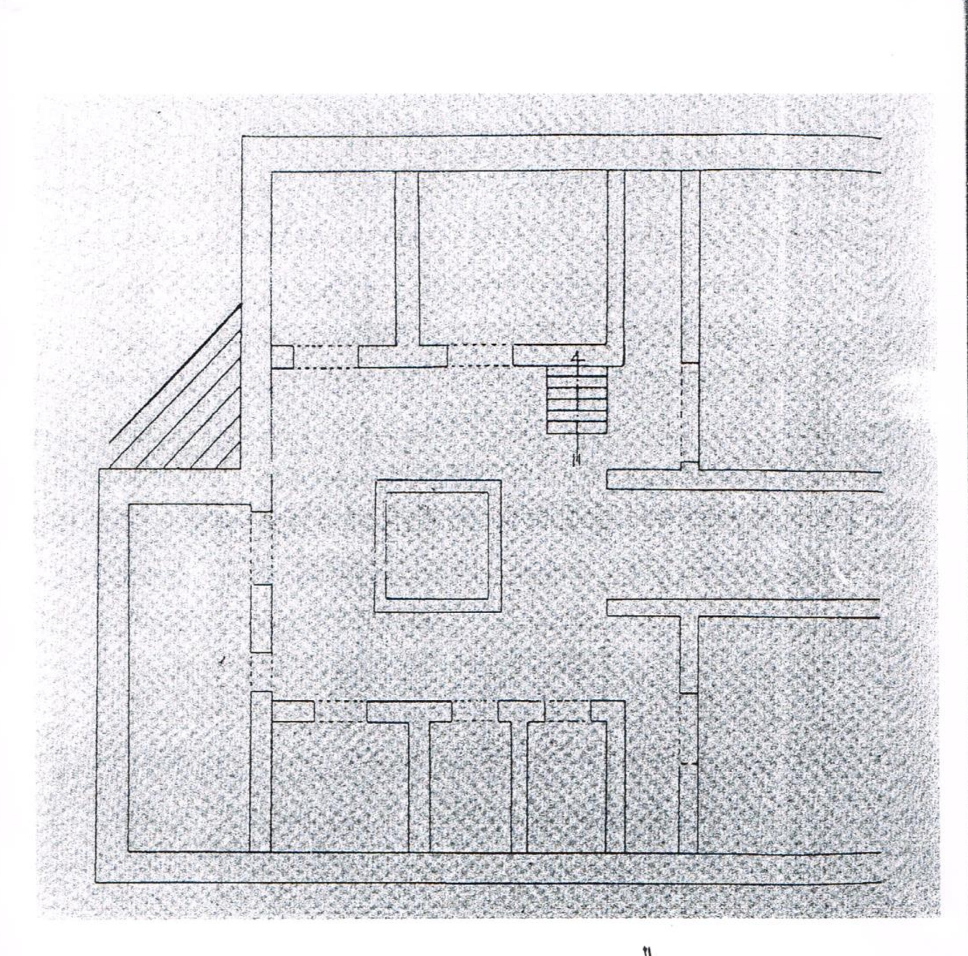

[1] – عمر بلوط : المرجع السابق،ص 159

ملحق18 : مخطط فندق أبو علي [1]

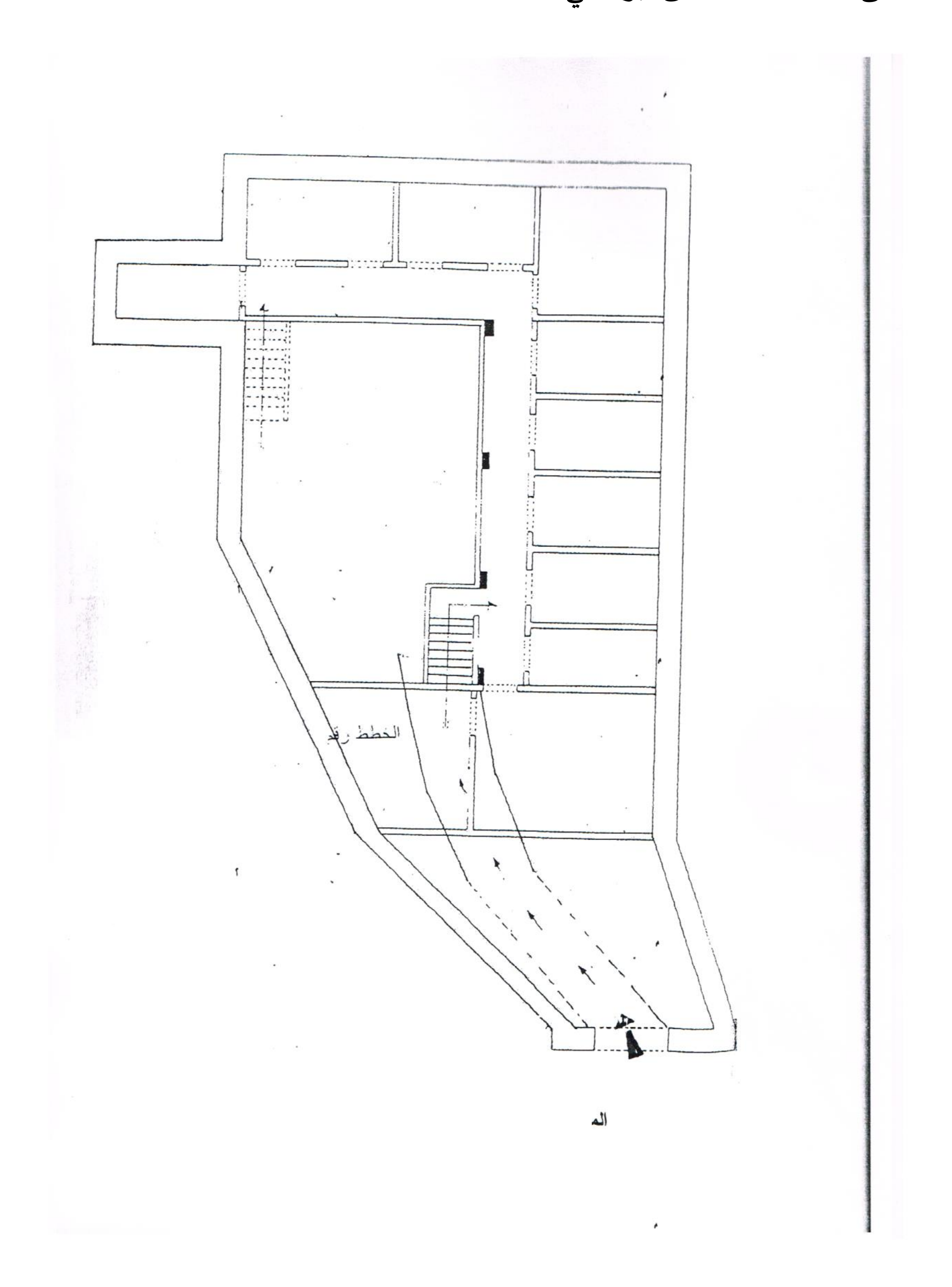

---

[1] – عمر بلوط : المرجع السابق، ص 158

ملحق 20: مخطط الطابق الأول [1]

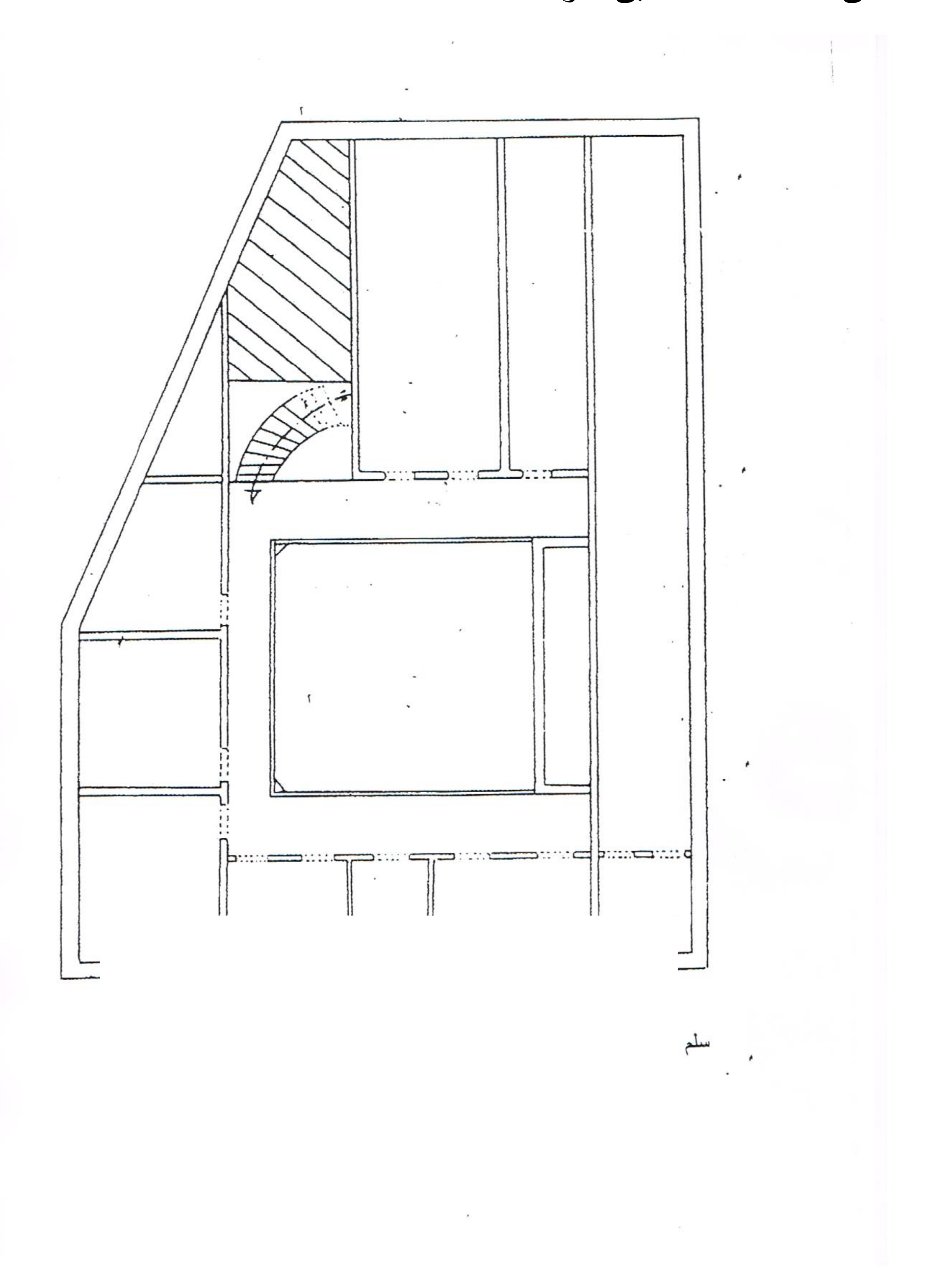

1 – عمر بلوط ، ص 174

ملحق 21 : أشكال مختلفة العقود [1]

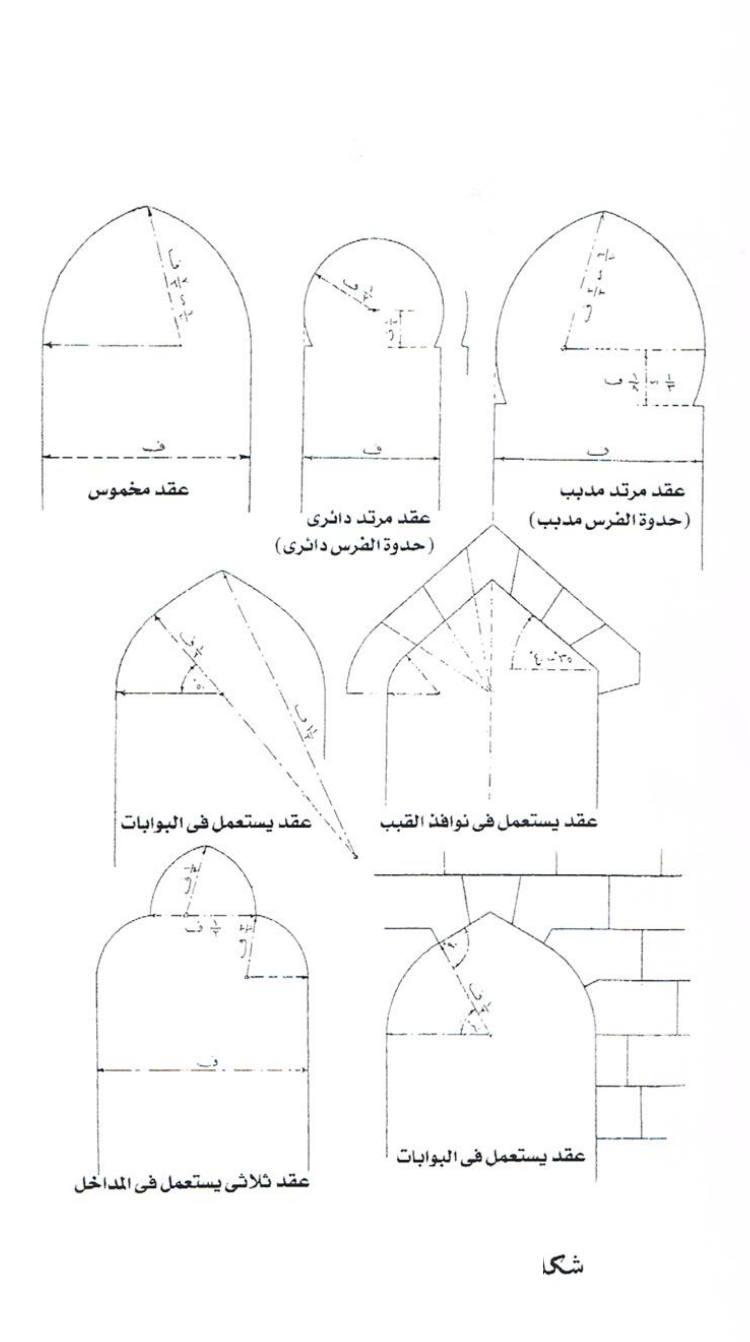

---

[1] – يحي وزيري : المرجع السابق، ص 67

ملحق 22 : نماذج عقود اسلامية [1]

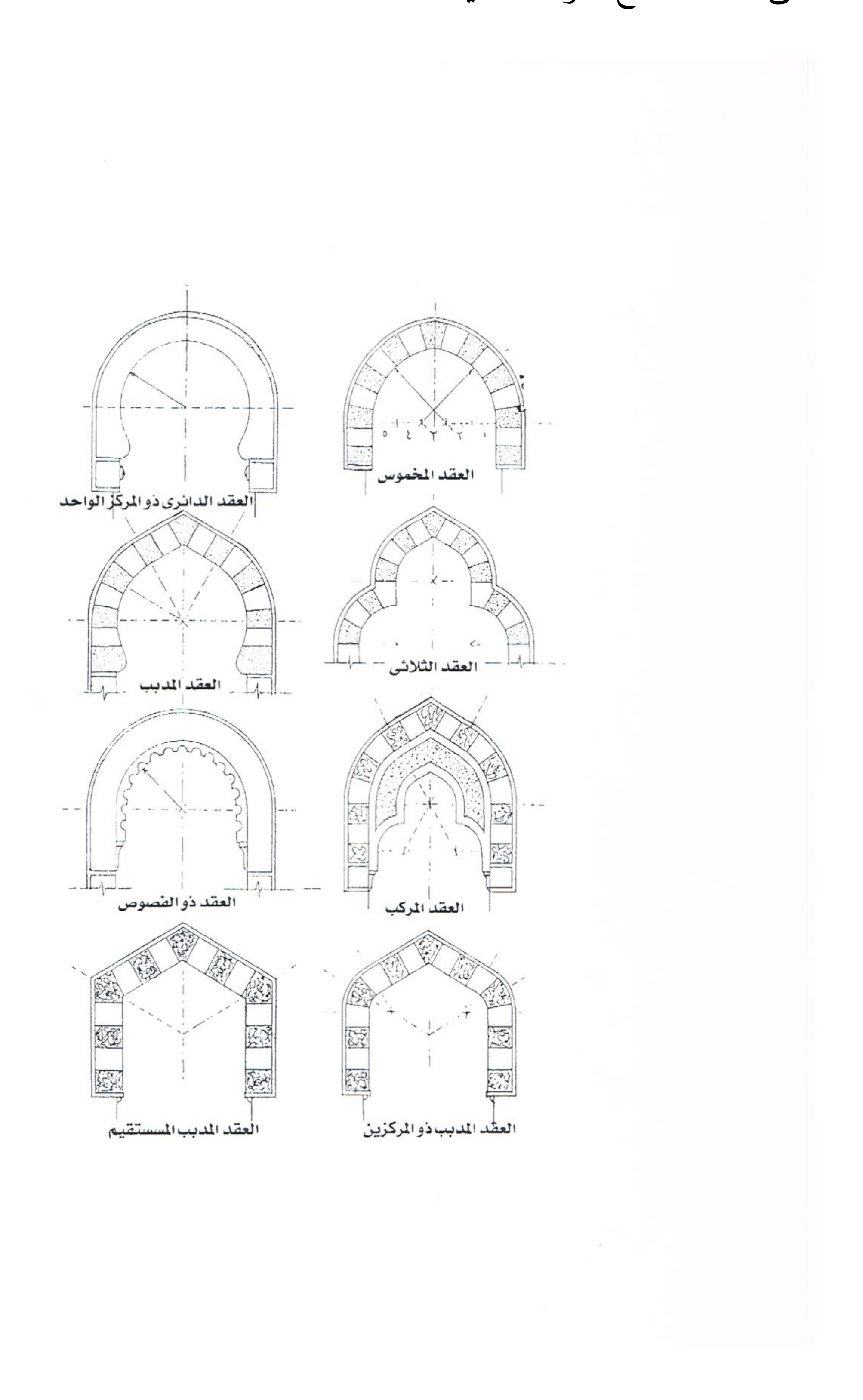

1 – يحي وزيري : المرجع السابق، ص 66

ملحق 23 : قوالب مستخدمة في بناء السلالم [1]

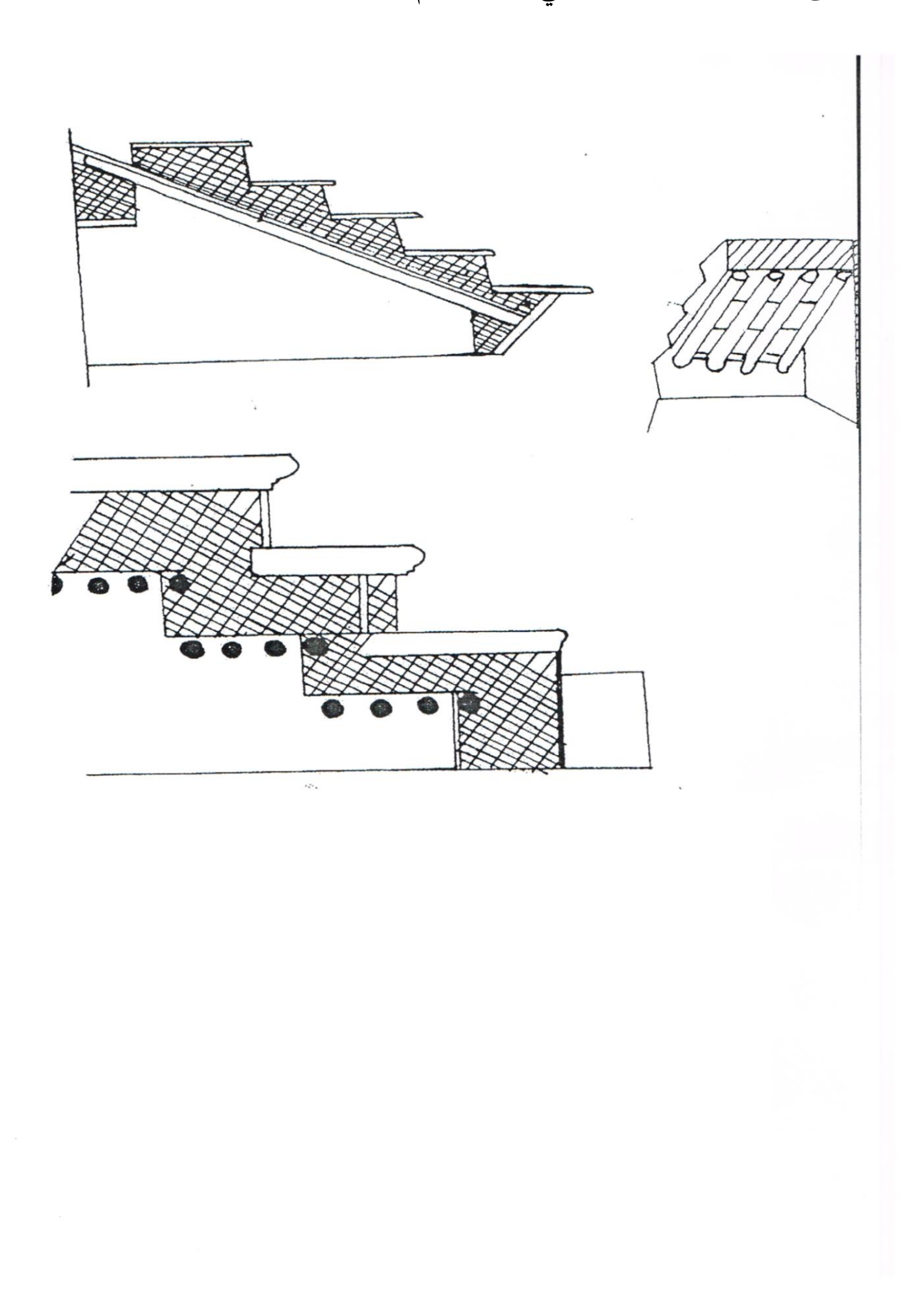

[1] – عمر بلوط : المرجع السابق ص 184

الفهارس

فهرس الشعوب والقبائل

فهرس الأماكن:

فهرس الأعلام:

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1/ **الكتب السماوية**

.القرآن الكريم

.إنجيل متى

.إنجيل لوقا

. أعمال الرسل

. أهل غلاطية

2/ **المخطوطات:**

. **الدمشقي جعفر بن علي** :الإشارة إلى محاسن التجارة، مكتبة جامعة الرياض، قسم المخطوطات،(نسخة مصورة)

. **الكتاني جعفر بن إدريس:** أجوبة عن حكم صابون الشرق والشمع وصندوق النار المجلوب من الكفار أو ما خاطه أهل الذمة، مخطوطات المكتبة الوطنية ، الرباط،(نسخة مصورة)

<u>3/ **المصادر:**</u>

. **ابن الأثير عز الدين أبي الحسن:** الكامل في التاريخ، ،تح :عدنان العلي وهيثم طعيمي ،المكتبة العصرية ،بيروت ،2013م /1434هـ ،ج2، 7، 8، 11.

. **طاش كبرى زاده:** مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان،1405هـ/1985م.

. **الإدريسي الشريف** :نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ،مطبعة بريل ،ليدن 1864

. **ابن الأحمر إسماعيل:** روضة النسرين في دولة بني مرين ،تح: عبد الوهاب ان منصور ،ط3،المطبعة الملكية ،الرباط، 2003م/1423هـ.

. **ابن الأحمر إسماعيل:** تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ،بور سعيد ، مصر،1421 هـ/2001م.

. **ابن القيم الجوزية:** هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،ط1، مجمع الفقه الإسلامي، جدة ، السعودية،1429هـ.

. **ابن القيم الجوزية** :إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تح: عبد الحكيم محمد عبد الحكيم، المكتبة التوفيقية، القاهرة ،ج1.

. **ابن القيم الجوزية:** أحكام أهل الذمة،يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العاروري، ط1، رمادي للنشر، السعودية ،1997، ج1، 2

. **الباجي أبي الوليد:** فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام، تح: محمد أبو الأجفان ،ط1، مكتبة التوبة، دار ابن حزم، السعودية،1422هـ/2002م.

. **البخاري أبو عبد الله محمد** :الجامع الصحيح ،ج3، تح: محب الدين الخطيب ،ط1،المطبعة السلفية ومكتبتها ،القاهرة 1400هـ .

. **ابن بشكوال أبي القاسم:** الآثار المروية من الأطعمة السرية والآلات العطرية،تح: أبي عمان ياسر الشعيري، مراجعة :أبو أويس الحسني، أبو أيمن الواركلي،ط1 ،مكتبة أضواء السلف، الرياض،1425هـ/2004م.
. **ابن بطوطة محمد بن عبد الله** : رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح : محمد عبد الرحيم، ط1، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع،مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ، لبنان،د.س.
. **البرزلي أحمد البلوي:** الجامع مسائل الأحكام لما نزل بالقضايا من المفتين والحكام ، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب الهيلة،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،2002،ج2.
. **البكري أبو عبيد الله** :المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى ،بغداد
. **البيدق أبي بكر علي:** أخبار المهدي بن تومرت، تح: عبد الحميد حاجيات ،طبعة خاصة ،عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011.
. **التادلي أبويعقوب يوسف المعروف بابن الزيات:** التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق ،ط2، مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ،1997.
. **ترتليانوس:** المنافحة أو دفاع عن التوحيد، تر: عمار الجلاصي، نشر تاوالت ،2001.
. **التنسي محمد بن عبد الله** :تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ،تح: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر ،الجزائر.
. **تورميدا إنسلم:** تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تقديم وتحقيق: محمود علي حماية،ط3،دار المعارف ،القاهرة،1992.
. **الجاحظ أبي عثمان عمرو:** المختار في الرد على النصارى، تح: محمد عبد الله الشرقاوي،ط1، دار الجيل، بيروت ، مكتبة الزهراء، جامعة القاهرة،1411هـ/1991م
. **الجزري أبو الحسن علي الشيباني** :اللباب في تهذيب الأنساب ،دار صادر، بيروت، د.س ،ج2.
.**ابن الحاج أبو عبد الله محمد:** المدخل إلى تنمية الأعمال، د.ط، مكتبة دار التراث، القاهرة ، د.س، ج2، 3، 4.

. **ابن الخطيب لسان الدين:** تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ،القسم الثالث من أعمال الأعلام ،تح :أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ،الدار البيضاء،1964م .

. **ابن الخطيب لسان الدين:** نفاضة الجراب في علالة الإغتراب،ج3، تح: السعدية فاغية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،1989.

. **ابن خلدون عبد الرحمن:** تاريخ ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان،ج2 ، 6، 7.

. **ابن خلدون عبد الرحمن:** المقدمة، منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان

. **ابن خلدون يحي:** بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ،تح: عبد الحميد حاجيات ،طبعة خاصة ،عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011،ج2،1.

. **الدمشقي شمس الدين الأنصاري:** نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، مدينة بطربورغ،1281هـ/1865م.

. **الربعي أبي محمد عبد الله:** جزء فيه شروط النصارى، تح: أنس العقيل، ط1، دار البشائر الإسلامية، السعودية، 1427هـ/2006م.

. **بن رشد أبو الوليد محمد:** فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق: المختار بن الطاهر التليلي،ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان ،بيروت،1407هـ/1987م، السفر الأول.

. **طاش كبرى زاده:** مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان،1405هـ/1985م.

. **الزدجالي أبي يحي عبيد الله:** أمثال العوام في الأندلس، تح: محمد بنشريفة، د.ط، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، د.س، القسم الثاني،

.**الزركشي أبي عبد الله محمد:** تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تح: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، د.س.

. **الزهري أبي عبد الله محمد:** كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية ،مصر .

. **بن سباع يوحنا ابن أبي زكريا:** الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة ،تح: فكتور منصور مستريح الفرنسيسي، د.ط مؤلفات المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقية المسيحية ، مطبعة القاهرة الجديدة، مصر ،1966.

. **الشافعي أبي الحسن علي** :منهج الصواب في قبح إستكتاب أهل الكتاب، تح :سيد كسروي،ط1، منشورات علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،2002م/1422هـ .

. **بن الصباح الحاج عبد الله:** أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار، تهذيب: محمد بنشريفة، ط1،دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط،2008.

. **ابن أبي صبيعة** : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،تح: امرؤ القيس بن الطحان ،ط1، المطبعة الوهبية،1299هـ/1882م، ج2.

. **بن صاحب الصلاة عبد الملك:** المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي التازي، ط3،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987

. **الطبري محمد بن جرير:** تاريخ الأمم والرسل، ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت ،1407هـ ، ج1.

. **الطرطوشي أبو بكر محمد:** الحوادث والبدع، ضبط وتعليق: علي بن الحسن الحلبي الأثري،ط1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية،1411هـ/1999م.

. **بن عبد ربه أحمد:** العقد الفريد، تح: أحمد أمين وآخرون، د.ط، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1420هـ/1990م،ج6.

. **ابن عبدون محمد بن أحمد:** رسالة ابن عبدون ،ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال،د .ط، مطبعة المعد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة،1955.

. **بن عبد الرؤوف أحمد بن عبد الله:** رسالة ابن عبد الرؤوف ، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال،د .ط، مطبعة المعد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة،1955.

. **ابن العسال أبي الفضائل:** المجموع الصفوي، شرح وعناية: جرجس فيلوثاوس عوض، طبعة خاصة، طنطا،1664،ج1، 2.

. **العقباني أبي عبد الله** ت 871هـ/1467م: تحفة الناظر وغنية الذاكر في ذكر الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوفي، د.ط، مقتطف من الدراسات الشرقية، المعهد الفرنسي ، دمشق، 1967.

. **الغبريني أبو العباس:** عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،ط1،دار البصائر ، الجزائر، 2007.

. **الغرناطي أبي إسحاق:** الوثائق المختصرة، تح: إبراهيم بن محمد السهلي ،ط1،الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،عمارة البحث العلمي، السعودية،1432هـ/2011م .

. **الفاسي ابن أبي زرع** :الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط، 1972.

. **أبو الفدا:** المختصر في أخبار البشر،ط1، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة،د.س،ج1،

. **أبي الفدا عماد الدين:** تقويم البلدان ،د.ط، دردسن،1846م.

. **ابن الفراء أبي علي الحسين:** كتاب رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تح: صلاح الدين المنجد،ط2، دار الكتاب الجديد ، بيروت، لبنان،1972م.

. **الفرسطائي أبو العباس:** القسمة وأصول الأرض، كتاب في فقه العمارة الإسلامية، تقديم وتحقيق: بكير بن محمد الشيخ بلحاج، محمد صالح ناصر، ط2، جمعية التراث ، القرارة، الجزائر، 1418هـ/1997م.

. **بن القاضي أحمد:** جذوة الإقتباس في ذكر من حل مدينة فاس من الأعلام،د.ط، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د.س، ج1.

. **القرطبي أبي عبد الله محمد الأزدي (ابن المناصف):** الإنجاد في أبواب الجهاد وتفصيل فرائضه وسننه وذكر جمل من آدابه ولواحق أحكامه، تح: مشهور بن حسن آل سلمان، محمد بن زكريا أبو غازي، د.ط، دار الإمام مالك، مؤسسة الريان، السعودية، د.س.

. **القرشي يحي بن آدم:** كتاب الخراج، تح: حسين مؤنس،ط1،دار الشروق،القاهرة،1987.
. **القلقشندي أبي العباس أحمد** :صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، د.ط ،مطبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة ،1922م/1340 هـ ،ج1، 2، 6.
. **القسنطيني ابن قنفذ:** الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي،الدار التونسية للنشر ، تونس،1968.
. **ابن القطان أبي محمد حسن المراكشي:** نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط2،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989م.
. **القيرواني أبي عبد الله محمد الرعيني** :المؤنس في أخبار إفريقية وتونس،ط1،مطبعة الدولة التونسية،1286هـ .
. **ابن كثير أبو الفدا إسماعيل:** تفسير القرآن العظيم ، تح: محمود حسن، د.ط، دار الفكر، بيروت،1414هـ/1994م ،ج2.

. **ابن كثير أبي الفدا عماد الدين:** البداية والنهاية ،تح :محمد بن سامح عمر،ط1،دار ابن جوزي ،القاهرة،1431هـ/2010م،ج2.
. **كربخال مارمول** :إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، د.ط ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،الرباط ،1984،ج1.
. **الكناني أبو زكريا يحي:** أحكام السوق النظر والأحكام في جميع أحوال السوق، تح: أبو سلمان محمد العمراوي، د.ط، تم نشره باعتناء جلال علي الجهاني عن الطبعة التونسية،2012م.
. **مالك بن أنس:** المدونة الكبرى، تح: زكريا عميرات، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

. **المالكي أبي بكر عبدالله** : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوش، مراجعة:محمد العروسي المطوي، ط1،دارالغرب الإسلامي،بيروت،1403هـ/1983. ج1.

. **المالكي خليل ابن إسحاق:** مختصر الخليل في فقه دار إمام الهجرة، تح: أحمد علي حركات، د.ط، دار الفكر ،بيروت، 1415هـ/ ،ج4.

. **المازوني يحي بن موسى،** الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح: مختار حساني، د.ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ج1

. **الماوردي أبو الحسن علي:** الأحكام السلطانية والولايات السلطانية، تح: أحمد مبارك البغدادي ،ط1،مكتبة دار ابن قتيبة ،الكويت،1989م/1409هـ.

. **الماوردي أبو الحسن علي بن محمد:** قوانين الوزارة وسياسة الملوك، تح: رضوان السيد،ط1، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت،1979م.

. **المراكشي عبد الواحد** :المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،تح:محمد سعيد العريان،مطبعة الإستقامة ،القاهرة،1950،

. **المراكشي ابن عذاري:** البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،قسم الموحدين، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون،ط1،الدار البيضاء، بيروت ،دار الغرب الإسلامي،1985م/1406هـ.

. **ابن مرزوق محمد التلمساني** :المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الحسن،دراسة وتحقيق :ماريا خيسوس بيغيرا ،تق :محمود بوعياد ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر.

. **ابن مرزوق محمد التلمساني:**المناقب المرزوقية ،دراسة وتحقيق :سلوى الزاهري ،ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الأسلامية،المملكة المغربية.

. **ابن مريم أبي عبد الله محمد التلمساني:** البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر.

. **المسعودي** :مروج الذهب ومعادن الجوهر ،تنقيح وتصحيح :شارل بلا، مطبعة بربيه دي مينار وبافيه دي كرتاي ،بيروت ،1965.ج2.

. **موسى الثاني أبوحمو:** واسطة السلوك في سياسة الملوك، تح : محمود بوترعة ، د.ط، دار الشيماء للنشر والتوزيع ، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر،2012م.

. **المغيلي محمد بن عبد الكريم:** مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح: عبد المجيد الخيالي، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2001م.

. **المغربي ابن سعيد:** كتاب الجغرافيا ،تح: إسماعيل العربي ،ط1، منشورات الكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1970.

. **المغربي ابن سعيد:** المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة،د.س،ج1.

. **المقديسي محمد بن أحمد:** أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،دمشق ،1980 .

. **المقري أحمد بن محمد التلمساني:** نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس،د.ط، دار صادر، بيروت، 1968،ج5

. **المقريزي تقي الدين أبي العباس:** كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، د.ط، دار صادر، بيروت، د.س، ج1.

. **مؤلف مجهول** :زهر البستان في دولة بني زيان (السفر الثاني) ،تح :عبد الحميد حاجيات ،طبعة خاصة ،عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011.

. **مؤلف مجهول** :الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ،تح :سهيل زكار ،عبد القادر زمامة ،دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء، المغرب 1979..

. **مؤلف مجهول** :الإستبصار في عجائب الأقطار ،تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد .

. **مؤلف مجهول:** كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، تح: أمبروزيو أويثى ميرندا، مجلة الدراسات الإسلامية،العدد9-10،1961م-1926م.

. **النقاش أبي أمامة** :المذمة في إستعمال أهل الذمة، سيد كسروي،ط1، منشورات علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،2002م/1422هـ .

. **النووي أبي زكرياء يحي:** صحيح مسلم ،تح: محمد صدقي العطار،ط1،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت ،2009م/1430هـ.

. **النويري شهاب الدين أحمد:** نهاية الإرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، ط1، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان، 1424هـ/2004م،ج24.

. **الوزان الحسن بن محمد الفاسي** :وصف إفريقيا ، تر: محمد حجي ، محمد الأخضر ،ط2،دار الغرب الإسلامي، بيروت . ج1، 2.

. **الونشريسي أبوالعباس أحمد بن يحي:** المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، ،خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية،الرباط ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،1981م/1401،ج1، 2، 6، 7، 8، 11، 12.

. **اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب** : تاريخ اليعقوبي ،دار صادر، بيروت ،1996،ج1

<u>4/ المراجع</u>

. **إبراهيم رجب عبد الجواد:** المعجم العربي لأسماء الملابس، تق: محمود فهمي حجازي، مراجعة المادة المغربية: عبد الهادي التازي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1423هـ/2002م

. **إبراهيم عبد الباقي:** تأصيل القيم الحضارية من بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر.

.**أحمد موسى عز الدين عمر:** الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، د.س.

. **ادريس الهادي روجيه:** تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن10إلى القرن12م،ت:حمادي الساحلي،ط1،دار الغرب الإسلامي لبنان ،1992.

. **البارودي رضوان:** دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، د.ط، مركز الإسكندرية للكتاب، الأزاريطة ،2007.

. **برنشفيك روبار:** تاريخ إفريقية الحفصية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م، تر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1988، ج1.

. **بل ألفرد:** الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، تر: عبد الرحمن بدوي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1969

. **بلعربي خالد:** تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية (55هـ – 633هـ/675م–1235م)، ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر ،2011.

. **بلوط عمر:** فنادق مدينة تلمسان الزيانية، دراسة أثرية، ط1، مؤسسة الضحى للنشر والتوزيع الجزائر، 2011

. **بنمليح عبد الإله:** الرق في بلاد المغرب والأندلس، ط1، الإنتشار العربي، بيروت، لبنان،2004.

. **بوتشيش إبراهيم القادري:** مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، د.ط، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت د.س.

. **بورويبة رشيد وآخرون:** الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1984.

. **بوزياني الدراجي:** نظم الحكم في الدولة الزيانية، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.س

. **بوعزيز يحيى:** الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية ،2007.

. **بونار رابح:** المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.

. **بيرين هنري:** تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)، تح وتر: عطية القوصي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1996.

. **التازي عبد الهادي:** التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم،د.ط، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر ،1408هـ/1988م.

. **التاهرتي الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، جمع** وشرح: رمضان بن شاوش،ط1، المطبعة العلوية ،مستغانم،1385هـ/1996م.

. **التجاني أبو محمد عبد الله:** رحلة التجاني، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس،1981.

. **تيتاو حميد:** الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني 609- 689هـ/1212-1465م ، إسهام في دراسة إنعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية ، د.ط، مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، ديسمبر، 2009.

. **جلسون إتين:** روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة وتعليق :إمام عبد الفتاح إمام،ط3، مكتبة مدبولي ، مصر ،1996.

. **جوليان شارل أندري** :تاريخ إفريقيا الشمالية تونس ،الجزائر ،المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي ، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة ،مؤسسة تاوالت الثقافية ،2011.

.**الجيلالي عبد الرحمن:** تاريخ الجزائر العام، ط4 ،دارالثقافة،بيروت،1980م/1400هـ ،الجزائر،ج1،

. **الجيلالي عبد الرحمن:** تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، المدية، مليانة، دراسات وأبحاث،ط2، مطبعة صاري بدر الدين وأبنائه، الجزائر،1392هـ/1972 .

. **حاجيات عبد الحميد:** دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي ،طبعة خاصة ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011،ج1

. **حاجيات عبد الحميد وآخرون:** كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر، طبعة خاصة، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر.

. **حارش محمد الهادي:** التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة.

. **حركات إبراهيم:** المغرب عبر التاريخ،ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء،1978، ج1

. **حساني مختار:** تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاجتماعية، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ، 2007،ج3.

. **حسن علي حسن:** الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، مصر ،1980.

. **حسن محمد:** التجار والحرفيون بافريقية بين القرنين السادس والتاسع هجري 12/15م، المغيبون في تاريخ تونس الإجتماعي ، تنسيق: الهادي التيمومي،ط1 ،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة ، قرطاج، 1999م.

. **حسن محمد:** المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي ، جامعة تونس الأولى ،1999 ، ج1

· **حسين ممدوح:** الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري668 هـ – 792هـ/1270م–1390م، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 1419هـ/1998م.

· **الخربوطلي علي حسني:** الحضارة العربية الإسلامية، ط1، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1380هـ/1960م .

· **خطيف صابرة:** فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر 2011م/1432هـ.

. **خلف سعود:** دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض ،1997م/1418هـ.

· **دانيال روبين:** أصول التراث المسيحي في شمال إفريقيا دراسة تاريخية عن القرنين الأولين، أعده للنشر: تامنغاست.

· **دحماني سعيد:** من هبون–بونة إلى عنابة تاريخ تأسيس قطب حضري، ط1، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر 2007م/1428هـ.

· **ديورانت ول وايريل** : قصة الحضارة ،تر: محمد بدران ،دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ،بيروت ،جامعة الدول العربية ،تونس، ج11.

. **الرازي محمد بن أبي بكر:** مختار الصحاح، تح : محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون ،بيروت ،1995م/1415.

· **رستم سعد:** الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ط2، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق،2005.

. **الزحيلي محمد:** وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، طبعة خاصة، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 1401هـ/1991م.

· **الزحيلي وهبة:** العلاقات الدولية في الإسلام، ط1، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،1420هـ/2000م.

· **زغروت فتحي:** الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين (المغرب والأندلس)، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة،1426هـ/2005م.

. **زغلول عبد الحميد:** تاريخ المغرب من الفتح إلى عصور الاستقلال، منشأة المعرف، الإسكندرية ،1979-1990، ج1.

. **أبو زهرة محمد: محاضرات** في النصرانية، ط4، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإسلامية، الرياض،1404هـ.

زيات عبد الفتاح حسين: ماذا تعرف عن المسيحية، ط 3، مركز الراية للنشر والإعلام 2001.

. **زيدان عبد الكريم:** أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، مكتبة القدس بغداد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا،1402هـ/1982م.

. **ساكا سالم:** الخطوبة والزواج (دورة المخطوبين)، ط1، نشر مكتب الأستاذ سركيس أغاجان، أربيل ، العراق،2007.

. **ساكا سالم:** روحانية الزواج المسيحي، ط1، نشر مكتب الأستاذ سركيس أغاجان، أربيل ، العراق،2007.

. **سالم السيد عبد العزيز:** بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 1-2، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد. إسبانيا،1377هـ/1957م.

. **سالم السيد عبد العزيز:** تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، د.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،1969م.

. **سرور محمد شكري:** نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، د.ط، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة، 1978-1979.

. **سعد اسكندر شاهر:** مسألة الأقليات وسبل تخفيف التوترات الدينية والإثنية في الشرق الأوسط، سلسلة قضايا استراتيجية، العدد 27، مارس 2009، المركز العربي للدراسات السورية، دمشق.

. **شافعي فريد:** العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة ، هـ -م ع ك، القاهرة ،1970 ، ج1

. **شاوش محمد بن رمضان:** باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،2011.

. **شتا أحمد عبد الونيس:** الأصول العامة للعلاقات الدولية في الإسلام وقت السلم،ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة،1417هـ/1996م.

. **ابن شقرون محمد بن أحمد:** مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة، الدار البيضاء،1406هـ/1985.

. **شلبي متولي يوسف:** أضواء على المسيحية، الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت.

. **شنيتي محمد البشير:** التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الإحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع ميلادي، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1984.

. **صاري جيلالي:** تلمسان الزيانية إرهاصات ظهور الدولة الجزائرية في العصر الحديث ،تر: مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر ،الجزائر ،2011.

. **صفر أحمد:** مدنية المغرب العربي عبر التاريخ ،دار النشر بوسلامة ،تونس،ج1.

. **ضيف أحمد** : بلاغة العرب في الأندلس،ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة ،تونس،1998.

. **بن طلال الحسن:** المسيحية في العالم العربي، المعهد الملكي للدراسات الدينية، مكتبة عمان ،1995.

. **الطمار محمد:** الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 2007.

. **الطمار محمد:** المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،2010.

. **الطمار محمد:** تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

. **ظاظا حسن ، عاشور محمد:** اليهود ليسوا تجارا بالنشأة، دار الإتحاد العربي للطباعة، مصر ،1975، التقديم

. **عاشور سعيد عبد الفتاح:** تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت،1976.

. **عامر عبد اللطيف:** أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية، ط1، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، لبنان،1406هـ/1986م.

. **بن عامر أحمد:**الدولة الحفصية ،صفحات خالدة من تاريخنا المجيد، مطبعة الإتحاد التونسي ،دار الكتب الشرقية ،تونس ،1974م.

. **العبادي أحمد مختار:** في تاريخ المغرب والأندلس، د.ط ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت.

· **عبدلي لخضر:** التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد ،ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011.

. **عبد العليم أنور:** الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،1979.

. **عبد الوهاب أحمد:** تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، ط1، مكتبة وهبة ، القاهرة،1409هـ/1989م.

. **عثمان طارق أحمد وعبد الوهاب الطيب البشير:** مدخل لدراسة المسيحية في إفريقيا ،دار جامعة إفريقيا للطباعة والنشر ،2003م.

. **العروي عبد الله :** مجمل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، 1995م، ج1.

. **علام عبد الله علي:** الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف،القاهرة،1971.

. **العلي صالح أحمد:** المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت – لبنان، 2003م.

. **عمارة محمد** :الإسلام والأقليات ،ط2 ،مكتبة الشروق الدولية ،القاهرة،2007م.

. **عويس عبد الحليم:** دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري،ط2،دار الصحوة للنشر والتوزيع ،القاهرة،1411/1991هـ .

. **عنان محمد عبد الله:** دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين بالمغرب والأندلس، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة،1990م/1411هـ.

. **عيبش يوسف:** الإحتلال البيزنطي لبلاد المغرب دراسة للأوضاع الإجتماعية والإقتصادية ط1،دار بهاء الدين ،الجزائر ،2009م/1430هـ .

. **غليون برهان:** المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات ،ط1،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ،أوت 1979.

. **غوانمة يوسف حسن:** معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج خطاب جديد في العجز الإسلامي والحربي والمشروع النهضوي الغربي الوحدوي، ط1،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، 1415هـ/1995م.

. **فارج فيليب ، كرباخ يوسف:** المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي والعربي والتركي، تر: يوسف السباعي، سينا للنشر، القاهرة،1994.

. **فياض عطية السيد:** الضوابط الشرعية لنكاح المسلم لكتابية، دراسة فقهية مقارنة، ط1، دار النشر للجامعات، مصر، 1423هـ/2002م .

. **فيلالي عبد العزيز:** تلمسان في العهد الزياني(دراسة سياسية ،عمرانية ،إجتماعية ،ثقافية) ،موفم للنشر ،الجزائر ،2007 ،ج1

. **فيلالي عبد العزيز:** دراسات في تاريخ الجزائر و الغرب الإسلامي، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2012.

. **القبلي محمد:**مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر والتوزيع، مكتبة عالم الفكر ، الدار البيضاء،1986 .

. **بن قربة صالح:** المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1986.

. **قروعي خديجة: ظواهر** إجتماعية مسيحية وإسلامية في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر الإمارة، ط1، دار النايا، دار محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق ،سوريا ،1433هـ/2012م.

. **كركور محمد إبراهيم:** تطور المسيحية بين عيسى عليه السلام وبولس ،مركز التنوير الإسلامي ،القاهرة،2006.

. **كواتي مسعود:** اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، ط2،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر،2009.

. **لورو باتريك:** الإمبراطورية الرومانية، تر: جورج كتورة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة ،2008.

. **لابيدس أيرام:** تاريخ المجتمعات الإسلامية،،ط1،دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان،ج،2011.

. **مارسيه جورج:** بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق في العصور الوسطى ،ت: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف ،الإسكندرية،1991.

. **متز آدم:** الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، تر: محمد الهادي أبوريدة، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، د.س، مج1.

. **مجموعة مؤلفين:** نظام الرق عبر العصور، د.ط، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، دولة الإمارات العربية المتحدة، سبتمبر ،2001.

. **محمود حسن أحمد:** قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى،دار الفكر العربي، القاهرة.

. **محمود سلام شافعي:** أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1995.

. **المدني أحمد توفيق:** كتاب الجزائر ،ط2 دار المعارف ،1963،ص25

. **المعدللي هند:** الزواج في الشرائع السماوية والوضعية، ط1، دار قتيبة للنشر والتوزيع، سوريا،1422هـ/2002م.

. **المطوي محمد العروسي:** السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان،1406هـ/1982م .

. **الملا أحمد علي:** أثر العلماء المسلمون في الحضارة الأوروبية،ط2،دا الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،1401هـ/1981م.

. **الممي حسن:** أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، تقديم: الشاذلي القليبي، ط1،دار الغري .

.**المنوني محمد:** العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ط2،مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ،الرباط،1397هـ/1977م.الإسلامي،بيروت،1998.

. **المنوني محمد:** ورقات من حضارة المرينين،ط3منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات ، المغرب،1420هـ/2000م .

. **مؤنس حسين:** عالم الإسلام، مطابع الزهراء للإعلام العربي، القاهرة.

. **الموحى عبد الرزاق رحيم صلال:** العبادات في الأديان السماوية اليهودية– المسيحية – الإسلام، تدقيق: إسماعيل الكردي،ط1،الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات، دمشق،2001.

. **الميلي مبارك بن محمد:** تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تح :محمد الميلي ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،ج1.

. **الناصري أبو العباس أحمد:** الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، ج1.

. **الناصري سيد أحمد علي:** تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ،ط2،دار النهضة العربية ،القاهرة/1991.

. **نخبة من اللاهوتين:** مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين ، طبع في بيروت سنة 1986 ، ج2

. **بن نعمان أحمد:** التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي، لماذا وكيف؟، ط1، منشورات دحلب، دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر ،1991م.

. **هونكه زيغرد:** شمس العرب تسطع على الغرب(أثر الحضارة العربية على أوروبية) ، تر: فاروق بيضون، كمال الدسوقي، مراجعة: مارون عيسى الخوري،ط8 ،دار الجيل ،بيروت دار الآفاق الجديدة ،بيروت،1413هـ/1993.

. **هاشم شريف محمد:** الإسلام والمسيحية في الميزان،د.ط، مؤسسة الوفاء ،بيروت ،لبنان .

.**هينليس جون ر.:** معجم الأديان الدليل الكامل للأديان العالمية، تر: هاشم أحمد محمد، مراجعة وتقديم: عبد الرحمن الشيخ، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة ،2010.

. **يوسف جودت عبد الكريم:** الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.

5/المعاجم

.**الأزهري أبو منصور محمد** :تهذيب اللغة ، تح: محمد عوض مرعب ،ط1،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،2001، ج11.

. **الأنباري أبو بكر محمد** : الزاهر في معاني كلمات الناس، تح: حاتم صالح الضامن ،ط1،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1992م/1412هـ.

. **الجز خليل:** المعجم العربي الحديث، باريس ،1973.

. **الجياني محمد بن عبد الله الطائي:** إكمال الأعلام بتثليث الكلام ، تح: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى ،مكة المكرمة،1984م/1404هـ ،ج2.

. **ابن سيده أبو الحسن:** المخصص ،تح: خليل إبراهيم جفال ،ط1،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،1996م/1417هـ ،ج4

. **الزبيدي المرتضى:** تاج العروس من جواهر القاموس ، تح: مجموعة من المحققين ، د.ط، دار الهداية، د.س ،ج30.

. **بن زكرياء ابي الحسين أحمد بن فارس:** معجم المقاييس في اللغة، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان.

. **بن زكرياء ابي الحسين أحمد بن فارس:** مجمل اللغة ، تح : زهيرعبد المحسن سلطان ،ط2،مؤسسة الرسالة ،سوريا،1986م/1406هـ ،ج1.

. **ابن القطاع أبي القاسم علي السعدي:**كتاب الأفعال ،ط1،عالم الكتب ،بيروت،1983،ج1.

. **الكفومي أبو البقاء** : كتاب الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،تح: عدنان درويش ،محمد المصري، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1998م/1419هـ .

. **أبو الحسن علي المرسي** :المحكم والمحيط الأعظم ،تح :عبد الحميد هنداوي، د.ط، دار الكتب العلمية ،بيروت ،2000م،ج 1، 4، 6.

. **مصطفى إبراهيم وآخرون** :المعجم الوسيط ، تح: مجمع اللغة العربية ،دار الدعوة ،الإسكندرية ،مصر،ج1، 2.

. **بن المطرزي أبو الفتح ناصر الدين:** المغرب في ترتيب المعرب ،تح :محمد فاخوري وعبد الحميد مختار ،ط1،مكتبة أسامة بن زيد ،حلب ،1979م،ج1.

. **ابن منظور محمد بن مكرم:**لسان العرب ،تح: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي ،دار المعارف، القاهرة .ج1، 2 ، 11.

. **المناوي محمد عبد الرؤوف:** التوقيف على مهمات التعاريف ،تح: محمد رضوان الداية،ط1، دار الفكر المعاصر ،دار الفكر ،بيروت، دمشق، 1410،.
. **الهروي محمد الأزهري** :الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، تح: محمد جبر الألفي،ط1،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،الكويت،1399هـ.
. **المنجد في الأعلام واللغة**،ط21،دار المشرق ،بيروت ،1973.

6/ المراجع باللغة الأجنبية

- **Dictionnaire Encyclopédique** Larousse.Librairie Lrousse.Paris.1979

- **Dufourqc** .L'Espagne catalane et le magreb au XIII et XIV siècle de la bataille de los Navas de toloza 1212 l evenment du sultan merinide Abou-L. Hassan 1331 presse universitaire de france.Paris.1966

- **Dufourcqe** .Commerce du Magreb médiéval avec L'Europe Chrétienne et marine musulmane .données connues et problèmes en suspens extrait du cahier d histoire .T.I .actes du congrès histoire et de civilisation du Maghreb.Tunis.1974.

- **Mas Latrie** .Relation et Commerce de l'Afrique septentrional ou Maghreb avec les nations Crétiennes au moyen age .Librarie de firmin didot.Paris.1886

- **Mesange(J P)**.Le Christianisme en Afrique(L'origine développement et extension).Alger – Paris. 1914.
.Tunis.1974.

R. Le Tourneau .Les villes musulmanes de l'Afrique du nord – .Alger.1957.

7/الدوريات:

. **بوتشيش إبراهيم القادري** : الجاليات الأوروبية المتوسطية بالمغرب العربي خلال عصر الموحدين، مجلة الإجتهاد ،العدد28،السنة السابعة، دار الإجتهاد للأبحاث والترجمة ،لبنان،1416هـ/1995م.

. **بشاري لطيفة** :مكانة تلمسان التجارية في العهد الزياني،مجلة دراسات تراثية ،مجلة علمية سنوية محكمة ،يصدرها مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر)العدد01،جامعة الجزائر –2–،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،دار الملكية للطباعة والنشر ،الجزائر،2007.

. **بشاري لطيفة** :نشاط البحرية الإيطالية التجاري في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط منذ القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين، مجلة دراسات تراثية،مجلة علمية سنوية محكمة ،يصدرها مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر)العدد04،جامعة الجزائر –2–،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،دار الملكية للطباعة والنشر ،الجزائر ،السنة2010،

. **البزاوي الكبير** :التجارة من خلال كتابات ابن خلدون ،أعمال الندوة التجارية،ج1، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، من 15 رجب إلى 17 رجب1409هـ/21–23 فبراير1989م.

. **بروديل فرناند** : الأغذية وأصناف التاريخ، تر: حميدة، مجلة أمل، العدد16، 1999.

. **بلعربي خالد**: الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، مجلة كان التاريخية، العدد السادس،ديسمبر2009.

. **حركات ابراهيم** :سياسة المغرب الخارجية في عهد بني مرين ،مجلة دعوة الحق، العدد 7،السنة 1383،7هـ/1964م.

. **رافع رضا** :العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى والعالم الخارجي في العهد الموحدي ،مجلة دراسات تراثية، العدد03 ، مجلة علمية سنوية محكمة ،يصدرها مخبر البناء

الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر) ،جامعة الجزائر -2-،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،دار الملكية للطباعة والنشر ،الجزائر ،السنة2010،

. **السيد رضوان:** العلاقات الإسلامية المسيحية ثقافة جدل وثقافة الحياة ، مجلة الإجتهاد ،العدد28،السنة السابعة، دار الإجتهاد للأبحاث والترجمة ،لبنان،1416هـ/1995م.

. **سلطان سامي :** الجاليات الإيطالية في الدولة الزيانية، مجلة سيرتا ،العدد10،الجزائر ،أفريل،1988.

. **شحلان أحمد:** الحياة العامة في أندلس العصر الوسيط، مجلة الأندلس، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، الرباط،2011.

. **فقادي الحسن:** من مظاهر التغذية في تاريخ المغرب الوسيط، مجلة أمل ، التاريخ-الثقافة-المجتمع، الأطعمة والأشربة في تاريخ المغاربة، العدد16، السنة السادسة، 1999.

. **الكيلاني شمس الدين:** حقبة الحروب الصليبية والوضع على طرفي المجابهة التاريخية، مجلة الإجتهاد ، العدد28،السنة السابعة، دار الإجتهاد للأبحاث والترجمة ،لبنان،1416هـ/1995م.

. **المهناوي محمد:** دور التجارة الأوروبية في تعزيز الهياكل السياسية بمغرب القرن 16م من خلال نموذج السلاح الناري ،أعمال الندوة التجارية، ج2، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، من 15 رجب إلى 17 رجب1409هـ/21-23 فبراير 1989م.

. **المهناوي محمد :**أسرار الصناعات الحربية في المغرب، جريدة المساء، العدد 2413، المغرب ،2014

. **ناصح محمد:** مكانة التجارة بين الفئات الإجتماعية المكونة للمجتمع الحضري، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب،ج2، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، من 15 رجب إلى 17 رجب1409هـ/21-23 فبراير 1989م.

. **نشاط مصطفى :** ملاحظات حول المعاهدات التجارية المغربية في العصر المريني ،أعمال الندوة التجارية ، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، من 15 رجب إلى 17 رجب1409هـ/21-23 فبراير 1989م،ج2.

. **اليماني خوسيه** : الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة، تر: أحمد مدينة، مجلة دعوة الحق، مجلة شهرية تصدرها وزارة عموم الأوقاف، المغرب الأقصى، العدد 5، 1978.

8/الموسوعات:

. **حساني مختار** :موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ،ط2، دار الحكمة ،الجزائر ،2012،ج2، 3، 4.

. **دائرة المعارف الإسلامية** ،مادة بونة ،صدرها للغة العربية: أحمد الشنتاوي وآخرون ، مراجعة ،محمد فهدي علام ، دار المعرفة ،لبنان، ج4.

. **وجدي محمد فريد:** دائرة معارف القرن العشرين ، ط3،دار المعرفة ،بيروت،1971 ،ج10

. **وزيري يحي:** موسوعة عناصر العمارة الإسلامية،ط1. مكتبة مدبولي ، القاهرة ،1991،ج1.

. **الموسوعة العربية العالمية،** ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، 1419هـ/1999م، مج2 الإسفنج – الأمريسيوم.

. **الموسوعة العربية الميسرة** ، ط1،المكتبة العصرية ،بيروت ،1431/2010هـ، مج1 .

9/الرسائل الجامعية:

. **بوعبدالله بلجوزي** : دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، رسالة لنيل شهادة الماجستيرفي الآثار الإسلامية، إشراف : بويحياوي عز الدين، جامعة الجزائر ، السنة الجامعية، 2005م/2006م.

. **الطاهر بونابي:**الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15الميلاديين،إشراف:عبد العزيز فيلالي ،أطروحة دكتوراة العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر،2008-2009م.

. **البياتي بان علي محمد:** النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن 3هـ – 5هـ/9–11م ، رسالة مقدمة لنيل الماجستير، إشراف: صباح إبراهيم الشيخلي، مجلس كلية التربية للبنات، جامعة بغداد،1425هـ/2004م.

. **جبودة مريم محمد عبد الله:** التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي 555هـ –980 هـ /1160م1572 ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة ,إشراف سامية مصطفى مسعد , جامعة الزقازيق،مصر، 2008 م.

. **بن الذيب عيسى:** المغرب والأندلس في عصر المرابطين ،دراسة إجتماعية وإقتصادية،480هـ –540هـ/1056م–1145م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في التاريخ الوسيط، إشراف :أحمد شريفي ،جامعة الجزائر، السنة الجامعية ،1429هـ .1430هـ/ 2008م–2009 .

. **شرقي نوارة:** الحياة الإجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524هـ–667هـ)،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف :عبد العزيز لعرج، جامعة الجزائر،2007–2008.

. **عزوق عبد الكريم:** المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراة دولة، إشراف: عبد العزيز لعرج، جامعة الجزائر،2008/2007م .

. **عمران عبد الحميد** :الديانة المسيحية في المغرب القديم – النشأة والتطور– (180–430م) ،أطروحة دكتوراة العلوم في التاريخ القديم ،إشراف :غانم محمد الصغير،جامعة منتوري ،قسنطينة ،2010م–2011م/1432هـ –1433هـ .

. **غومة سالم أبو القاسم محمد:** النظم الحربية في دولة بني مرين (668–869 هـ/1269– 1465م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة ، إشراف:فتحي عبد الفتاح أبو سيف، بشير رمضان التليسي ،جامعة عين شمس، قسم التاريخ ، القاهرة،2011–2012

. **فيسة محمد رابح:** المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة دراسة تاريخية أثرية، رسالة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف: عبد العزيز محمود لعرج، جامعة الجزائر، 2004م–2005م.

. **كرير زينب عبد الله أحمد:** أهل الذمة في العهد الحفصي 626هـ –692هـ/1227م–1574م،أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراة في التاريخ الإسلامي، إشراف: قاسم عبده قاسم ، سامية مصطفى مسعد، جامعة الزقازيق، مصر ،2005

. **محمود وليد علي محمد:** فئات العمال والصناع في تصاوير المخطوطات الإسلامية من القرن 7هـ حتى القرن12هـ ،بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، إشراف: رأفت محمد النبراوي، منى محمد بدر محمد، قسم الآثار الإسلامية، جامعة القاهرة،1426هـ/2005م.

. **المسعودي جميلة مبطي:** المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621هـ وحتى سنة 893م، رسالة لنيل درجة الماجستير ، محمد المنسي محمود عاصي ، جامعة أم القرى ،المملكة العربية السعودية ،1461هـ/200م .

. **هواري موسى** :تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين ،مذكرة لنيل درجة الماجستير، إشراف محمد بن عميرة قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2008-2009م.

. **هيصام موسى** :الجيش في العهد الحمادي 504-547هـ/1014-1152م ،رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الوسيط، ،إشراف :موسى لقبال، جامعة الجزائر ،2000-2001،

. **نجم جمال أحمد جميل:** أحكام الرسل والسفراء في الفقه الإسلامي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفقه والتشريع، إشراف: جمال حشاش، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس، فلسطين.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

ملخص الرسالة

ملخص الرسالة:

إن هذه الدراسة تمثل أحد أهم ركائز التاريخ الاجتماعي الذي يلقي بظلاله على مختلف جوانب الحياة من اقتصادية وثقافية وسياسية، فمن خلالها نطمح لإبراز دور الأقلية المسيحية بالمغرب الأوسط ، وحقيقة فإن هاته الفئة أطلقت عليها المصادر الإسلامية عدة مصطلحات قصد تميزها عن سائر الأجناس فنجد منها: النصارى حيث دُعوا بهذا الاسم نسبة لسيدنا عيسى عليه السلام الناصري، ونسبة إلى قرية نصرونة أو ناصرة بأرض الجليل موطن السيد المسيح عليه السلام، أهل الكتاب باعتبارهم يتبعون التوارة والإنجيل (أي اليهود والنصارى)، ويضاف إليها الفرنجة والروم نسبة لأقوام سكنت أوروبا ودانت بالنصرانية ، وقد يكون أهم مصطلح عنيت به مصادر ومراجع الفترة الوسيطية تجاه هاته الأقلية هو أهل الذمة وإن كان يشمل النصارى واليهود على حد السواء ، وأهل الذمة هم من أهل العقد والعهد الذين يؤدون الجزية من المشركين كلهم، وبالتالي فإن الإسلام أعطى ميزة إسمية لمختلف الأجناس التي انتشرت بمختلف المراكز والحواضر الإسلامية، وكان المغرب الأوسط أحد الأراضي التي استقبلتهم ورحبت بوجودهم بين أهالي المنطقة ، وكمجال جغرافي فقد شمل الحدود الجزائرية الحالية في الفترة الزمنية الممتدة من القرن 5هـ/11م إلى القرن9هـ/15م.

وبطبيعة الحال فإن الديانة النصرانية بالمغرب الأوسط ليست بوليدة فترة الدراسة بل ترجع جذورها إلى البدايات الأولى للمسيحية التي ظهرت مع سيدنا عيسى عليه السلام والتي بشر بها رسله من بعده في مختلف مناطق العالم، وتوطدت في المنطقة أكثر باتخاذها ديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية عهد الإمبراطور قسطنطين في القرن 4 م (312م) ، ومع انتشار الإسلام بالمغرب الأوسط اتجهت نحو الإنقراض باستثناء بعض العناصر البيزنطية التي بقيت بالمدن الأوسطية مقابل دفع الجزية، وضف إلى ذلك فقد حافظت بعض القبائل المحلية على ديانتهم المسيحية ووجدت منهم جماعات استقرت بالقلعة الحمادية وتلمسان على حسب ما ذكره البكري ، كما شهدت عديد المدن توافد عناصر مسيحية أخرى ألا وهي العناصر الأوروبية التي اقتضت طبيعة نشاطاتهم الاقتصادية والسياسية والثقافية استقراراهم بالمنطقة ، ومهما يكن فإن الأمر تطلب توزعهم على مختلف المدن كبجاية ، والقلعة، وتلمسان ، ووهران ، وبونة وقسنطينة، والجزائر...، وفي المقابل نجد أن عددهم يكاد ينعدم بالبوادي ماعدا بعض الأسرى العاملين في مجال الزراعة وما شابه.

ومن أهم ما اعتنت به هذه الدراسة هو التوسع والإنفتاح أكثر على وضعية هؤلاء الذين اعتبرتهم المصادر الإسلامية والفقهية غرباء عن دار الإسلام ، حيث أن العرض لم يقتصر على مجال دون الآخر، وإنما شمل مختلف الأنشطة التي برزوا فيها ولعبوا أدورا هامة بها، فعلى الصعيد السياسي تبوؤا مكانة لا يقل نظيرها عن تلك التي اضطلع بها سكان البلاد، فكان لهم حضور في الجهاز العسكري كجند مرتزقة حاربوا جنبا لجنب مع أبناء المغرب الأوسط في مختلف معاركهم وحروبهم المحلية، وتعدى أمرهم إلى أنه كان منهم قادة عسكريين يشرفون على مختلف الفرق العسكرية المسيحية ، كما كانت هناك فئة منهم في الجيش تشكلت من أسرى الحروب والقرصنة ويتعلق الأمر بأولئك الذيم لم يمسسهم الفداء ولا المن ولا القتل، فظلوا في خدمة الدولة كعبيد وجند ، وحرس خاص...، أما من أسلم منهم فقد اعتلى مناصب هامة في هرم السلطة ، هذا ونشط بالمغرب الأوسط السفراء والقناصل المسيحين الذين برز دورهم في تحديد العلاقات السياسية بين دول المغرب الأوسط والدول المتوسطية المسيحية والتي غالبا ما ترجمت بمعاهدات ورسائل دبلوماسية بين الطرفين لتسوية الأوضاع بينهما ، ومن أبرز النقاط التي تضمنتها هاته المعاهدات هي تلك المتعلقة بالجانب الاقتصادي ، حيث أنها نظمت التعامل التجاري بين دول المغرب الأوسط والبلدان الأوروبية ، كما أنها اهتمت بأوضاع التجار المسيحين الذين قطنوا البلاد– من أجل المصلحة الاقتصادية –، إما بشكل دائم أو بشكل مؤقت فقط، لذا فقد وُفرت لهم مختلف سبل الراحة والأمان في مختلف موانئ البلاد كوهران وتنس ، وبجاية وبونة، ومرسى الخرز، والجزائر...، وشكلت الفنادق أهم المراكز لاستقرار التجار النصارى خصوصا وأنها كانت تحتوي على مرافق لسكناهم وأخرى لتسهيل تجارتهم ، وأعتبر القنصل بمثابة المسؤول والحامي لهاته الجاليات فهو النائب لبلاده في تسيير شؤون رعاياها بمدن المغرب الأوسط، وبرزوا أيضا كصناع حرفيين امتهنوا مختلف المهن ، وظهر تأثيرهم في العديد من جوانب المهارة الفنية حيث ساهموا في تطوير الصناعة الحربية من أسلحة وسفن، وبرزوا في مجال البناء وما يتبعه من تزليج وتزويق وزخرفة ، وكان للأسرى دور فاعل في هذه الحرفة، إضافة لهذا خدموا في مجال البيع على جميع أوجهه، ومن أهم الصنائع التي نشطوا بها التطبيب والتداوي ، وباعتبار أن الطب من ركائز العلوم فنلاحظ أن النشاط النصراني لم ينحصر فقط في السياسة والاقتصاد بل وصل حتى للجانب الثقافي ولاسيما وأن البيئة المغربية أنداك شكلت مجالا خصبا لمختلف العلوم والثقافات ، وهذا ماساهم في حذق المسيحيين المستقرين بالبلاد وأخذهم الكثير من المعارف عن علماء المغرب الأوسط

كليوناردو فيزوباتشي الذي يعتبر أول من أدخل علم الجبر لأوروبا ، كما نهلوا من مختلف العلوم كالفلسفة والمنطق...، ولتذليل سبل معاملاتهم مع أهل المنطقة تعلموا اللغة العربية وأسسوا لها معاهد للتدريس.

لقد شكل النصارى جزءا هاما من مجتمع المغرب الأوسط، من خلال اسهاماتهم في جل الأنشطة مكونين بذلك مجموعة من أفراد الهرم الاجتماعي لسكان المنطقة ، ويرجع ذلك للعناية والحماية التي أحيطوا بها من طرف حكام المغرب الأوسط ، حيث وُفرت لهم سبل الراحة ، وحرية إقامة شعائرهم الدينية ومختلف عباداتهم ، فقد كانت لهم كنائسهم الخاصة بالفنادق التي يقيمون بها ، وببعض المدن : كتلمسان ، وبجاية ، والقلعة...، وبطبيعة الحال فإن هذا خلق نوعا من التسامح والتآلف بين مختلف الأجناس بأرض المغرب الأوسط رغم الاختلاف في الحياة اليومية لمختلف العناصر السكانية ، فالجالية النصرانية كانت لها طبائعها وحياتها الخاصة من مأكل ومشرب والتي امتزجت في العادة بالمأكولات المحلية للمغرب الأوسط ، أما مساكنهم فكانت مشابهة لدور المسلمين ، غير أنها لم تكن بنفس علوها " فالإسلام يعلو ولا يعلى عليه"، وبالنسبة للباس فقد خضع في الغالب للتشريعات الإسلامية وما جاءت به من تمييز لأهل الذمة كلبس الغيار وشد الزنار ، وغيرها من الأمور، في حين نجد أن بعضهم تزي بزي المسلمين ، وهو ما طرح في كثير من الأحايين تحرزات وتحذيرات من الفقهاء تجاه هذه الأقلية.

هذا وكان للمسيحين عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية المميزة لهم من احتفالات وأعياد دينية كعيد الميلاد ، والمهرجان والنيروز ،ويوم الغطاس ، وخميس العدس...، وكل عيد تميز بطقوسه ومراسمه الخاصة في الاحتفال.

إن مجتمع المغرب الأوسط شكل فسيفساء انصهرت فيها مختلف الأجناس والأعراق على اختلاف ديانتها ، فوجد النصارى أنفسهم وسط مجتمع اسلامي متسامح مع غيره من الطوائف على الرغم من العداوة السياسية التي جمعت في الغالب بين الدول المسيحية ودويلات المغرب الأوسط.

Resumé De La These Le

Cette étude représente l'un des importants piliers de l'histoire sociologique car il domine les divers aspects de la vie économique,culturelle et politique. elle vise aussi au rôle déterminant de la minorité chrétienne au Maghreb Moyen(l'Algérie). Et pour différencier cette minorité des autres catégories ou ethnies, les livres :islamiques lui ont attribiées plusieurs terminologies qui sont

Les chrétiens: affilié au nom du christ(Jésus) ou bien au nom du - village du christ (que le salut soit sur lui) ou la région ou terre natale .(Nasrouna ou Nassira.(Palestine

Les Monothéistes(Chrétiens,Juifs,Musilmans):car ils suivent les livres - sacrés la Torah et l'Evangile; on peut ajouter à cette catégorie aussi les Européens et les Romains ayant vécu en Europe et dont la réligion est .le christiennete; ou les a appelés aussi sous le nom

Habitants non Musulmans et non croyants: nom qui englobe les non - ,musilmans, aussi que les chrétiens et les juifs et qui se sont engagés à vivre en paix(Pacte d'engagement) à verser de l'argent au tribut pour .leur séjour en terre musulmane

Nous déduisons dans tout cela que L'islam a donné un nom spécifique. Pour chaque catégorie et c'est bien au Magreb Moyen. Terre qui les accueille et souhaiter leur coabitation et géographiquement parlant le Magreb Moyen ,à cette époque(5h-9Hégrie) N'est autre que les .frontières de l'Algerie

Il est évident que la religion Chrétienne au Maghreb Moyen n'est pas née de la période actuelle, mais qu'elle a ses prémices et ses racines au début de l'apparition du Christ; et qu'elle s'est renforcée dans cette région parce qu'elle a été prise comme religion officielle de l'Empire Romain(Epoque du Règne Constantin(312-337).); et que cette religion christienne a subi la lutte par divers doctrines, qui ont vu le jourà :savoir

Le Catholisme(Ensemble des Instilations et des pratiques de l'Eglise * (Catholique Romain

L'Orthodexie(qui est conforme au dogme, à la doctrine d'une * .(religion

Toutes ces doctrines ont vu leur disparition, ou l'expansion de l'Islam au Maghreb sauf quelque doctrines Byzantines Chrétiennes qui ont continuée à verser leur tributs (El Djizia); sans oublier la catégorie des gens ayant séjournr dans la forteresse Hammadite et celle de Tlemcen évoqué par El Bakri, et aussi dans certaines villes qui ont reçu des délégations chrétiennes venues d'Europe pour les échanges politiques ,économique et culturelles, ces villes sont notament Bejaia, Tlemcen, Oran, Bone (Annaba),Constantine ect….par contre dans les bourg et les compagnes ces catégories chrétiennes sont inexistantes sauf quelques élements travaillant dans le domaine agricole ou lui .ressemblant

Cette étude s'est interessée beaucoup plus à l'étalement et à l'épanouissement de la situation de ces catégories qui ont été considérées par les principes doctrines Islamiques comme des catégories étrangères à leur entourage. L'étude ne s'est pas limité à un seul cas mais elle s'est penchée et s'estinteresée aux divers activités des catégories citées et qui ont joué des roles très importants, par example dans le domaine politique, ces catégories occupaient une grande place parmi les gens de la région , car on les trouve dans le corps militaire ou ils ont lutté coté-à-coté comme des soldats mercenaire ,et ont occupé des postes de chef des troupes militaires tout en dependant des .lois de leur pays d'origine

Le soldat mercenaire n'était qu'un fonctionnaire des sultanes du Magreb Moyen, car ce dernier est régi par un contrat de travail et un salaire réciproque; par contre il ya eu parmi-eux une catégorie qui s'est constituée par les prisonniers des guerres et de la piraterie qui n'ont pas pu payer leur tribut, ou bien des gens qui n'ont pas été condamnés et ont servi d'ésclaves ou de gardien, et ceux qui se sont convertis à

l'Islam, ou leur a octroyé des postes importants dans la hierarchie du …pouvoir comme le Cambellen Hellal Katlani

Des ambassadeurs et des consults ont occupés des postes dans Magreb Moyen(Algerie) et leur rôle a émergé dans la détermination des relations politiques entre les pays du Magreb Moyen et les pays Méditerranées chrétiens, et souvent cela s'est traduit par des traités et des messages diplomatiques pour résoudre les situations entre eux; Les principaux points contenus dans ces traités sont ceux liés à l'aspect économique, ceci a organisé parfaitement la coopération commerciale et a amélioré la situation des commerçants chrétiens d'une façon .permanente ou sur une base temporaire seulement

Cet interet économique a fourni divers moyens de confort et de sécurité dans les différents ports du pays, tel Oran et Tnes ,Béjaia, Bona, .Alger

Les Hotels aussi sont considérés comme des centres importants pour la stabilité des marchands car ils étaient équipés d'installations .convenables et ceci pour faciliter leur commerce

Le consul est considéré comme le premier responsable et le protecteur officiel de ces communautés. Il est le député de son pays dans la .conduite des affaires de ses citoyens dans les villes algeriennes

De ces catégories ont émergé également des artisans dans des divers professions, l'impact est apparue dans de nombreux aspects de conpetence technique ou ils ont contribué au developpement de l'industrie militaire des armes et des navires, comme ils ont aussi émergé dans le domaine de la constuction, aussi que dans la décoration et l'orneument; ce rôle est généralement attribié aux prisonniers; ils ont également travailler comme vendeurs dans tous les domaines du commerce et ont émergé aussi dans la médecine ce qui implique que l'activité chrétienne ne s'est pas limité seulement à l'économie et à la politique. Mais elle s'est propagé dans défferents domaines de la science et de la culture. En cette époque l'environnement Magrebin

constitue un domaine fertile pour les differents domaines de la science et de la culture .cela a contribué au génie de cette catégorie exemple:Leonardo Visopatchi qui est le premier à introduire l'algebre en Europe;ils ont meme enseigner la philosophie, et la logique et meme la langue arabe . Les communautés chrétiennes avaient gendé leur coutumes dans leur vie quotidienne comme nourriture, boissons et habillement et logement; et toutcela a fusionné avec les traditions et les .coutumes du pays hote

Les chrétiens ont leur habitudes sociales et ont aussi leurs celébrations religieuses distructifs tels que Noel et les anniversaires. Chaque fète .était caracterisée par ses rites

On peut conclure que le Magreb Moyen est comme une mosaique ou fusionnent les catégories de différentes races et de religion diverses. Les chrétiens se sont retrouvés au milieu d'une societé islamique .tolerante avec les autres confessions et ceci malgré l'hostilité politique

The Summary

This stady represents one of the most important pillars of the social history in the middle Magreb because it dominates the differant aspects of the economical,cultural and pollitical life.it deals with the dterminant role of the christian minority in this area(Algeria).

To illustrate this minority's role according to other ethnical categories,Islamic books gave them several terminologies as:

-Christians: named after Jesus Christ (pbuh) or to the name of the village, this prophet came from; Nasrouna or El Nassira in Palestine.

-Monotheists: including christians,Jeush and Muslims because they follow the sacred books :Torah ,Bible .

we can add to them also, europeans and romans who lived in Europe and whose relegion was christianity. They moved to the middle Maghreb and lived temporarely under a Muslim ruler and Islamic land.So they had to follow the rules of this new country.

-Non believers and non Muslim inhabitants: this category englobes people who had to live under a Muslim ruler, they had to sign a pact in order to live in peace and protect their wealth and keep their religion, this pact obliged them to pay a sum of mony to the state which was called El Djizia)

We deduce that in Islam every category had its specific name, and it was in the Middle Maghreb where we could find different religions and different categories of people. this land hosted them during the(5Hcentury-at9H). this land was what is now called Algeria.

It s evident that Christianity in the middle Maghreb wasn't recent but it had its roots at the beginning when Christ appeared .It was reinforced by the roman empire during the reigne of Constantin(312-337).

This emperor adopted Christianity as the official religion to be followed in all the empire.

Hense struggles started to emerge later in this religion and people started to be separeted following different doctrines such as Catholics, Orthodox.

After the appearance of Islam and having reached North Africa,christianity started to disappear and vanish little by little. It remained only in some local Byzantine tribes in the center who were obliged to pay (El Djizia); also some groups who settled in the Hamadite forts and Tlemcen as (Al Bakri) narrated.

Some Christian deligates moved from Europ and due to their commercial, economical, pollitical and cultural exchanges they were obliged to settle in some strategical places like Bejaia, Tlemcen, Oran, Annaba(Bona),Constantine and Algiers.

We're interested, in our study, to talk about those who are considired by some Islamic books as strangers and intruders for this land through they played a bi grole in the history of this area.

We dealt with them through different sides. the main roles they played and different activities they practised.

Pollitically speaking, they were as important as the local inhabitants.they occupied a place in the military corps as soldiers and mercenaries. They fought side by side with people of the Middle Maghreb in their different wars against external attacks.

Amongst them, there were even troops captain. They followed the law of the country they belonged to. The mercenary soldier is just an emplyee with a contract and a salary in return of his work.

On the other hand,there was another catigory formed from war prisoneers and people took in pyrating ships in the mediteranean sea. They served as slaves or simple soldiers, but those who were converted to Islam got better chance. They got more important hierarchical jobs in the state,like the chamberlain Hilel Katalani and some other famous names.

We find also consils and diplomates who emerged in this area. Their jobs was to determinate relationships between the countries of the Middle Maghreb and the Mediterranean Christian ones These relationships resulted moste of the times in some treaties and diplomatic messages between them of course to organize and figure out the economical interests.

They took into consideration the christian merchants who lived in this place ,thus, they established peace and security in defferent harbours as Oran, Tnes, Bejaia ,Bona and Algiers.

Hotels were also given a great importance because they hosted these important people. They were well equiped for merchants to settle in and practice their activities and religion peacefully and confortably.

The consul is considired as the first responsible of the minority in this country, the deputy of his country here; he facilitate life for them and protects their interests.

In addition to these soldiers and merchant, there were also handicrafts men who developed different skills especially in military industry (arms and ships),building and decoration and

ornament. This latter was mainly attributed to prisoners. They practised also medcine and they became famous in this domain

We can come to the conclusion that christians in the Middle Maghreb weren't only interested in science and economy , but also in culture. They found in this land a fertile soil for prosperity in all field. We can name in this case the scientist Leonardo Visopatchi who was the first one to introduce (Algebra) to Europe. they used also to teach philosophy and Logic and even the arabic language.

Christian communities have kept their traditions in daily social life, in their meals and drincks, the way of dressing but with time, everything melted within the habits of the host country.

Religious and social freedom in the Middle Maghreb created stability and security because all communities and categories lived together in harmony and co-ordination.

To sum up,the Middle Maghreb was like a mosaic where different categories of people,different religions, races fused together. Those christians found themselves in the centre of an Islamic society. This latter was tolerant whith other religions. But still there was a political hostility between the Europeans and the countries of the Middle Maghreb.